

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهران - السانیه -

كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية

قسم التاريخ وعلم الآثار

رساله مقدمه لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر

بعنوان

الإستراتيجيه الفرنسيه لإجهاض مشروع الدوله الجزائريه الحديثه

1832 - 1847م

إعداد الطالب:

- سلاماني عبد القادر

إشراف الاستاد الدكتور:

- صم منور

لجنة المناقشة:

الاستاد فغور دحو.....رئيسا

الاستاد صم منور.....مقررا

الاستاد مهديد إبراهيم.....مناقشا

الاستاد لوتيسي رابح..... مناقشا

السنة الجامعيه 2008 - 2009

المقدمة:

لا شك أن الحديث عن التاريخ الجزائري ودراسته يعد من القضايا المصيرية وخطوة ضرورية وإيجابية للتعرف على التاريخ الوطني.

ولعل الموقع الجيوستراتيجي الهام للجزائر باعتبارها بوابة إفريقيا جعلها عرضة للتحرش الاستعماري بجميع أساليبه وغاياته خاصة مع ظهور الحركة الاستعمارية الأوروبية الحديثة، فقد تكالبت الدول الأوروبية الاستعمارية من أجل احتلال الجزائر لعدة اعتبارات وخلفيات سياسية واقتصادية ودينية وحضارية، وذلك لما تزخر به من موارد اقتصادية ضخمة أهمها المعادن والمواد الأولية والإنتاج الفلاحي الوفير باعتبار القمح الجزائري محرك المبادلات والحركة التجارية بالبحر المتوسط لذا كانت فرنسا ترى في احتلالها للجزائر أسوة باحتلال بريطانيا لأمريكا الشمالية واحتلال إسبانيا والبرتغال لأمريكا الجنوبية. فمشروع احتلال فرنسا للجزائر هو تكملة لمشروعها التوسعي على كافة البلدان المغربية والإفريقية فبفضل احتلالها للجزائر تستطيع تحويل البحر المتوسط إلى بحيرة فرنسية والتعويض على ما فقدته من مستعمرات بأوروبا مع تأمين موارد اقتصادية لشعبها ومصانعها وأسواق تمكنها من إنعاش الاقتصاد الفرنسي وتطويره ومنافسته للدول الأوروبية لذا كانت استمارة الجيش الفرنسي كبيرة ومكلفة لاحتلال الجزائر بعدما لاقت مقاومة جزائرية رفضت التواجد الفرنسي بالأرض الجزائرية بقيادة الشيخ محي الدين ثم ابنه عبد القادر الذي واجه المشروع الاستعماري الفرنسي بجميع أساليبه المتمثلة في القضاء على الدولة الجزائرية الحديثة لذا ارتأينا تخصيص دراسة حول تلك المواجهات والمقاومة الجزائرية ضد المشروع الاستعماري الفرنسي بالجزائر، كان هدفنا هو الكشف عن الأطر المنهجية في بحث أكاديمي موضوعي جديد الطرح فحاولنا من خلال مذكرتنا المتمثلة في "الإستراتيجية الفرنسية لإجهاض مشروع الدولة الجزائرية الحديثة" 1832 - 1847م بدراسة تكشف عن أطروحات وإشكاليات جديدة البحث لإثراء التاريخ الوطني والكشف عن الجوانب الفاعلة والمؤثرة وفق أطر منطقية واقعية، بطريقة تحليلية للوقائع التاريخية والبحث عن أبعادها الحقيقية.

يعتبر مشروع إجهاض الدولة الجزائرية الحديثة من المواضيع التي يجب ان تعنى بالاهتمام نظرا لما تتضمنه من أطروحات وتساؤلات على الباحث الإجابة عنها فهي تكشف عن ميلاد الدولة الجزائرية الحديثة ومواجهتها لقوات الاحتلال الفرنسي وكيفية محاولة تحطيمها والقضاء على نشأة هذه الدولة التي حاول الامير عبد القادر مواجهته بها الاستعمار الفرنسي ومحاولته لصد هذا المشروع الاستيطاني الفرنسي، فما هي الاسس التي قامت عليها الدولة الجزائرية الحديثة بقيادة الامير عبد القادر؟ وما هي العراقيل والمشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية التي واجهت المقاومة الشعبية الوطنية في مشروعها النهضوي لمواجهة قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الامير عبد القادر وما هي الاساليب والمسااعي الفرنسية لإجهاض الدولة الجزائرية الحديثة في جميع الميادين السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية؟ ولماذا كل هذا الإصرار الفرنسي من اجل القضاء على المقاومة الوطنية والدولة الجزائرية الحديثة بقيادة الامير عبد القادر؟!؟

اما فيما يخص الإطار الزماني والمكاني للدولة الجزائرية الحديثة بقيادة الامير عبد القادر في ظل المقاومة الشعبية الوطنية فقد امتدت في الفترة مابين 1832 - 1847م ، إذ شملت القطر الجزائري وقد حاول الامير عبد القادر توحيد الوطن الجزائري من شرقه إلى غربه ومن شماله إلى جنوبه بتقسيم البلاد إلى ثمانية مقاطعات فحدود الدولة كانت كالاتي يحدها شمالا البحر الابيض المتوسط وغربا المغرب الاقصى وشرقا تونس وجنوبا الصحراء.

وقد قسمنا بحثنا هذا إلى مقدمة وخمسة فصول تتلوهم خاتمة.

عنونا الفصل الاول : مشروع الدولة الجزائرية الحديثة، وفيه تحدثنا عن المقاومة الشعبية وظهور مبدا الاعتماد على النفس بقيادة الشيخ محي الدين وظهور الامير عبد القادر وإعلانه مشروع الدولة الجزائرية الحديثة في إطار البيعة وشرعيتها القانونية والشرعية الدينية ومساندها الحضارية واهم التنظيمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في مواجهة المشروع الاستعماري الفرنسي وعن المجهودات الحربية والتعبئة الشعبية في

المقاومة الوطنية وعن الاسس التي احدثها الامير عبد القادر لإفشال المشاريع الاستعمارية الفرنسية.

اما الفصل الثاني فكان عنوانه : النشاط العسكري للامير عبد القادر ما بين 1832 - 1847 . وتطرقنا فيه لاشهر المعارك التي قادها وخاضها الامير عبد القادر ضد قوات الاحتلال الفرنسي مع ذكر نتائجها والتضحيات الجزائرية التي بذلت في سبيل الوطن كما تحدثنا عن المعاهدات العسكرية التي ابرمها الامير عبد القادر مع قادة الجيش الفرنسي لتنظيم الدولة الجزائرية وترتيب شؤونها لمواصلة المقاومة الشعبية الوطنية وقمنا بتحليل معاهدتي ديميشال والتافنة .

بينما الفصل الثالث كان عنوانه: تحطيم المجتمع الجزائري حاضن المقاومة الوطنية ماديا ومعنويا. تطرقنا فيه للأساليب الفرنسية المتخذة للقضاء على مشروع الدولة الجزائرية الحديثة وذلك من خلال تاليب القبائل الجزائرية وإخضاعها والعمل على تشتيت الشعب الجزائري وتفرقة حتى لا يتسنى للامير عبد القادر من تجنيدهم ضد قوات الاحتلال الفرنسي وخاصة بعد انضمام قبائل الدواير والزمالة وتجنيد بعض القوات من الخونة المرتزقة الجزائريين للصف الفرنسي ورفض الطريقة التيجانية وشيخها للمساهمة في المقاومة الوطنية ضد قوات الاحتلال الفرنسي .

اما الفصل الرابع فعنوانه بـ: الأساليب الاستعمارية لاستئصال مقاومة الشعب الجزائري وإبادة هويتهم الوطنية . وتحدثنا فيه عن المشروع الاستعماري الفرنسي في مواجهة المقاومة الشعبية الوطنية بقيادة الامير عبد القادر للكشف عن الأساليب الاستعمارية الفرنسية لإجهاض الدولة والنهضة الجزائرية الحديثة المتمثلة في جميع الميادين الاجتماعية والسياسة والاقتصادية والثقافية لتفجير وتجويع الشعب الجزائري ومصادرة اراضيهِ وحرق محاصيله الزراعية وإبادته وطمس هويته الوطنية والقضاء على روح المقاومة الجزائرية .

وأخيرا الفصل الخامس الذي حمل عنوان: الحصار الدولي للقضاء على المقاومة الشعبية الوطنية.

وقد خصصناه للحصار الاقتصادي ودور الدبلوماسية الفرنسية في فرض نفوذها على الصعيد الدولي ومنعها الدول الأوروبية والعربية الإسلامية من مساندة الدولة الجزائرية بقيادة الأمير عبد القادر في مقاومتها للمشروع الاستيطاني الفرنسي، فتطرقنا لعلاقات الدولة الجزائرية مع دولة تونس والمغرب مع تحديد علاقات التوتر وأسبابها وانعكاساتها والحصار المفروض على القوات الوطنية وعن موقف الدولة المصرية وطرابلس الغرب والدولة العثمانية من المقاومة الجزائرية كما تحدثنا عن موقف الدول الأوروبية من المقاومة الجزائرية المتمثلة في بريطانيا وإسبانيا وأسباب رفضهما لمساندة الأمير عبد القادر.

هذه هي أهم الفصول التي تطرقنا إليها لتوضيح المهمة التي أداها الأمير عبد القادر بمشروعه النهضوي المتمثل في فكره وثقافته وبعده الوطني والعالمي، مشروع قائم على قواعد وأسس حديثة متوافقة بين الأصالة والمعاصرة لمواجهة الواقع الإحتلالي ومنطق القوة والتقدم الحضاري في مقتضيات تكشف وتطرح عدة تساؤلات .

والحقيقة إن معالجة مثل هذه المواضيع التي تصب في عمق التاريخ الجزائري ليست سهلة بحكم أن بعض الكتابات التي تناولت موضوع الأمير عبد القادر كتبت بطريقة سردية وصفية وغلب عليها الجانب الذاتي والعاطفي في رصد الوقائع التاريخية السياسية والعسكرية للأمير مما شكل لنا صعوبة في كثير من النقاط ولكن بعون الله ومساعدة الأستاذ المشرف ذلت الصعوبات، أما عن المصادر والمراجع التي اهتمت بموضوع الأمير عبد القادر فطبيعة الموضوع هي التي حددتها ومن بينها :

شارل هنري تشرشل¹ في كتابه "حياة الأمير عبد القادر" مصدر يكشف عن الوقائع السياسية والعسكرية والمواقف الإنسانية للأمير عبد القادر يمكن الاعتماد عليه رغم أنه غير متخصص وغير موضوعي فيه نوع من الذاتية ذو طابع سردي للوقائع التاريخية،

¹ - تشرشل شارل هنري ، حياة الأمير عبد القادر ، تر سعد الله أبو القاسم ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2004.

محمد بن عبد القادر² في كتابه "تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر" هو مصدر ذو طابع سردي فيه نوع من المبالغة والذاتية في تقصي الحقائق التاريخية وذو أسلوب عاطفي لذا يجب تحقيق تلك الحقائق وفق منهج علمي موضوعي.

الناصري³ في كتابه "الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى" وهو يعد مصدرا ذا مواقف ذاتية ليست موضوعية وذو طابع سردي.

بلمار "Belmare"⁴. يعتبر من المصادر الهامة التي اهتمت بمشروع الأمير عبد القادر السياسي والعسكري ويعتبر مادة علمية وموضوعية هامة اثرت البحث في تقصي بعض الوقائع التاريخية إلا أنه يبقى يعكس النظرة الاستعمارية في دراسته للتاريخ الجزائري.

- دومون رون "Demont R"⁵ وهو مصدر يحتوي على جزأين، يذكر فيه المؤرخ الوقائع بصفة تحليلية مفصلة إلا أنه يعكس النظرة الاستعمارية في معالجتها للتاريخ الجزائري .

بول ازان: "P-Azan"⁶ من مؤرخي الاستعمار الفرنسي في الجزائر تعكس كتاباته نظرة المدرسة الاستعمارية الفرنسية له أهم كتاباته عن الأمير عبد القادر كتاب خصصه للحديث عن شخصية الأمير عبد القادر وخاصة فيما يتعلق بحياته السياسية والعسكرية يحتوي على مادة تاريخية تحتاج إلى تحقيق هذه الوقائع لأنها غير موضوعية تعكس نظرة ذاتية .

أديب حرب⁷ : يعتبر مرجعا من المراجع الهامة والمتخصصة التي اهتمت بموضوع الأمير عبد القادر، إلا أنه لم يدقق فيما ينقل من وقائع تاريخية، من خلال تعداد القوات المتحاربة فغالبا ما يذكر التفوق العددي للقوات الوطنية معتمدا على ترجمة بعض المصادر الفرنسية ولم يقدّم بتحليل بعض المعارك ولم يبحث عن أسباب فشل قوات الجيش الشعبي الوطني في انسحابها في بعض المعارك وعن إخلاء الأمير عبد القادر لبعض المدن الجزائرية ولم يبحث عن الأسباب ولم يقدر التفاوت التجهيزي والحضاري بين القوتين

²- محمد بن عبد القادر ، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر ، شرح وتعليق ممدوح حقي ، دار البقعة العربية ، 1966 .
³- الناصري، كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولة العلوية ،ج9، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1956.

⁴- A-Belmare, Abdelkader sa vie politique et militaire, Editions Bouchene, France, 2003.

⁵- R. Demont, Histoire de la conquête de l'Algérie de 1830-1847, T1, I Marc Arel, Paris, 1847.

⁶- P. Azan , l'émir Abdelkader 1808-1883 du fanatisme musulman au patriotisme Français, librairie hachette, paris, 1929.

⁷- حرب أديب ، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر (1808-1847) ج1-2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983

شارل اندري جوليان "Ch-A.Julien" ⁸ يعتبر مرجع علمي اكاديمي ومنهجي وهو من الكتب العامة، إلا انه يعكس نظرة ذاتية تفتقد للموضوعية ذو نظرة استعمارية فرنسية. 'الكولونيل اسكوت' ⁹ في مذكراته مصدر هام غير متخصص ذو طابع سردي لكنه يحتوي على مادة يمكننا الاعتماد عليها وفق اطر تحليلية. كما اعتمدنا على بعض المجالات العلمية أهمها مجلتي التاريخ والثقافة في عديهما الخاص بالذكرى المئوية لوفاة الامير عبد القادر.

تعتبر الإستراتيجية الفرنسية لإجهاض الدولة الجزائرية الحديثة من المواضيع الهامة التي يجب الاهتمام بها لما تتضمنه من إشكاليات يجب الإجابة عنها للكشف عن ميلاد الدولة الجزائرية الحديثة وأسسها النهضة في مقاومة قوات الاحتلال الفرنسي وعن الصعوبات التي واجهت المقاومة الشعبية الوطنية بقيادة الامير عبد القادر وعن كيفية تحطيمها والقضاء عليها بجميع الاساليب والمسايع الاستعمارية ضد الشعب الجزائري، هدفنا من هذه الدراسة الكشف عن مظاهر القوة ومكان الضعف في المجتمع الجزائري وماذا استطاع الامير عبد القادر تحقيقه بمشروعه النهضة وما هي الادوات والاسس التي اقامها لمواجهة الصراع الحضاري والمشروع الاستعماري الفرنسي لما يطرحه الواقع الاجتماعي والاقتصادي والثقافي.

لقد ارتأينا ان تكون دراستنا العلمية المتواضعة كمساهمة بسيطة في تاريخنا الوطني لنهم مشروع الدولة الجزائرية الحديثة فهما موضوعا وإعطاء الشعب الجزائري والامير عبد القادر بعدهما الحقيقان في المقاومة الشعبية الوطنية وفق أسس حضارية وقواعد واقعية في المشروع النهضوي الحداثي الاميري المتمثل في الدولة الجزائرية الحديثة واثرها على الواقع الجزائري والدولي.

اعتمدنا في بحثنا على منهج لربما استطاع إلى حد بعيد ان يساعدنا في تناول الإشكال وهو المنهج التاريخي التحليلي القائم على سرد الحقائق والمفاهيم ثم تحليلها ونقدتها ومقارنتها.

¹ - Ch - A. Julien, Histoire de l'Algérie contemporaine conquête et colonisation (1827- 1871) ,Presses Universitaires de France Paris, 1979

² - اسكوت ،مذكرات الكولونيل اسكوت عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر 1841م،ترجمة وتعليق إسماعيل العربي الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر 1981.

لقد لاقينا بعض الصعوبات اهمها عدم توفر ارشيف وطني يمدنا بما نحتاجه من معلومات تخدم البحث وتساهم في إثرائه ذلك ان معظم الارشيف الخاص بهذا الموضوع يتواجد بالارشيف الفرنسي الذي هو بعيد عن متناولنا وليس لدينا الإمكانيات اللازمة للذهاب إلى فرنسا والبحث فيه عما نحتاجه.

الفصل الأول

مشروع الدولة الجزائرية الحديثة " 1832 – 1847

1- بداية المقاومة الشعبية الوطنية في منطقتي الوسط والغرب الجزائري:

تعتبر هزيمة قوات الجيش الانكشاري العثماني في أول معركة ضد قوات الاحتلال الفرنسي بمنطقة سطوالي¹، أدى الى استسلام الداوي حسين² وتوقيع معاهدة الاستسلام مع قائد الحملة الفرنسية الجنرال ديورمون "De Bourmont"³ في 5 جويلية 1830م هذا التوقيع أعطى للسلطات الفرنسية أحقيتهم وملكيتهم للبلاد، لذا قامت قوات الاحتلال الفرنسي بالتوسع على المناطق المحاذية لمدينة الجزائر⁴ بتسيير عدة حملات عسكرية على مدينة البليدة في 23 جويلية 1830م⁵ ولاقت هذه الحملات مقاومة شعبية ضد القوات الفرنسية لكن هذه المقاومة لم تكن منظمة وقد تم احتلال البليدة بقيادة الجنرال بوايي في 18 نوفمبر 1830م⁶ واحتلال المدينة في 22 نوفمبر وقد قاومت عدة قبائل بمنطقة الوسط الجزائري قوات الاحتلال الفرنسي اهمها قبائل الحراش وقبائل حجوط خاصة بعد المجزرة الفرنسية ضد قبيلة العوفية في 7 افريل 1832م أما قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال روفيقو "De Rovigo"⁷ فقد استعملت أساليب التفرقة بين أبناء الشعب الجزائري للقضاء على المقاومة الشعبية⁸ التي لم تعرف بمنطقة الوسط تنظيما لمواصلة المقاومة وهذا نتيجة لنقص الوعي الوطني وعدم معرفتهم لمشروع الاحتلال الفرنسي .

- احتلال مدينة وهران :

احتلال مدينة وهران يعتبر من أولويات الحملة الفرنسية نظرا لموقعها الاستراتيجي وقربها من فرنسا لذا سارعت قوات الجيش الفرنسي احتلال المرسى الكبير في 14 اوت 1830⁹ حيث لم تلق هذه القوات الفرنسية أي مقاومة بالمنطقة من قبل قوات الجيش الانكشاري العثماني حيث طلب الباي حسن الحماية بعد التوغل الفرنسي والفوضى العارمة التي عرفتها المنطقة لكن المجلس

¹ - C. Rousset, *La conquête d'Alger*, éd. Plon, Paris, 1880, p. 140.

² - الداوي حسين: ولد بمدينة أزميز في سنة 1773م، تولى الحكم في الجزائر في فبراير 1818، و بعد استسلامه للفرنسيين في جويلية 1830، اختار الانتقال إلى مدينة ليفورن الإيطالية التي مكث بها حوالي ثلاثة سنوات، انتقل بعدها إلى مدينة الإسكندرية التي استقر بها إلى غاية وفاته في سنة 1838م. أنظر: أبو قاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1992، ص 88.

³ - المارشال دي بورمون: ولد سنة 1773م، بمدينة مابن، التحق بالمدرسة العسكرية بسوارار، شارك في حروب نابليون ،وتولي قيادة الحملة الفرنسية على الجزائر في سنة 1830، وفي أوت 1830 عزل من منصبه ليعود الى فرنسا حيث توفي في سنة 1846 أنظر:

D. Henry, *Les conquérants de l'Algérie (1830-1852)* Berger-Levrault, éd., Paris, 1930, p. 10.

⁴ - C. Rousset, *la conquête d'Alger*, op.cit., p. 141.

⁵ - Ch.-A. Julien, *Histoire de l'Algérie contemporaine conquête et colonisation (1827- 1871)*, éd. PUF, Paris, 1979, p. 20.

⁶ - L. Plée, *Abd-el-kader*, éd. Berba, Paris, 1866, p. 34.

⁷ - سافاريي دوروفيقو ، ولد في 26 افريل 1774 ، و توفي في باريس 26 جوان 1833 ، اشترك في معارك النمسا، بولونيا اسبانيا ، وبروسيا، وفي سنة 1810، وفي سنة 1831 ، شارك في معارك بالجزائر وعاد الى فرنسا في 1833، انظر : حرب أديب ، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر (1808-1847)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر، 1983، ج. 1، ص. 62.

⁸ - الجبالي عبد الرحمن ، تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة، ط. 4، بيروت، 1980، ج. 4، ص. 26.

⁹ - P. Gaffarel, *L'Algérie histoire conquête et colonisation*, éd. Disot, Paris, 1883, p. 106-107.

الاستشاري الذي عقده الشيخ محي الدين تم رفض مساندة الباي¹ بعد تدخل ابنه عبدالقادر في هذه القضية فاستسلم الباي حسن للقوات الفرنسية في 4 جانفي 1831م وأبحر نحو الاسكندرية بغنيمة معتبرة²

التدخل التونسي بوهران : الحماية التونسية بوهران كانت وفق اتفاقية عقدها الجنرال كلوزال مع الباي التونسي في 18 ديسمبر 1830م على معاهدة الاستسلام التي وقعها الداوي حسين مع الجنرال دييورمون بعد تخلي الدولة العثمانية الدفاع عن الجزائر، فالاتفاق الفرنسي التونسي الذي يقضي بتولي أحد أفراد الباي التونسي اقليم وهران مقابل دفع مليون فرنك سنويا للحكومة الفرنسية³ وعليه تم ارسال الآغا خير الدين الى وهران في 4 فيفري 1831م مع فرقة عسكرية تتألف من 200 جندي ساندتها الحماية العثمانية بوهران ب400 جندي وبعض الكراغلة من مستغانم ووهران وتلمسان ونظرا للتصرفات التعسفية وارهاق كاهل السكان بجباية الضرائب خدمة لمصالحها ومصالح الجيش الفرنسي الذي ضمن مداخل دون خسائر مادية وبشرية، وقد انسحبت القوات التونسية من المنطقة في 28 أوت 1831م بغنيمة تقدر ب 13464 ريال بوجو⁴.

التدخل المغربي: بعد الفوضى التي عرفت البلاد الجزائرية من جراء الاحتلال الفرنسي لمدينة الجزائر قام سكان مدينة تلمسان بارسال وفد الى السلطان المغربي في شهر أوت 1830م لطلب المساندة والدعم ضد قوات الاحتلال الفرنسي لكن السلطان عبدالرحمن رفض ذلك⁵ ، وتم تشكيل وفد آخر شهر سبتمبر لطلب مساندة السلطان المغربي⁶ فوافق على تعيين مولاي علي رفقة ادريس الجراري مع فرقة عسكرية مغربية لتوطيد الحكم المغربي بالمنطقة الغربية للجزائر ولما وصلت قوات الجيش المغربي بالمنطقة في 7 نوفمبر 1830م⁷ لم تعمل على مواجهة قوات الاحتلال الفرنسي وتنظيم البلاد وانما سعت لجباية الضرائب فبدأ التخوف الفرنسي من التوسع المغربي بالمنطقة فارسل الضابط اوفري "Auvray" لتهديد السلطات المغربية وتم جلاء القوات المغربية من

¹ - الباي حسن: ولد في حوالي سنة 1805، أصله من الأناضول، عمل كجندي بسيط في صفوف الحماية العثمانية بتلمسان، حيث أصبح بابا لبابك الغرب الجزائري في سنة 1827، و بعد الاحتلال الفرنسي لمدينة وهران استسلم ورحل إلى الإسكندرية ومنها إلى مكة أنظر:

M. Lapène, *Tableau historique de la Province d'Oran 1791-1851*, éd. Lamort, Metz, 1842, p. 26.

M. Emrit, *L'Algérie à l'époque d'Abd elkader*, éd. Larousse, Paris, 1951, p. 27.²

E. De Reynaud Pillissier, *Annales Algériennes*, éd. Militaire, Paris, 1854, t. 1, p. 156-157.³

⁴ - التميمي عبد الجليل، مغامرة الحماية التونسية على وهران، المجلة التاريخية المغربية، العدد 05، بتونس، 1976، ص 12-19.

⁵ - الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولة العلوية، تح جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1956، ج.9، ص. 26.

⁶ - A. Cour, *L'occupation Marocaine de Tlemcen Septembre 1830 - Janvier 1836*, *Revue Africaine*, t. 52, 1908, p. 34.

⁷ - *Ibid.*, id., p. 34.

المنطقة في 8 مارس 1831م¹، وقد بعث السلطان المغربي قوات مغربية في 3 أوت 1831م بقيادة محمد بلحمري تعمل على سياسة التوسع وجباية الضرائب بالقوة² على القبائل الجزائرية بمنطقة الغرب الجزائري ووصلت هذه القوات حتى منطقة مليانة والمدينة، ونظرا للتوسع المغربي تخوفت السلطات الفرنسية على مصالحها التوسعية بالجزائر وتحت التهديد الفرنسي بقصف مدينة طنجة³، تم جلاء القوات المغربية من المنطقة في 22 مارس 1832م لم تعمل كل من قوات الجيش العثماني والمغربي والفرقة التونسية عن الدفاع على الأراضي الجزائرية وحتى قوات الباي أحمد بقيت متحصنة بمدينة قسنطينة تنتظر القوات الفرنسية ومع عدم نجاح المقاومة الشعبية بمنطقة الوسط الجزائري لم يبق للشعب الجزائري الا مبدأ الاعتماد على النفس وحمل راية الجهاد ضد قوات الاحتلال الفرنسي وقد ادرك الشيخ محي الدين الأخطار التوسعية لقوات الاحتلال الفرنسي⁴ لذا عمل على تنظيم المقاومة الشعبية الوطنية وافتشال الادعاء الفرنسي القائل بأحقية فرنسا بالأرض الجزائرية بعد توقيع معاهدة الاستسلام من طرف ممثل الدولة العثمانية مع قائد الحملة الفرنسية في 5 جويلية 1830م

2- مساهمة الشيخ محي الدين في تأسيس الدولة الجزائرية الحديثة:

قام الشيخ محي الدين بدعوة أبناء الشعب الجزائري لمقاومة القوات الفرنسية بعد إدراكه أن الخطر يهدد المصلحة العامة للبلاد⁵، وفي 17 أفريل 1832م قام على رأس بعض قوات قبائل منطقة وهران بشن هجوم على دورية استطلاعية فرنسية في ضواحي وهران⁶ بخنق النطاح، وفي 03 ماي جمع عددا من المجاهدين من ضواحي معسكر، واتجه على رأسهم إلى مدينة وهران، حيث هاجم قوة فرنسية كانت تعسكر بالمنطقة وفي 04 ماي جدد هجوماته على قوات الاحتلال الفرنسي في رأس العين بحيث حدثت معركة بين الطرفين، وخلال هذه المواجهات أظهر الأمير عبد القادر شجاعة كبيرة ففي المواجهة الأولى أصيب بحرج في أذنه بينما أصيب حصانه

¹ - M. Emrit, *l'Algérie à l'époque d'Abd elkader*, op.cit., p. 15-16.

² - A. Cour, *L'occupation Marocaine de Tlemcen Septembre 1830 - Janvier 1836*, loc.cit., p. 35.

³ - Ch.-A. Julien, *Histoire de l'Algérie contemporaine conquête et colonisation (1827- 1871)*, op.cit., p. 71.

⁴ - ساحلي محمد الشريف ، الأمير عبد القادر أباطيل فرنسية وحقائق جزائرية، تر حبيب شنيبي، دار القصة للنشر الجزائر، 2003، ص. 136-139.

⁵ - تشرشل شارل هنري ، حياة الأمير عبد القادر، تر أبو القاسم سعد الله، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2004 ص76.

⁶ - Ch.-A. Julien, *Histoire de l'Algérie contemporaine conquête et colonisation (1827- 1871)*, op.cit., p. 69.

بثمانية رصاصات، وفي المواجهة الثانية قتل حصانه تحته، وبعد هذه المواجهات تمت محاصرة الفرنسيين داخل وهران طيلة شهر ماي¹

توجه الشيخ محي الدين في 19 سبتمبر على رأس مجموعة من رجال قبائل معسكر للهجوم على حامية وهران لتضييق الحصار على القوات الفرنسية، تم في 23 أكتوبر مصادرة بعض القطعان التي أرسلت لتموين القوات الفرنسية، ولقد كان لهذه المواجهات التي تعكس التقاليد الجهادية بمنطقة الغرب الجزائري في مواجهتها للغزو الإسباني ولها دور في تأكيد عزيمة الجزائريين على المقاومة، فمن اللحظة الأولى التي دخل فيها الفرنسيون إلى وهران، أبدى الشيخ محي الدين وعيا وطنيا لم يكن لدى معظم الزعامات التي واجهت القوات الفرنسية فالشيخ محي الدين تميز عن الجميع بإدراكه للواقع وللمشروع الفرنسي والأوروبي المستهدف للعالم العربي الإسلامي ووضعية تركة الرجل المريض بعد ضعف الدولة العثمانية وتزايد أطماع التوسع الاستعماري الأوروبي، ولذلك كان يعرف مدى أهمية تنظيم المقاومة تحت قيادة واعية، تدرك المخاطر التي سوف تواجهها، لمقاومة قوات الاحتلال الفرنسي دفاعا عن الوطن الجزائري وحفاظا على سلامة أراضيهم وشرفهم وكرامتهم لذا نجده يوافق زعماء وعلماء المنطقة في اختيارهم لابنه عبد القادر ليكون على رأسهم في مواجهة الفرنسيين بالإضافة إلى ذلك فإن الشيخ محي الدين وأهل الحل والعقد اختاروا القيادة للشباب بعد امتناع الشيخ محي الدين تولي هذه المسؤولية لأنه كان يرى فيها أنها حرب طويلة الأمد ومشروع حضاري يتطلب المزيد من الجهد وسط مجتمع مشتت تمثله القبلات والزوايا فبفضل تصديه للمشروع الاحتلالي الفرنسي مبكرا ساهم في تكوين شخصية وطنية جزائرية ستنبلور ملامحها في الأمير عبد القادر الذي حاول توحيدهم في مشروع وحدوي هدفهم واحد ضد العدو الأجنبي المحتل للأراضي الجزائرية بشكل أوضح مع مشروع إنشاء الدولة الجزائرية الحديثة.

¹ - P. Azan, *L'émir Abdelkader 1808-1883, du fanatisme musulman au patriotisme français*, éd. Hachette, Paris, 1929, p. 11.

3- البيعة حيثياتها ومساندها:

مبايعة الأمير عبد القادر :

في 21 نوفمبر 1832 عقد اجتماع في سهل غريس ضم أعيان قبائل معسكر لمفاتحة الشيخ محي الدين في شأن الإمارة، وتحت ضغط المجتمعين لقبول الإمارة قال محي الدين لهم " إن الحكم يقتضي استعمال القوة بغلظة وسفك الدماء "¹، ولما امتنع عن قبول الإمارة طالبوه بأن يكون ابنه عبد القادر أميرا عليهم فقبل بذلك، ولما أبلغ عبد القادر وافق هو على ما اتفق عليه الجميع وأظهر التزامه بالمبادئ الإسلامية وتمت البيعة وفق ماكانت عليه في زمن الخلفاء الراشدين، حيث أنه بعد أن اجتمع علماء المنطقة وزعماءها وخيموا تحت شجرة الدردارة، جاء محي الدين وذويه ، وجلس عبد القادر تحت الشجرة ، فقام والده فبايعه على السمع والطاعة وبايعه الباقون وفق ما تقتضيه الشريعة الإسلامية².

في يوم 25 نوفمبر 1832م دخل الأمير عبد القادر إلى معسكر فاستقبله أهلها،³، وقد استقر مع الفرسان الذين انضموا إليه بالخصيبيية ،ثم دخل إلى جامع المدينة حيث أنته الوفود معلنة طاعتها ومبايعتها له وفي 27 نوفمبر 1832م وقع الأعيان والعلماء الذين شهدوا البيعة على الصك الذي حرره علي بو طالب ، ولما تمت البيعة كلف الأمير مجلس العلماء بأن يكتابوا رؤساء القبائل في مختلف أطراف البلاد بأمر البيعة وما وقع عليه الاتفاق ويدعوهم إلى الحضور لأداء بيعتهم كما أداها غيرهم وفي 13 رمضان 1248هـ -4 فبراير 1833م حصلت البيعة الثانية للأمير عبد القادر في ساحة مسجد معسكر، وهي تدعو الجميع للتأييد التام والطاعة المطلقة، لتأمين العدالة واستتاب الأمن ومقاومة الاحتلال الفرنسي على أرض الجزائر⁴، وبعد هذه البيعة الشاملة الصادرة عن إرادة

¹ - تشرشل شارل هنري ، المصدر السابق ، ص. 82.

² - محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، تح ممدوح حقي، دار اليقظة العربية، 1966، ص 155.

³ - P. Azan, L'émir Abdelkader 1808-1883, du fanatisme musulman au patriotisme français, op. cit., p. 14.

⁴ - حرب أديب ، المرجع السابق، ج. 1، ص. 88.

الشعب وتأييد القبائل له ، بدأ الأمير في تشكيل نواة الدولة الجزائرية الحديثة¹، وقد استطاع توجيه الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي باقامة البيعتين الخاصة والعامة من أجل ترسيخ الولاء السياسي المركزي وتأسيسا للمجتمع الجزائري ليكون مجتمعا سياسيا لإنشاء قاعدة مركزية قائمة على الطاعة والولاء، و لم تقم الدولة العثمانية أمام تلك الأحداث الخطيرة بإنقاذ الجزائر وهذا ما جعل الشعب الجزائري يشعر بالضعف والهوان أمام السلطات الرسمية للدفاع عنه وأصبحت السلطة العثمانية بدون سيادة ودخلت البلاد في حالة الفوضى والاضطراب حيث بدأت تصفية الحسابات بين القبائل.

وقد حضر البيعة سائر العلماء والأعيان من معسكر وقلعة هوار و أحوازها² لبني شقران* وبني حدوا وسجراة و قبائل غريس وأحيائه وعمائره وعشائره وأعيان القبائل الشرقية كالعطاف سنجاس وبني القصير ومرابطي مجاجة وصبيح وبني خويدم وبني العباس وعكرمة ولمحال وفليته والمكاحلية وأحلافهم وأعيان مجاهر والبرجية والحساسنة وبني خالد وبني إبراهيم القبائل وصدامة وخلافة وغيرهم من القبائل الجزائرية .

مفهوم البيعة :

لغة:المبايعة هي صفة على إيجاد البيع وعلى المبايعة والطاعة، فيقال تباعوا على أمر أي تعاهدوا فالمبايعة تعني العهد.³

اصطلاحا:البيعة دينية في الأساس منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وهي تأييد المرشح للخلافة والموافقة على الترشيح وبهذا المفهوم السياسي فهي مثل بيعة الخلفاء الراشدين و بيعة أبي بكر الصديق أول بيعة سياسية في الإسلام ويعرفها ابن خلدون: " البيعة العهد على الطاعة كان المبايع يعاهد أميره على أنه يسلم له النظر في أمر نفسه و أمور المسلمين لا ينازعه في شيء من ذلك "وهي عقد بين الحاكم و المحكوم يوجب كل منهما التزامات⁴.

تحليل نص البيعة شرعيا وقانونيا :

1 - من الناحية الشرعية:

¹ - نفسه، ص. 88.

² - نفسه، ص 164.

* بني شقران: من أغاليك الغرابية، يسكنون المنطقة الجبلية بين واد الحمام والهيرة شمالا وشارب الريح جنوبا انظر:

E. Daumas, *Correspondances du capitaine Daumas consul à Mascara, 1837-1839*, Collection de documents inédits par le Gouvernement Général d'Algérie, éd. Jourdan, Paris, 1921, p. 86.

³ - ابن منظور، لسان العرب، ط. 1، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1997، ج. 1، ص. 281.

⁴ - ابن خلدون، المقدمة، تح درويش جويدي، ط. 2، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 2000، ص. 194.

لفظ البيعة من المصطلحات الإسلامية التي ذكرت في القرآن و السنة النبوية لها مفهوم في السياسة الشرعية ومن النصوص التي ورد فيها لفظ البيعة قال تعالى " إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم"¹ وقال أيضا " لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا " ² وقال أيضا "يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين بهتان يفتريه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم " ³.

تتصيب الإمام ضرورة واقعية و فريضة شرعية :

الأمير عبدالقادر بويق أميرا على الجزائر بعد الاحتلال الفرنسي وفق واجب شرعي هو حماية البلاد و القيام بالجهاد وإقامة شرع الله بين الناس لحفظ النفوس والأموال ومنع الفتن ودفع الظلم ونشر العدل، يدير شؤون الوطن وفق المصلحة العامة للناس ويحرص على تنفيذ الأحكام ورد الحقوق والمظالم إلى أهلها على الشورى والالتزام بشريعة الإسلام لقوله تعالى "وشاورهم في الأمر" ⁴ وقوله تعالى " وأمرهم شورى بينهم " ⁵

مبايعة الأمير عبد القادر أحييت المنهاج الإسلامي الراشدي في اختيار الحاكم وتنصيبه وهذا المنهاج انحرف عنه الكثير ممن تولوا الحكم بعد الخلفاء الراشدين حيث صاروا يعمدون إلى القوة في الاستيلاء على السلطة وهذا ما أدى الى ظهور الدويلات بعد ضعف الخلافة الإسلامية في المشرق و المغرب الإسلاميين فالمبايعة نموذج إسلامي شرعي وفق مبدأ الشورى كمبدأ أساسي تم تطبيقه وفق نموذج إسلامي سليم في قيادة الحكم

وتمت مبايعة الأمير عبد القادر في أصعب الظروف التي عرفت الجزائر مما يجعل ولايته بيعة شرعية من أجل فرض الجهاد ضد قوات الاحتلال الفرنسي بعد سقوط مدينة الجزائر في 05 جويلية 1830 وعقد اتفاقية الاستسلام من طرف الداي حسين مع الجنرال ديبورمون قائد الحملة الفرنسية على الجزائر وبعد زوال النظام السياسي انتشرت فوضى عارمة.

¹ - سورة الفتح الآية 10.

² - سورة الفتح الآية 18.

³ - سورة الممتحنة الآية 12.

⁴ - سورة آل عمران الآية 159.

⁵ - سورة الشورى الآية 38.

تولى الأمير عبد القادر ادارة البلاد في ظروف صعبة تعمها الفوضى والانتقام،¹ خطورة الوضع حتم وجود حاكم مسلم يحرر البلاد ويوحدها ضد الاحتلال ويفرض الجهاد وفق قيادة شرعية توحد الشعب الجزائري وتعيد النظام السياسي بالجزائر وتم اختيار عبد القادر لعدة أسباب أهمها أنه حظي باتفاق أهل الحل والعقد، وأنه ذو حزم وعزم وعقل سليم لتنفيذ الأحكام ومن خلال مشاركاته في المعارك التي خاضها مع والده الشيخ محي الدين بوهران ضد الاحتلال الفرنسي معركة خنق النطاح الأولى والثانية ورأس العين، والبلاء الحسن الذي أظهره عبد القادر في هذه المعركة². شكلت مبايعة الأمير عبد القادر قطيعة مع الأنظمة التي سادت البلاد سابقا، فهو واحد من أبناء البلاد قبل الإمارة نزولا عند رغبة أعيان المنطقة ولذلك نجد أن من بايعه قد التزم بإرادته الحرة للعمل تحت قيادته ، بعيدا عن أي إكراه رأوا فيه الرجل المناسب ، فلقد كان يتقدمهم أثناء الزحف وأولهم تضحية من أجل الدفاع عن الجزائر كاملة دون تمييز. فحكم الأمير عبد القادر للجزائر ليس عن طريق الوراثة أو التعيين وإنما عن طريق الانتخاب والبيعة ورضى الشعب الجزائري لذا تعتبر سلطته شرعية قانونية يؤكد فيها استمرارية السيادة الجزائرية من عناصر جزائرية أكثر ارتباطا بالوطن والاهتمام بالمصالح العامة للشعب الجزائري وفق مبادئ أساسية وسلطة صارمة مطلقة مقبولة من الشعب باعتبار الدين الإسلامي المحرك الأساسي للشعب الجزائري لتدعيم الوحدة الشعبية³

البيعة قانونا :

تعتبر الحملة الفرنسية على الجزائر حربا مسلحة ضد طرف دولي غرضها انتهاك اراضيها بالقوة المسلحة واستعباد مواطنيه واستغلالهم او قتلهم، وجريمة دولية غير شرعية دوليا نظرا لما وقع من انتهاكات لحقوق الشعب الجزائري⁴ وصورة العدوان الفرنسي على الجزائر في شهر جويلية 1830 تبدو واضحة بقيادة الجنرال ديورمون والأميرال دوبري "Dupperré"⁵ احتلت

¹ - J. Ladmir, *Les guerres d'Afrique*, éd. Renault, Paris, 1858, p. 42 -43.

² - I. Derrien, *Les Français à Oran depuis 1830 jusqu'à nos jours*, éd. Niot, Paris, 1886, p. 33.

³ - B. Abdelhamid, *L'État Algérien en 1830 institutions sous l'émir Abdelkader, entreprise populaire algérienne*, éd. SNED, Alger, p. 70.

⁴ - سعد الله عمر ، الحملة الفرنسية على الجزائر في ظل القانون الدولي، مجلة مصادر، العدد 12، السداسي الثاني، الجزائر، 2005، ص 18-20.

⁵ - دوبري : 1775 - 1816: ولد في لاروشال دخل الخدمة العسكرية في 1793، قاد في 1810 سفينة لابلون الحربية، وفي 1811 حملة الدفاع عن الأدریاتيك، ونائب أميرال في 1823 عين قائدا لجيش البحرية. عينه لويس فيليب بعد حملة الجزائر أميرال فرنسا وعين وزير البحرية 3 مرات وفي قائد لمجلس البحرية في 1846 ينظر:

T. Changarnier, *Mémoire du général Changarnier*, éd. Levraut, Paris, 1930, p. 2.

هذه القوات الفرنسية مدينة الجزائر وفرضت على الداي حسين توقيع معاهدة الاستسلام للشروط الفرنسية¹

تعتبر الحملة الفرنسية خرقا للسلام الدولي باستعمال القوة المسلحة ضد الشعب الجزائري بقمع اعتباطي يشكل انتهاكا للقانون الدولي وعملا منظما لتحقيق مكاسب مادية من أجل السيطرة على الأراضي والاقتصاد الوطني، والسيطرة على الشعب بارتكاب عدة جرائم وهذا ما يخالف القانون الدولي وانتهاكا لحقوق الانسان فالحملة عملت على الحاق الجزائر بفرنسا.

معاهدة الاستسلام والتخاذل العثماني في مواجهة قوات الاحتلال الفرنسي تعتبر نهاية الحكم العثماني بالجزائر، بعد سنتين من الاحتلال الفرنسي² للجزائر لم تقم الدولة العثمانية بأي ردة فعل للدفاع عن الجزائر باعتبارها ايالة كانت تحت الحكم العثماني بينما تراجع الباي أحمد نحو مدينة قسنطينة الذي كان يعتبر نفسه الممثل الشرعي للدولة الجزائرية بعد استسلام الداي حسين كما استسلم الباي حسن لقوات الاحتلال الفرنسي، لذا لا بد من اختيار قائد يدافع عن الوطن الجزائري في ظل الانتهاكات الفرنسية للأراضي الجزائرية بعدما فشلت كلا من تونس والمغرب في ادارة الشعب الجزائري حيث كانت رغبتهما جمع الضرائب والتوسع على حساب الأراضي الجزائرية تمت مبايعة الأمير عبد القادر بعدما أحس الشيخ محي الدين أن المعركة طويلة الأمد وتستلزم جهودا كبرى لمواجهة دولة فرنسية أكثر تجهيزا واصرارا للاحاق الجزائر بفرنسا، فالمبايعة من الناحية القانونية تعتبر شرعية من أجل الدفاع عن الوطن وفق ارادة الشعب الجزائري نظرا للفراغ السياسي بعد سقوط حكومة الداي وتسليمه لمقاليد الحكم لقوات الاحتلال الفرنسي، والبيعة قضية وطنية للمحافظة على مصالح الشعب الجزائري وتنظيمه وتمثل هذه البيعة الأسس التطبيقية للدولة الجزائرية التي تعمل للدفاع عن الوطن ضد الاعتداءات الفرنسية وفق أطر وطنية فلم يستدع لحضور البيعة لا المغاربة ولا التونسيين ولا أية شخصية من دول عربية أو اسلامية بل كانت بيعة جزائرية مهمتها الدفاع عن الوطن الجزائري وطرد قوات الاحتلال الفرنسي، فالحكم العثماني تميز

¹ - R. Demont, *Histoire de la conquête de l'Algérie de 1830-1847*, éd. Arel, Paris, 1847, t. 1, p. 78-79.

² - تشرشل شارل هنري، المصدر السابق، ص 76.

بالحكم الانفرادي ومن خلال المعطيات التاريخية نلمس غياب العنصر الجزائري المحض في الإدارة العثمانية، بحيث إن كل العناصر الفعالة في المنظومة الإدارية العثمانية كانت من جنسيات مختلفة، أي عثمانية من ألبان أو أرمن، أو يونان وبعض الكراغلة، كما أن رياس الحكم كلهم كانوا عثمانيين، في حين أن المنظومة الإدارية في عهد الأمير عبد القادر تميزت بحكم أبناء البلد أي جزائريين.

البيعة التي أحدثها الأمير عبد القادر عقد اجتماعي وسياسي يتضمن حقوق وواجبات بين الحاكم والشعب على أساس تجديدي وحركة حديثة في مسار التاريخ الجزائري والاسلامي.¹ أصبح فيه الولاء للشعب وليس لأقليات تتحكم في السلطة فمشروع البيعة هو مشروع اجتماعي حضاري لم تتبعه أي دولة عربية أو اسلامية في العصر الحديث، فحول الخليج والشام كانت طريقة حكمها على الطريقة الشيعية القبلية وبعضها تحت الحكم العثماني وكانت مصر تحت سلطة أسرية بقيادة محمد علي وكذلك ليبيا نظامها أسري بقيادة الأسرة القرامنلية وفي تونس الأسرة الحسينية بينما كانت المغرب تحت ولاء ملكي وراثي بقيادة الأسرة السعدية والعلوية وكانت الدولة العثمانية ذات سلطة وراثية²، بينما الجزائري في عهد الأمير عبد القادر كانت سلطتها وفق اختيار الشعب وادارته على أساس شوري انتخابي.³ ومن خلال بيعته نلمس حضور الشخصيات البارزة التي حضرت البيعة انهم عملوا على انتخاب وبيعة واحد منهم ، بمعنى يتمتع بالشخصية الجزائرية بالمصطلح الحديث لذلك فبيعة الأمير عبد القادر كان لها هدف منذ البداية ، الى جانب الجهاد وهو الغاية الأولى، كانت لها قاعدة سياسية، بيعة الأمير عبد القادر فقد كانت ذات إرادة شعبية وطنية، وهذا ما يثبت الشرعية الكاملة للبيعة، ويؤكد ارتباطها بالانتخاب ونستشف ذلك من خلال خطابه الى جموع مبايعيه والرجل الذي يكلمكم الآن ليس بوال ولا موظف وإنما هو رجل منكم، ابن الجزائر الذي سيحكم بالعدل على هدى القرآن وسنة الرسول الكريم، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وغايتنا وحدة شمل القبائل والقضاء على الفساد ومواصلة الجهاد، ودولتنا تحتاج إلى دعم سيادتها والتقيد بنظامها الإسلامي واحترام قوانينها، هذه الدولة هي دولتك وانتصارها هو انتصار لكم" نلمس أن الأمير عبد القادر يحاول إيقاظ الشعور بالمسؤولية من أجل حماية البلاد ومقاومة الاحتلال الفرنسي، و يؤكد لأبناء الشعب الجزائري سقوط الحكم العثماني بالجزائر ويعلن فعليا

¹ - نفسه ، ص 59 .

² - عمير اوي حميدة ، موضوعات في تاريخ الجزائر السياسي، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، 2004، ص 13-14.

³ - T. Changarnier, Mémoire du général Changarnier, op.cit., p. 61.

الانفصال الرسمي عن الدولة العثمانية، ويجب الاعتماد على النفس من أجل تحرير الجزائر، المبايعة عقد قدمه الأمير عبد القادر للشعب الجزائري، للدفاع عن الوطن¹. من هنا يتضح إن البيعة تعتبر مسؤولية تحمل الأمير عبد القادر أعباءها لحماية الدين الاسلامي والوطن بناء على اختيار الأغلبية من الشعب له، ففكرة سياسة الدولة في القرن 19م وفق إرادة الشعب لم تكن غائبة عن فكر الأمير عبد القادر وممارسته لها .

4- نشأة الجيش الشعبي الوطني " تطوع الشباب الجزائري في جيش المقاومة الوطنية " :

1- المتطوعون :

شكل المتطوعون الجزء الأكبر من قوات المقاومة الشعبية بقيادة الأمير عبد القادر، فمنذ دعوة الشيخ محي الدين للجهاد ضد قوات الاحتلال الفرنسية بوهرا ن بادرت بعض قبائل المنطقة بتقديم يد العون له، حيث زودته بالمقاتلين وتواصلت هذه العملية بعد البيعة² ولقد كان هؤلاء المجاهدين المتطوعين أناسا عاديين لم يحترفوا الجندية ، فمنهم من كان فلاحا يدفعه الحماس الديني والشعور بالانتماء إلى الوطن لقتال المحتل الفرنسي المنتهك للأراضي وحقوق الشعب الجزائري وحرمة مساجده، فمعظمهم كان يتحمل نفقاته الخاصة بالجهاد من أحصنة وأسلحة ومؤن³، غير أن أكثر المجاهدين كانوا لا يملكون تلك الإمكانيات، فكانوا ينضمون على شكل فرق من المشاة بعد أن يتم تزويدهم بالسلاح من ميزانية الدولة الجزائرية والتي لم تكن قادرة في أغلب الأحيان على تغطية جميع مستلزمات القتال للمجاهدين، وقد كان منهم من لم يكن يملك سوى حصان واحد يعتمد عليه

¹ - تشرشل شارل هنري ، المصدر السابق، ص156.

² - حرب أديب، المرجع السابق، ج. 2، ص. 106.

³ - تشرشل شارل هنري ، المصدر السابق ، ص. 135.

في حياته العملية والجهادية وعندما يفقده في القتال، كان الأمير يسعى لتعويض خسارته حتى وإن كان ذلك من ماله الخاص¹.

لقد واجهت الدولة الجزائرية عدة صعوبات أهمها مشكلة تمويل المتطوعين وكذا مشاكل التنظيم والتدريب التي كانت تعاني منها هذه القوات الوطنية في مواجهة جيش الاحتلال الفرنسي الذي استفاد من التطور الحاصل في فرنسا نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر حيث كانت الخدمة العسكرية الإجبارية مطبقة في فرنسا منذ سنة 1691²، كما استفاد الجيش الفرنسي من قوى الجنود المرتزقة منذ 1726³، كما ساهمت المدارس الفرنسية العسكرية في الرفع من أساليب القتال لدى ضباط جيشها ومن أهم تلك المدارس المدرسة الملكية بباريس التي أنشئت في سنة 1751 ومدرسة الهندسة العسكرية سانسير التي أنشئت في سنة 1748⁴، إلى جانب تطور الصناعة الحربية الفرنسية التي كان لها دور كبير في زيادة القدرات العسكرية لدى جيش الاحتلال الفرنسي بفضل معامل الأسلحة الحديثة التي أنشئت في سنة 1718م في مدينتي موبورج وشارلفيل⁵، كان التباين التجهيزي بين قوات الجيش الشعبي الوطني وجيش الاحتلال الفرنسي، شاسعا وميزان القوة طوال فترة المقاومة التي امتدت من 1830 إلى 1847م في صالح الجيش الفرنسي

نشأ الجيش الجزائري في ظروف صعبة تعود جذورها إلى فترة الحكم العثماني بالجزائر وقد برزت ملامحها بعد الاحتلال الفرنسي للبلاد، فالحكم العثماني كان يخدم مصلحة البايات والدايات في جباية الضرائب وصرف أموالها في حفلات البذخ والترف ولم تهتم هذه الإدارة بتطوير البلاد، فالأشغال العمومية والتعليم وإدخال التصنيع لم تكن تحظى باهتمام هذه الإدارة⁶، عانى الشعب الجزائري من هذه الإدارة الفاسدة. بالرغم من الإمكانيات المتوفرة بهذه المنطقة إلا أن استخدامها لم يكن بطريقة عقلانية⁷ أما من الناحية الثقافية فلقد كانت الجزائر بصفة عامة كغيرها من مناطق العالم الإسلامي تعتمد في على طريقة تعليم تقليدية نقلية تعتمد على الحفظ والتكرار لا تعتمد التحليل والنقد كوسيلة تخدم المجال الفكري، وبذلك فالجانب الثقافي بدوره لم يساعد الأمير عبد القادر على

¹ - اسكوت، مذكرات الكولونيل اسكوت عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر 1841، تر إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص. 17.

² - سليمان نوار عبدالعزيز - محمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة حتى الحرب العالمية الأولى، دار الفكر العربي، مصر، 1999، ص 277.

³ - عميراي حميدة، جيش الاحتلال الفرنسي في الجزائر، مجلة سيرتا، العدد 12، قسنطينة، 1999، ص. 55.

⁴ - D. George, M. Robert, *Histoire de la civilisation française*, éd. Colin, Paris, 1968, p. 20.

⁵ - سليمان نوار عبدالعزيز، عبد الحميد البطريق، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا، دار النهضة العربية، لبنان، 1974، ص. 243.

⁶ - Ch.-A. Julien, *Histoire de l'Algérie contemporaine conquête et colonisation (1827- 1871)*, op.cit., p. 15.

⁷ - V. De Paradis, *Tunis et Alger au 19^{ème} siècle*, éd. Sindabad, Paris, 1983, p. 120.

إنشاء جيش وطني قوي إذ الأوضاع الاقتصادية والثقافية الصعبة عرقلت مشروع الأمير لإنشاء جيش لمقاومة الفرنسيين مشاكل في غاية التعقيد ، فالى جانب القبائل الكبيرة والقوية التي كانت تمارس نفوذا في العهد العثماني والحاميات العثمانية الباقية في بعض المدن، والكوروغليين في تلمسان ، كانت الولاية عرضة لتيارات الأطماع السياسية التي تحوم بها من كل جانب وبذلك كان الوضع العام لا يشجع على إنشاء جيش مجهز حديث، فكان على الأمير أن يعتمد على موارد المنطقة من الزراعة والسعي إلى تنمية تيارات تجارية جديدة مع الخارج وبالأخص مع المغرب ومحاولة إقامة صناعات محلية، إلا أن كل ذلك النمو الاقتصادي الذي سعى من أجله الأمير لبقاء دولة قوية كان مصيره التحطيم بمفاعيل تلك الحرب الدائرة بينه وبين الفرنسيين¹.

2- نشأة الجيش الجزائري:

يدخل إنشاء الجيش من قبل الأمير عبد القادر ضمن إستراتيجيته العسكرية لمواجهة القوات الفرنسية والتي تضمنت إلى جانب إقامة جيش نظامي توفير الأسلحة وإنشاء مصانع لإنتاجها وبناء القلاع ، فبعد احتكاك الأمير عبد القادر بالقوات الفرنسية رأى أنه من الضروري إنشاء جيش نظامي وطني جزائري تكون مهمته الدفاع عن الدولة الجزائرية الحديثة، وبعد جمعه لأعيان البلاد خطب فيهم مبرزاً لهم أهمية وجود جيش نظامي ، فأجابته البعض على ذلك ، وتمّ الإعلان عن هذا القرار في الأسواق والمساجد² ، حيث جاء في هذا الإعلان كما يلي : "ليبلغ الشاهد الغائب : أنه صدر أمر مولانا ناصر الدين ، بتجنيد الأجناد ، وتنظيم العساكر ، من كافة البلاد ، فمن أراد الدخول تحت اللواء المحمدي، ويشمله عز النظام فليسارع إلى دار الإمارة بمعسكر، ليتقيد اسمه في الدفاتر الأميرية"³، وبذلك فالأمير نظر إلى إمارته نظرة رجل الدولة المسؤول فعمل جاهداً، لإنشاء جاهداً، لإنشاء جيش منظم وقوي، وقد تأثر في ترتيب وحداته إلى حد كبير بالقوانين الأجنبية، بالإضافة إلى خبرته وتجربته في المعارك التي خاضها ضد القوات الفرنسية⁴.

3- تنظيم الجيش: أمام استجابة القبائل التي دعاها الأمير للانضمام الى الجيش رأى أنه من الضروري جدا وضع قانون يحكم الجند وينظمهم ، وقد كان ذلك القانون مجموعة من المسائل

¹ - أندري برينان وآخرون، الجزائريين الماضي والحاضر، ترابح اسطيمولي - منصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص. 267.
² - B. Abdelhamid, *L'État Algérien en 1830 institutions sous l'émir Abdelkader, entreprise populaire algérienne, op.cit.*, p. 93-111.

³ - محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص 191.

⁴ - حرب أديب ، المرجع السابق، ج 2 ، ص 73.

والقوانين قام مستشاره قدور بن رويلة بتبويبها وترتيبها في كتاب أسماه "وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب" لتنظيم وحدات الجيش الشعبي الوطني .

- أصناف الجيش الجزائري :

1- المشاة (العسكر المحمدي) : لقد قسم الأمير عبد القادر الجيش المحمدي إلى مجموعات تضم كل مجموعة مائة ، وقسم كل مجموعة إلى ثلاثة أقسام وجعل لكل فرقة تضم 33 فردا خيمة عسكرية خباء ومسؤولا عنهم برتبة رئيس صف ، وجعل له نائبا يقوم مقامه إن غاب ، سماه "الخليفة" ، وجعل لكل سياف كاتب يكتب ما يعرض لهم ، كما جعل الأمير على رأس كل عشرة سيافين فأكثر رئيسا يسمى قائد العسكر المحمدي¹ ، وكان يرافق هذه الوحدات حامل الراية ، ومعلم فنون الحرب ، وصاحب الطبل ، وهؤلاء يقيمون مع قائد العسكر ، بالإضافة إلى هؤلاء هناك شاش العسكر المكلف بنقل المراسلات والتعليمات وكانت مهمة تنصيب وعزل هذا الشاش بيد الآغا الذي كان يعين بدوره من قبل الأمير، وكانت مهمته تتمثل في تنظيم وتدريب وتجهيز وحداته² ، ومن بين الذين شغلوا هذا المنصب قدور بن بحر، عبد القادر بن عز الدين ، محمد فوشارمة، محمد السنوسي، أحمد الغديوي.³ كان نظام الانخراط في الجيش الوطني الشعبي وفق إرادة الشعب لم يكن تجنيدا إلزاميا رغم أن التوسع الاستعماري الفرنسي استهدف جميع مناطق البلاد، يوفر لهذه الجنود الأسلحة ويتقاضون أجورا بسيطة لشراء متطلبات عائلاتهم⁴

2- الفرسان : ويسمون أيضا الخيالة ، وكان يتولى قيادتهم قائد يعينه الأمير يسمى "رئيس الخيالة" وهو الذي يشرف على تدريبهم وتجهيزهم بالسلاح، ويتألف هذا الصنف من كتائب تضم كل واحدة ألف فارس يقودها آغا ، وكل كتيبة تضم مجموعة من السرايا تتألف الواحدة منها من خمسين فارسا يرأسها سياف⁵، كما يندرج ضمن هذا الصنف من الجيش فرقة تتكون من عشرين فارسا تسمى بالفصيلا يقودها رئيس صف يساعده شاوش، ولكل مائة من الفرسان كاتب وعلى مجموعة من الكتاب رئيسا يدعى رئيس الكتاب أو باشا كاتب⁶ فرقة الفرسان المعتمدة في الجيش الوطني الشعبي لم تكن ذات تدريب محكم وتجهيز منظم وإنما كان كل فارسا متطوعا في الجيش

¹ - بن رويلة قدور ، وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب، تح محمد بن عبد الكريم ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1968، ص. 40.

² - حرب أديب ، المرجع السابق، ج. 2، ص. 79.

³ - B. Abdelhamid, *L'État Algérien en 1830 institutions sous l'émir Abdelkader, entreprise populaire algérienne, op.cit.*, p. 112.

⁴ - A. Belmare, *Abdelkader sa vie politique et militaire*, éd. Bouchene, Paris, 2003, p. 120.

⁵ - بن رويلة قدور ، المصدر السابق ، ص. 40.

⁶ - قداش محفوظ ، جيش الأمير عبد القادر تنظيمه وأهميته، ترحسن بن مهدي، مجلة الثقافة، العدد 75، عدد خاص بالذكرى المئوية لوفاة الأمير عبد القادر، الجزائر، 1983، ص. 60.

يتطوع بفرسه بينما سلاحه توفره الدولة، ولم تكن الخيول مدربة على الحرب وخوض المعارك، والمدرّبون يسهرّون على ترويضها على الحرب والاقدام في مواجهة طلقات البارود والمدافع الفرنسية هذه القوات الوطنية قاومت فرسانا فرنسيين اكثر خبرة وتجهيزا، ولها عدة تصنيفات لكل منها مجال اختصاصه الى جانب خبرتها في ممارستها للحروب باوروبا،¹

3- المدفعية :

المدفعيون يسمون كذلك "الرماة الطبقية " وكانوا تحت إمرة قائد يسمى باشا طوبجي كل قطعة مدفعية يقوم بخدمتها 12 مدفعي ،يعين عليهم رئيسا وكاتباً²، كان على رأس مدفعية الجيش الجزائري محمد آغا ، يجند لخدمة هذا السلاح مائتين وأربعين عنصرا مشرفين على عشرين مدفعا فقط الا أن جهاز المدفعية لم تكن له أهمية قصوى نظرا لتطور القصف المدفعي الفرنسي وتتطلب المدفعية حاملات وخيول لجرها فلم يكن جهاز المدفعية من استراتيجية الحرب الشعبية الجزائرية لنقص شحنها وقصر مدى قصفها مقارنة بالمدفعية الفرنسية وعدم نجاح مشروع الدولة الجزائرية في صناعة المدافع التي كلفت خزينة الدولة تكاليف باهضة، الاستراتيجية الحربية التي اعتمدتها قوات الجيش الوطني تعتمد على قوات خفيفة الحركة واستعمال أسلوب الكر والفر بعد استهداف مراكز قوات الاحتلال الفرنسي الأكثر تجهيزا والأكثر عدة وعددا كما ان عدم استعمال المدفعية في المعارك توفر للجيش الوطني الشعبي عدة فرسان وتسهل لهم عملية الانسحاب في حالة الانهزام

4- الحرس الأميري : وهي مجموعة من خمسمائة جندي بإمرة سالم آغا، اتخذهم الأمير لحماية

ما كان يقيمه من مؤسسات الدولة، وكذا حماية العزل وغير القادرين على القتال³

5- جهاز الطب العسكري :

إن الجنود المصابين كان يتم نقلهم إلى مشفى بني بأمر من الأمير عبد القادر، حيث يجدون الفراش والأكل، وفي حالة الحرب كان كل أربعة أفراد يعرفون معالجة الإصابات البسيطة يشكلون مستشفى متنقل يتبع الوحدات المقاتلة،ذلك أن المعالجين الذين كانوا تحت إمرة الأمير لم يكونوا أطباء وإنما مجموعة من المقاتلين الذين أخذوا على عاتقهم مداواة المصابين، وبالرغم من أن هؤلاء ليسوا على دراية كبيرة بمهنتهم إلا أنهم كانوا يتقنون معالجة الأمور غير المعقدة كتضميد

¹ - الزمالة والدواير : قبائل المخزن في عهد الأتراك كانت الزمالة تتمركز بين مدينة وهران كانت لها الدور الكبير في عمليات 1835، 1836 و1837 الحربية أما الدواير كانت مقسمة إلى أربع مجموعات: دواير غمرة، ولاد بوعامر وولاد عبد الله تقيم في تموشنت ينظر:

E. Dumas, *Correspondances du capitaine Dumas consul à Mascara ,1837-1839, op.cit., p. 4.*

² - بن رويلة قدور ، المصدر السابق ، ص. 40.

³ - حرب أديب ، المرجع السابق، ج. 2، ص.83-84.

الجروح وتجبير العظام¹، لم يكن الجهاز الاستشفائي للدولة الجزائرية بنفس الدرجة التي كان عليها الجهاز الطبي الفرنسي، أطباؤه من خريجي جامعات طبية فرنسية تعلموا أساليب الجراحة والتضميد ومعالجة الأمراض والكسور ويساعدونهم في مهامهم ممرضين ممتننين لهم خبرة بالمجال الاستشفائي وكان هذا الجهاز يرافق قواته العسكرية في معاركهم ضد قوات الجيش الوطني الشعبي بينما الذين امتننوا تضميد الجروح والاصابات في صفوف الجيش الوطني الشعبي فما هي درجتهم العلمية وأين درسوا الطب الذي كان محرما خلال العهد العثماني؟ كان التداوي بالاعشاب والخرافات حيث لم تتواجد جامعات لدراسة الطب والتمريض بالجزائر

6- جهاز الطنبور والموسيقى :

الطنبور والموسيقى كانت من الوسائل التي ترفع الروح المعنوية للجنود ، كما أنهما وسيلتان من وسائل الاتصال ، وكان للطنبل معلما يسمى بالطنبورجي وهو الذي يجمع العسكر لتعلم الحرب بنقر الطنبور بصيغة معينة ، وله صيغ أخرى ولكل صيغة دلالة معينة².

7- لباس الجند :

لقد كان يخاط من أقمشة مختلفة الألوان حسب الرتب وهي من اللون الأحمر القاتم والأحمر الفاتح والأسود، فالضباط أصحاب الرتب العليا كانوا يلبسون بدلات عسكرية من أقمشة ذو لون أحمر فاتح، أما السيفيين فبدلاتهم من أقمشة لونها أحمر قاتم، أما المستشارين والطمبورجية فكانت بدلاتهم من القماش ذو اللون الأحمر القاتم، أما ضباط الصف والكتاب والشواش فكانت بدلتهم من القماش ذو اللون الأسود³، بينما كانت بدلات الجنود العاديين متشابهة ، أما الخيالة فمهما كانت رتبهم بدلتهم من أقمشة حمراء ، وكانت البدلة تعطى للجندي من بيت المال ، وبدلة الجندي تتكون من قميص وسروال عريض ومعطف قصير وصدريّة وشاشية وبلغة وجوارب طويلة،

¹ - نفسه ، ص. 140.

² - بن رويلة قدور ، المصدر السابق ، ص. 46.

³ - B. Abdelhamid, *L'État Algérien en 1830 institutions sous l'émir Abdelkader, entreprise populaire algérienne, op.cit., p.*

وبرنوس بالنسبة للخيلة¹ كانت هذه الألبسة تقدم عن طريق التطوع أو الشراء وبعضها كانت تقدم كهدايا، كما أنشئت في بعض المدن مصانع للنسيج تنتج ألبسة الجند أهمها كانت بتلمسان

8-التدريب :

لقد اعتنى الأمير بتدريب الجيش على أساليب القتال الحديثة وألحق بقواته مجموعة الفارين من الجيش الفرنسي ،الذين درسوا الخطط الحربية التي تلقوها ونفذوها عمليا مع جيش الاحتلال الفرنسي²، كان الجنود المقيمون في الحامية ملزمين بحصص من التدريب العسكري يمارسونه ثلاث مرات في الأسبوع التي كانت تتضمن تمارين السير في صفين وكيفية استعمال الأسلحة ، وكان يفرض على الجندي عقوبات إذا خالف القوانين العسكرية وهي متفاوتة في الشدة واللين حسب رتبة الجندي³، مدربوا الجنود بعضهم استجلبوا من تونس، وطرابلس وبعض الفارين من الجيش الفرنسي الذين لم يستطيعوا مواجهة قوات الجيش الوطني الشعبي⁴ تدريب الجيش الوطني الشعبي كان تدريبا شكليا يتمثل في كيفية حمل السلاح واستعماله ضد قوات الاحتلال الفرنسي فلم تكن بالجزائر مدارس عسكرية مثل سان سير لتكوين الضباط الفرنسيين وتدريب الجيش على المناورات الحربية والخطط والاستراتيجية العسكرية وتنظيم عسكري وفق رتب عسكرية متصاعدة في اطار قوانين محكمة ووزارة حربية تشرف على تموين وتمويل الجيش والسهر لتوفير الشروط المناسبة من عتاد حربي وتجهيز طبي لاتمام مهامه المتمثلة في احتلال الجزائر في مواجهة مجاهدين جزائريين متطوعين في الجيش أغلبهم كانوا يمارسون الزراعة في هذا الصدد يتعجب جونتي ديبيسي " Genty-De Bussy " ويقول : رغم التدريب العسكري والتوازن في السلطات العسكرية والمدنية الفرنسية بالجزائر الا أنه عبد القادر السؤال المطروح في الجزائر ؟ من أين استقى هذا العربي تدريباته⁵ ؟

9-أسلحة الجيش الجزائري :

اعتمدت الدولة الجزائرية بقيادة الأمير عبدالقادر عدة طرق لجلب الأسلحة، سواء من داخل الجزائر عن طريق بعض القبائل الجزائرية أو من المصانع الجزائرية التي انشئت لتموين قوات الجيش الوطني الشعبي أهمها مصنع تلمسان والمدية ومليانة ومعسكر وتاقدمت.

¹ Ibid., id., p. 113.-

² حرب أديب ، المرجع السابق، ج. 2، ص.121.

³ بن رويلة قدور ، المصدر السابق ، ص.69.

⁴ A. Belmare, Abdelkader sa vie politique et militaire, op. cit., p. 121.-

⁵ G. De Bussy, De l'établissement des Français dans la Régence d'Alger, éd. Didot, Paris, 1839, t. 1, p129.-

يعتبر الدعم بالأسلحة والعتاد من داخل الجزائر واجبا يفرضه واجب الدفاع عن البلاد على جميع القبائل الجزائرية، بينما كانت كميات كبيرة تجلب من الخارج بواسطة وكلاء تجاريين اعتمدتهم الدولة الجزائرية في اطار التبادل التمويني¹ أما أهم المساعدات في هذا المجال فكانت تلك التي كانت تأتي من المغرب في المرحلة الأولى من المقاومة الشعبية الجزائرية، عن طريق الشراء وبعضها كانت تقدم مجانا كمساعدات كما تعاملت الدولة الجزائرية مع الادارة الفرنسية في أوقات الهدنة لشراء الأسلحة والذخيرة²، من بعض الموانئ اشترى من وهران ، بعد اتفاقية ديميشال في سنة 1834م حوالي 400 بندقية³، وفي آخر هذه السنة تسلم الأمير 1110 بندقية، كما نصت المادة السابعة من اتفاقية التافنة على حق الأمير في شراء البارود والكبريت والسلاح الذي يحتاج إليه من فرنسا⁴ وصلت مساعدات من ملك المغرب في سنة 1833م تضمنت 100 بندقية، ومثل هذا العدد من السيوف وكميات الذخيرة، كما تلقت في سنة 1841م شحنة أسلحة من المغرب⁵، تقدر بألف بندقية وبعض الحمولات من البارود وأسلحة اقتنتها الدولة الجزائرية عن طريق الشراء من المغرب الأقصى والتي كانت تأتي خصوصا من جبل طارق وتمر عبر الحدود بمساعدة السلطات المغربية⁶، قبل أن تتوتر العلاقة بين الجزائر والمغرب⁷، كما كان الأمير يصنع الأسلحة في تاقدمت ، كما أنشأ في مليانة مصنعا خصيصا لصناعة البنادق ، وكذلك الأمر بالنسبة لتازة ومعسكر⁸، وبالرغم من هذه الموارد كان الجيش الجزائري بقيادة الأمير يعاني من قلة الأسلحة، فحالة الحرب كانت تؤدي إلى نقص الموارد المالية وهو ما أثر بدوره على التموين بالأسلحة خصوصا بعد توتر العلاقات بين الأمير عبد القادر والسلطان عبد الرحمان سلطان المغرب، استخدم الجيش الوطني الشعبي في معاركه ضد قوات الاحتلال الفرنسي البنادق التي تنتجها المصانع الانجليزية والفرنسية وتستورد بعضها من اسبانيا⁹

10- تعداد الجيش :

¹ - A. Belmare, *Abdelkader sa vie politique et militaire, op. cit.*, p. 121.

² - اسكوت، المصدر السابق، ص. 70.

³ - نفسه ، ص. 187.

⁴ - نفسه، ص. 203.

⁵ - نفسه ، ص. 70.

⁶ - العربي إسماعيل، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1982، ص. 267.

⁷ - A. Belmare, *Abdelkader sa vie politique et militaire, op. cit.*, p. 121.

⁸ - اسكوت، المصدر السابق ، ص. 204.

⁹ - M. Emrit, *L'Algérie à l'époque d'Abd elkader, op. cit.*, p. 266.

ان معظم الجنرالات الفرنسيون الذين واجهوا الأمير عبد القادر في المعارك كانوا على علم بقلّة قوات المقاومة الشعبية التي كانت تواجههم من متطوعين، ففي معظم المواجهات لم يتعدّ تعدادها ثلث قوات الجيش الفرنسي، ليصبح تعداد قوات المقاومة في سنواتها الأخيرة لا يقارن بتعداد الجيش الفرنسي، بحكم الظروف السائدة من حرب ونقص في التموين أدى إلى إضعاف هذه القوات فمعظم قوات المقاومة الشعبية كانت من المجاهدين المتطوعين وبالرغم من ذلك فالأمير حاول إقامة جيش وطني شعبي جزائري، لكن نقص الوعي الوطني وعدم تواجد انسجام اجتماعي منسق وموحد للجهود جعل هذا المشروع غير مكتمل هذا مقارنة مع قوة جيش الاحتلال الفرنسي وتزايد قواته عدة وعددا.

11-المخيم العسكري :

معسكر الجيش الشعبي الوطني الجزائري يتخذ شكلا نصفه دائري ويتكون من عدد من الخيام مخروطية الشكل، وللمعسكر مدخل رئيسي، وفي مقدمة المعسكر تتصب خيمة رئيس سلاح المدفعية، ويقابلها خيمة رئيس التمريض، وفي نصف الدائرة خيمة الأمير عبد القادر¹، وعلى يمينها ويسارها تتصب خيم كتاب أسرار الأمير ومن ورائهم خيم محافظ الخزينة ومستودعات أسلحة وأغذية الجند لتأتي بعدها مراكز حاملي الرايات ومربط الخيل.

12- القلاع والحصون التي أنشأها الأمير عبد القادر :

الإستراتيجية الحربية بقيادة الأمير عبد القادر كانت تتطلب منع توغل قوات الاحتلال الفرنسي نحو المدن الداخلية ، لذا تم إنشاء خط من المواقع المحصنة في الحدود الجنوبية لمنطقة التل، لهذه المواقع أهمية إستراتيجية وتموينية جد مهمة، أهم المواقع سبدو في جنوب تلمسان وسعيدة في جنوب معسكر، وتاقدمت في جنوبها الشرقي وتازة في جنوب مليانة، وبو غار في جنوب المدية، وزاوية بلخروب في جنوب شرقي مدينة الجزائر، ثم بسكرة في جنوب قسنطينة.

أ- قلعة تاقدمت :

¹ - P. Azan, *L'émir Abdelkader 1808-1883, du fanatisme musulman au patriotisme français*, op. cit., p.136.

بدأت عمليات بناء مدينة تاقدمت في ماي 1836م على هضبة تنقسم الى حصن كبير وصغير وقلعة، والهدف من انشاء المدينة من أجل توفير المؤن لرفع أنقاض القسبة القديمة وبناء معقل¹. ومن أسباب تأسيس الأمير لهذه المدينة لأنه كان يجد في مدينة تاقدمت حصنا يقيه من الهجمات الفرنسية ويستطيع جمع شمل القبائل الجزائرية لرد الهجمات الفرنسية واسترجاع المدن المحتلة² وحتى يستمد قوته لمواصلة المقاومة الوطنية³.

ب- **قلعة تازة**: تم تأسيسها شهر ماي 1838م وأهم منشآتها، قلعة ذات أربعة أبراج، ومعملين أحدهما للدباغة⁴.

ج- **قلعة سعيدة**: تم تشييدها في جانفي 1839م، جنوب مدينة معسكر 72 كلم⁵ وكانت تحتوي مخازن وطاحونة هوائية ومصانع للأسلحة ودور لتصليحها⁶

د- **قلعة سبدو**: أسست في شهر جوان 1839م ، بقيادة الخليفة البوحميدي* ، وكانت هذه القلعة بها مطحنة ومصنع لصهر الحديد⁷.

هـ - **قلعة بوغار**: تم تشييدها في شهر جويلية 1839 تحت إشراف الخليفة محمد البركاني، وهي تبعد عن المدينة بحوالي 80 كلم، شيد فيها مخبرة ومصاهر للحديد، وسجن وورشة لتصليح الأسلحة ومطحنة للحبوب⁸ وبه معامل لنسج البرانس، وللدباغة، ومخازن للكبريت ومعدن الرصاص⁹.

¹ - A. De France, *Les prisonniers d' Abdelkader ou cinq mois de captivité chez les Arabes*, éd Desessart, Paris, 1837, t. 1, p. 170.

² - Ibid., id., t. 1, p. 178 -179.

³ - L. Roche, *Dix ans à travers l' Islam 1834-1844*, éd. Didot, Paris, 1884, t. 1, p. 277.

⁴ - P. Azan, *L'émir Abdelkader 1808-1883, du fanatisme musulman au patriotisme français*, op. cit., p. 171.

⁵ - J. Ladmir, *Les guerres d'Afrique*, op. cit., p. 263.

⁶ - De Mintimpry, *Souvenirs d'un officier d'état major histoire de l'établissement de la domination française dans la Provinces d'Oran*, éd. Quantin, Paris, 1886, p. 119 -120.

* محمد البوحميدي الولهاسي: امتدت سلطته من تلمسان حتى الحدود المغربية توفي بتازة المغربية في ديسمبر 1847 أنظر: اسكوت، المصدر السابق ، ص. 74.

⁷ - بورويبة رشيد ، القلاع والحصون التي أنشأها الأمير عبد القادر، مجلة الثقافة، العدد 75، عدد خاص بالذكرى المئوية لوفاة الأمير عبد القادر، الجزائر، 1983 ، ص. 88.

⁸ - J. Ladmir, *Les guerres d'Afrique*, op. cit., p. 256.

⁹ - P. Azan, *L'émir Abdelkader 1808-1883, du fanatisme musulman au patriotisme français*, op. cit., p. 170.

5- التنظيم الإداري:

إستطاع الأمير عبدالقادر أن يكون دولة جزائرية في ظل الأوضاع التالية باقليم الغرب الجزائري حيث كانت عدة زعامات أهمها سلطة العربي¹ بالمنطقة المحاذية لشلف وابن نونة² بتلمسان والقبائل الموالية للمخزن العثماني بزعامة مصطفى بن إسماعيل والمازاري والناحية الجنوبية بزعامة الغماري شيخ الأنجاد³ ولقد كانت أهداف الأمير عبد القادر تناسي الأحقاد وتضافر الجهود لمواجهة قوات الإحتلال الفرنسي وخطرهم على الدين والبلاد الجزائرية ويجب طردهم من البلاد⁴.

أ- المجلس الاستشاري : يتكون المجلس الاستشاري من 11 عضوا وهم نواب الدولة بالتعيين⁵ والتصويت على أساس الإجماع في كل مقاطعة دار شوري للمفاوضة في الدعاوى المهمة التي التي تحدث بين الشعب وفي مصلحة الدولة وجعل انتخاب أعضاء هذه المجالس إلى الخلفاء والقضايا التي ترى فيها يكون فصلها على الوجه الشرعي ويكتب فيها صكوك يضع أصحاب الشورى فيها أسماءهم بخطوط أيديهم ورئاسة كل منها تتاط بالقضاة فإذا حضرها الخلفاء فالرئاسة لهم وعلى كل حال فهم المأمورون بتنفيذ صكوكها وأمر هذه المجالس مربوط بالمجلس العالي الأميري.

فيما يتعلق بتشكيل النظارة أي الوزارة و توزيع المناصب فكان على النحو التالي :

نظير الخارجية: الحاج بن ميلود بن عراش

نظير الداخلية: محمد بن السيد العربي يساعده كاتبان هما أحمد بن علي بن أبي طالب والحاج مصطفى بن الهاشمي فكان هذا النظير أو الوزير ينوب عن الأمير في كثير من المهام المدنية والعسكرية

نظير الحربية: السيد محمد بن الجيلالي ومهمة هذه الوزارة هي ضرب النقود وصنع الأسلحة والذخيرة و ما يتعلق بأدوات الحرب

¹ - سيدي لعربي: زعيم ولاد سيدي لعربي على بعد 1 كم من شلف، كانت سلطته معترف بها في سهل شلف من الأصنام حتى مصب الوادي بسهل مينة السفلى والجزء الساحلي من الظهرة، رفض الخضوع للأمير الذي حاربه في 1833، ينظر:

E. Daumas, *Correspondances du capitaine Daumas consul à Mascara, 1837-1839, op.cit.*, p. 156.

² - بن نونة: من أعيان حضر مدينة تلمسان، كان صاحب تجارة، توفي بعد معركة إيسلي التي جرت في سنة 1844، بالمغرب، أنظر:

- A. Cour, *L'occupation Marocaine de Tlemcen Septembre 1830 - Janvier 1836, loc.cit.*, p. 33.

³ - الأنجاد: مجموعة من القبائل تسكن بين جبال التل ومنطقة حميان وهم: اولاد سيدي خليفة، بني مطر، الخريج، اولاد بلحور وولاد الهامل. انظر:

E. Daumas, *Correspondances du capitaine Daumas consul à Mascara, 1837-1839, op.cit.*, p. 93.

⁴ - A. Belmare, *Abdelkader sa vie politique et militaire, op.cit.*, p. 26-27.

⁵ - حرب أديب، المرجع السابق، ج. 2، ص. 56.

نظير المالية العامة: الحاج بن أبي عبد الله الحاج الجيلالي بن فريحة

نظير الخزينة الخاصة: السيد أبو السعيد محمد بن فاخة .

نظير الأوقاف: أبي عبد الرحمن الحاج الطاهر أبو زيد

نظير العشور والزكاة: السيد أبي محمد الجيلالي العلاوي بن الهدايا وكان يشرف أيضا على جباية المعونة الحربية، إذ يخرج الجباة مرتين في السنة مرة في الربيع لجباية الزكاة و مرة في الصيف لجباية العشور، كانت جباية هذه العوائد المالية والعينية شرعية من ناحية الدين الاسلامي خدمة للمصالح العامة للبلاد لتموين الجيش الشعبي الوطني بالأسلحة والأغذية والألبسة ومتطلبات الحرب من ذخيرة لمقاومة جيش الاحتلال الفرنسي .

الملبوس الأميري: الحاج البخاري الرحاوي.

الفراشة: عبد القادر بن أبي معزة.

السقاية: البدارلي بن شافعية.

حمل الشمسية: عبد الله بن أبي يوسف.

رئاسة الموسيقى: أبو مدين بن أبي دغسن.

رئاسة الإسطبل: محي الدين بن عبد الله.¹

هذه التسميات ، كانت معظمها شكلية متداولة خلال العهد العثماني أراد الأمير عبد القادر تنظيم الدولة من أجل المقاومة الوطنية فالثقافة الجزائرية في العهد العثماني لم تشجع على الحداثة وتطوير الجيش والعلم كما أنها كانت تحرم انشاء المطبعة وكل حاجة تمس بالعلم والصناعة وحتى الطب، بينما كان رجال الزوايا يعتمدون في تدريسهم على قراءة بعض الأوراد الصوفية وتعليم الأطفال بعض السور القرآنية وبعض تعاليم الكتابة، رغم المساعي التي أراد الأمير عبد القادر لتحقيقها الا أنه لم يجد الوضع مناسباً فالتفاوت الحضاري بين الدولة الفرنسية والدولة الجزائرية تباين شاسع.

ب- **راية الدولة:** كانت راية الدولة الجزائرية من الكتان الحريري، أعلاها وأسفلها خضروان أما لون القسم الأوسط أبيض، رسمت فيه يد مبسوطة وكتب حولها بشكل دائري عبارة: " نصر من الله فتح قريب، ناصر الدين عبد القادر بن محي الدين" وقد عين عبد الله بن يوسف لحملها²

¹ - حرب أديب ، المرجع السابق، ج. 2 ، ص. 44-42.

² - تشرشل شارل هنري ، المصدر السابق، ص. 40.

ج- المقاطعات الإدارية:

لقد أراد الأمير عبدالقادر اعطاء المقاومة الشعبية بعدا وطنيا لذا سعى لانشاء مقاطعات ادارية تعمل على تنظيم مصالح الشعب الجزائري في اطار المقاومة الوطنية ضد قوات الاحتلال الفرنسي فلم يكن الأمير جهويا ولم يكن متعصبا لأفكاره بل قام بتولية في كل مقاطعة رجلا من أبناء المقاطعة التي يحكمها ومن أهم هذه المقاطعات هي:

- **مقاطعة معسكر:** ولى عليها بن أبي فريحة المهاجي وبعد استشهاده ولى عليها الحاج مصطفى بن أحمد التهامي 1834-1841م.

- **مقاطعة تلمسان:** ولى عليها محمد البوحميدي الولهاصي 1834-1841م .

- **مقاطعة مليانة:** ولى عليها محي الدين بن علال القليعي ثم محمد بن علال 1837-1841م.

- **مقاطعة التيطري:** المدينة ولى عليها مصطفى بن محي الدين ثم ولى مكانه محمد البركاني 1837-1841م.

- **مقاطعة مجانة:** ولى عليها محمد بن عبد السلام المقراني ثم محمد الخروبي القليعي وأخيرا محمد بن عمر العيسوي 1839-1841م.

- **مقاطعة الزيبان أو الصحراء الشرقية :** ولى عليها فرحات بن سعيد ثم الحسن بن عزوز ثم محمد الصغير بن عبدالرحمن بن أحمد بن الحاج 1838-1841.

- **مقاطعة برج حمزة¹:** ولى عليها أحمد بن سالم الدبيسي 1837-1847.

- **مقاطعة الصحراء الغربية :** "الأغواط" ولى عليها قدور بن عبد الباقي 1838-1843م.²

¹ - حمزة: هي اليوم بويرة، وتقع على الضفة اليسرى من وادي الصومام، على مسافة ثلاثة أيام من العاصمة ويومين من ببيان الحديد ومن مدينة، أنشأ فيه الأتراك حامية كانت تحرس المنطقة من الببيان حتى وادي يسر، وقد ضمت حمزة إلى بيلك قسنطينة ثم إلى تيطري ثم قبل 1830 إلى مقاطعة الجزائر. كانت حمزة منطقة نزاع بين فرنسا والأمير الذي كان يعتبرها تابعة لإقليم تيطري أنظر:

E. Daumas, *Correspondances du capitaine Daumas consul à Mascara, 1837-1839, op.cit.*, p. 45.

² - حرب أديب ، المرجع السابق، ج. 1، ص. 46-51.

عمل الأمير عبدالقادر بما تمليه عليه الشريعة الإسلامية في إدارة البلاد وتنظيم الشعب الجزائري لمقاومة قوات الاحتلال الفرنسي¹ وكان هدفه الوحيد تحرير البلاد تحت سلطة واحدة لقد أدرك بيجو الطابع الوطني للأمير عبدالقادر فصرح قائلاً: "عليكم أن تهاجموا قائد القومية العربية في صلبها يجب القضاء على هذه القومية وعلى قوة الأمير عبدالقادر وإلا إنكم لن تحققوا شيئاً في إفريقيا"² اشترط الأمير عبد القادر مقاييس للقادة الإداريين على أساس مراسيم يحررها الديوان الخاص وتختتم بخاتم الدولة وبعد تنصيبهم يسلم إليهم خاتماً يستعمل في اعتماد القرارات الإدارية التي يصدرونها وعند انتهاء مهمتهم يعاد الخاتم إلى دار الإمارة كدلالة على انتهاء علاقتهم بالدولة³ لذا تم تقسيم السلطات على النحو التالي:

- **الخليفة:** يكون على مستوى المقاطعة له العديد من الاختصاصات حق مراقبة الأغوات والقواد وفي حالة فقدان الثقة فيه أو عدم أدائه لمهامه يعزل.

- **الآغا:** يتولى مهامه مدة سنة قابلة للتجديد وله حق التصرف في المسائل العادية فهو الشخصية الثالثة في الإدارة المحلية

- **القائد :** مهمته الإشراف على شؤون القبيلة وما يرفع له من أمور تتعلق بالعيشيرة إلى جانب الحفاظ على الأمن والفصل في بعض المنازعات وإقامة الصلح.⁴

- **الشيخ:** هو المسؤول القاعدي يعمل كوسيط بين القبيلة والقائد إلى جانب تمتعه بسلطات إدارية واسعة أهمها رئاسة الشرطة، مراقبة الأسواق والإشراف على الشؤون المالية وتنشيط شؤون الحالة المدنية ودوره الاتصال والتبليغ ورفع القضايا والأوامر والمطالب بين الديوان الأميري والقبيلة، وفوضت له سلطة حل بعض المنازعات القضائية العادية، أما القضايا الهامة فيحيلها إلى القائد أهمية الشيخ الوظيفية هي عدم السماح لمن تقلدوا هذا المنصب بأي انحراف أو سوء تصرف أو إهمال وإلا وتعرضوا للعزل.⁵

وضع الأمير عبدالقادر مناد ينادي في الأسواق على أنه من كانت له شكوى فليرفعها من غير واسطة فان الأمير ينصفه ممن ظلمه وأن ظلمه أحد ولم يرفع ظلمته للأمير فلا يلمن إلا

¹ - شريط عبد الله ، مبارك الميلي محمد، مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص.234.

² - قداش محفوظ ، الامير عبدالقادر، سلسلة الفن والثقافة وزارة الإعلام والثقافة الشركة الوطنية للنشر والتوزيع التميزا روتبورس، مدريد، 1974، ص.43.

³ - A. Belmare, *Abdelkader sa vie politique et militaire, op.cit.*, p. 118.

⁴ - T.-R. Bugeaud, *Exposé de l'état actuel de la société arabe du gouvernement et de législation qui la régit*, éd. Imprimerie du Gouvernement, Alger, 1844, p. 30-45.

⁵ - أوصديق فوزي ، النظام الدستوري دولة الأمير عبد القادر دراسة تحليلية مقارنة، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط2، الجزائر، 2003 ، ص.21-22.

نفسه،¹ حاول الأمير تجسيد شعار: <على كل موظف سامي في الدولة أن يخدم الدولة ولا يستخدم منصبه لأغراض شخصية> وبعد أداء اليمين يحرر مرسوما خاصا بقلمه، كاتب الديوان يختم بخاتم الإمارة، وهو خاتم كبير الحجم منقوش بشعارات الدولة وهي على التوالي : في الدائرة:

و من تكن برسول الله نصرته

إن تلقه الأسد في آجامها تجم.

على جوانبه <الله، محمد، أبو بكر، عمر، عثمان، علي> وسط الدائرة الوثائق بالتقوى المتين ناصر الدين عبد القادر بن محي الدين و التاريخ 1248 هـ² بعد تسليم التنصيب تسلم له أختام الدولة عليها اسمه ولقبه ويحدد له راتب حسب رتبته التي تولّاها و لا تزول الامتيازات بوفاة المتولي أو عزله فقد كان الأمير عبد القادر واعيا بالتنظيم.

6- النظام الاقتصادي للدولة الجزائرية في اطار المقاومة الوطنية :

أ- الجانب الفلاحي :

قام الأمير عبد القادر بتشجيع العمل الزراعي وألغى ضريبة الخراج واستخدم أدوات بسيطة للحراث وقد استعملت مخازن القمح لتموين الجيش الشعبي الوطني والتبادل التجاري من أجل شراء مستلزمات الحرب.³

ب- الصناعة الحربية :

بعد المعارك التي خاضها الأمير عبد القادر ضد قوات الاحتلال الفرنسي أدرك التفاوت الحضاري والتجهيزي بين القوتين لذا سعى للاستفادة من التقدم الصناعي الأوروبي فقام بجلب مختصين أوروبيين لصناعة الأسلحة وصيانتها وإصلاحها وصهر المعادن كما اعتنى بصناعة لوازم الجيش الشعبي الوطني من ألبسة وصناعة السروج ولوازمها فرتب عددا من الخياطين لتفصيل الملابس والسروج العسكرية وإصلاحها بمختلف المقاطعات⁴ وكانت حاجة الجيش الشعبي الوطني بقيادة الأمير عبد القادر لأسلحة لمقاومة قوات الاحتلال الفرنسي⁵، كما عمل الأمير على استقدام خبراء في المعادن وصهر الحديد واكتشاف الموارد الطبيعية سنة 1838م، فكانت صناعة الذخيرة شئ لا ينفصل عن الصناعة الحربية وصناعة البارود، لذا قام أحد الفارين البروسيين من

¹ - L. Mostafa, *L'Algérie nation et société*, éd. Maspero, Paris, 1969, p. 54.

² - محمد بن عبد القادر ، المصدر السابق ، ص.308.

³ - P. Azan, *L'émir Abdelkader 1808-1883, du fanatisme musulman au patriotisme français*, op. cit., p. 136.

⁴ - A. Belmare, *Abdelkader sa vie politique et militaire*, op.cit., p. 121.

⁵ - B. Abdelhamid, *L'État Algérien en 1830 institutions sous l'émir Abdelkader, entreprise populaire algérienne*, op.cit., p. 58.

الفرقة الأجنبية بإنشاء طاحونة للبارود وصناعة الفحم¹، فقد منح الأمير عبد القادر للعمال الأوروبيين أجورهم المقدرة بـ 3 آلاف فرنك كأجرة عملهم طوال سنوات الخدمة.²

لقد استفاد الأمير عبد القادر من صناع اسبان وإيطاليون، وفرنسيون، يهود، مالطيون، دانماركيون، سويديون، وتم صرف أموال كبيرة من أجل بناء هذه المنشآت الحربية والمصانع لتحضير حرب طويلة النفس ضد قوات الاحتلال³. الفرنسي فالصناعة التي أرادها الأمير عبد القادر صناعة عصرية حديثة في إطار الحداثة والنهضة العربية الإسلامية وإسهاماتها خصوصا في المقاومة الشعبية الوطنية لأن الدولة الجزائرية سهرت على تمويلها وتجهيزها ضد قوات الاحتلال الفرنسي ومن أهم مديري المصانع الحربية هم: قيومين "Guillemain" كان مديرا لمصنع تاقدمت للأسلحة⁴ وجسترنجر "Gestringer" عمل كمنظم ومدرّب لجيش المشاة وأنشأ مطحنة للبارود بتلمسان⁵ وأولسن "Hulsen" كان يعمل نجارا ومختص في صناعة الأجهزة المستخدمة في صناعة البارود وصهر الحديد، شوفال "Cheval" من أصول يهودية وعد الأمير عبد القادر بصهر المدافع وقام بإنشاء الأفران العليا وأجهزة لصنع القطع الحديدية والقوالب لكنه لم ينجح في إذابة المعدن⁶ أودع السجن لإسرافه أموالا طائلة دون التوصل إلى نتيجة تخدم مصالح الدولة الجزائرية وقوات الجيش الشعبي الوطني لمقاومة الاحتلال الفرنسي وكان ألبنقوا "Albingo" الذي عرف بصهره للأجراس لقد نجح في أعماله التي أخفق في إدارتها شوفال أما دون خوسي "Don Josse"⁷ كانت مهنته تعليم الصناعة لقد تلقى كل ما يحتاجه بالمشور وما يستلزمه في أعماله⁸ دي كاس "Alquier" كان مديرا لمصنع مليانة خبير بالصناعة التعدينية⁹

- مراكز الأسلحة :

- مصنع السلاح "معسكر": شرع الأمير عبد القادر في إقامة الصناعة الحربية بمعسكر سنة 1834م أنشأ مصنعا للأسلحة الخفيفة تصنع فيه أخشاب البنادق وتجهز الخراطيش¹⁰

¹ - دينيزين، الأمير عبد القادر والعلاقات الفرنسية العربية في الجزائر، تر أبو العيد دودو، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1999، ص. 67.

² - A. Belmare, *Abdelkader sa vie politique et militaire*, op.cit., p. 121.

³ - T. Changarnier, *Mémoire du général Changarnier*, op.cit., p. 64.

⁴ - M. Emrit, *L'Algérie à l'époque d'Abd elkader*, op. cit., p. 294.

⁵ - E. Daumas, *Correspondances du capitaine Daumas consul à Mascara, 1837-1839*, op.cit., p. 150.

⁶ - Ibid., id., p. 158-159.

⁷ - Ibid., id., p. 158, 159, 165, 383.

⁸ - اسكوت، المصدر السابق، ص. 66-67.

⁹ - M. Emrit, *L'Algérie à l'époque d'Abd elkader*, op. cit., p. 290.

¹⁰ - E. Daumas, *Correspondances du capitaine Daumas consul à Mascara, 1837-1839*, op.cit., p. 283-330.

تأقدمات : قام الأمير عبدالقادر بتحويل سراديب المدينة الرومانية القديمة إلى مخازن للذخيرة والكبريت وملح البارود والنحاس والرصاص والحديد¹ تحتوي المدينة على دار السلاح وضرب العملة ودار إقامة الأمير عبدالقادر ومخازن وسراديب في الحصن تودع فيه الأسلحة والخبز والرصاص والكبريت، المصنع أنشأه الخبير الفرنسي المدعو قيومين² على أساس عقد يقضي بقيام هذا الخبير بتعليم وتدريب الجزائريين على صنع الأسلحة³ وحسب دوما أنهم يهتمون الآن بتأقدمات بصنع الفشك بالرصاص المشتري أيام الهدنة فالفشك يصنع بكثافة واستخدم منجما للكبريت بتأقدمات⁴ أصبح المصنع بعدها تحت إدارة الجزائريين معطلا بعد نقل الآلات من المخازن في 7 ماي 1841 لاحتباط عملية الغزو الفرنسي والذي كانت أهدافه تدمير الصناعة والمنشآت الصناعية للدولة الجزائرية⁵.

- **المشور :** كانت القلعة بقيادة الخليفة البوحميدي بمقاطعة تلمسان جعل منها مركزا للصناعة الحربية الحصن مستطيل الشكل طوله 460 متر وعرضه 280 متر تعلوه أبراج⁶ أنشئت بقلعة المشور مصهرة للحديد حسب تقرير أعده دوما " يبدو من المؤكد أن المدافع تصنع في تلمسان أو بالأحرى تصهر فيها القطع القديمة، فقد شوهدت الأفران والمصاهر والمنافخ والقوالب والدواليب والى حد الآن يستعمل فحم الخشب، ويتحرك الجهاز بمساحيق وقد شوهدت قطعة مدفع جاهزة الصنع وهي من نفس طول وعيار مدافعنا الميدانية ويقوم بهذه الأشغال هاربان اثنان من الجيش الفرنسي⁷ .

قام أولسن بصنع جميع الأجهزة التي تستخدم لصنع البارود وصهر الحديد بينما شوفال وعد الأمير عبد القادر بصهر المدافع وقد قام ببناء الأفران العليا وأجهزة صنع القطع الحديدية وحزمها والقوالب، أخفق في عمله ولم يتوصل لازابة المعدن وكلف خزانة الدولة 8 آلاف دورو أودع السجن بعد اسرافه أموالا كانت الدولة الجزائرية في حاجة إليها⁸ وتواصلت التجارب على يد

¹ - تشرشل شارل هنري ، المصدر السابق، ص. 137.

² B. Rachid, Places fortes et établissements militaires fondés par l'émir Abdelkader, *Majalet el-*

Tarikh, t. 12, 1983, p. 33 -37.

³ M. Emrit, *L'Algérie à l'époque d'Abd elkader*, op. cit., p. 289.

⁴ B. Rachid, Places fortes et établissements militaires fondés par l'émir Abdelkader, *loc. cit.*, p. 38- 39.

⁵ - اسكوت ، المصدر السابق ، ص. 89.

⁶ M. Emrit, *L'Algérie à l'époque d'Abd elkader*, op. cit., p. 83 -84.

⁷ E. Daumas, *Correspondances du capitaine Daumas consul à Mascara ,1837-1839*, op.cit., p. 110.

⁸ *Ibid.* , id., p. 158-159.

الايطالي ألبنقو¹ قام بتجريب اثنان منها بالفعل، وقد شرع المصنع بنشاطه،² وكلف دون خوسي بادارة المصنع بعد انتهاء عقود الخبراء الفرنسيين والإيطاليين³ وصل الانتاج اليومي للمصهرة من 6 الى 12 مدكات مدفعا⁴

- **مليانة** : أراد الأمير عبدالقادر أن يجعلها مدينة صناعية لذا سعى لإستكشاف المادة الأولية بالمنطقة باستقدام خبير بالمعادن من فرنسا اسمه دي كاس أنشأ مصنعا للبنادق وآخر لإنتاج البارود وركام الحديد يحضر من منجم قريب، كانت مناجم ملح البارود والكبريت والنحاس وكان يساعده في مهامه هاربا من الجيش الفرنسي أعلمه بتواجد كميات كبيرة من معدن الرصاص بجبال جنوب تازة ونسبة الفضة والنحاس على طريق مليانة⁵ تم استخلاص 40 رطلا من المعادن لتحليل عينات عينات منها لكن الحرب المستمرة أدت لعدم استمرار التجربة⁶

أنشأ الأمير عبدالقادر بمليانة مصنعا للأسلحة ومصهرة للحديد جعل عليها مديرا يدعى دي كاس خبير بالصناعة التعدينية⁷ وتستخدم المصهرة معدن الحديد الخام المستخرج من منجم زكار، وتم استعمال فحم الخشب في أعمال الحدادة وصناعة البارود ومادة أولية لصناعة البارود، توقفت نشاطات المصنع بعد احتلال قوات الاحتلال الفرنسي للمدينة 1840م⁸

- **صناعة البارود** : اهتم الأمير عبدالقادر بصناعة البارود بمدينة تاقدمت⁹ وصناعة الذخيرة الحربية بتلمسان¹⁰.

ج- التعبئة المالية لتغطية نفقات المقاومة الشعبية الوطنية:

لقد إهتم الأمير عبد القادر بتنظيم الجيش الشعبي الوطني، هذا ما جعله يبحث عن الطرق التي يتم الحصول بها على الأسلحة والعتاد الحربي والذخيرة لتجهيز الجيش لمواجهة قوات الاحتلال الفرنسي الذي يفوقه عدة وتعدادا¹¹، لذا عمل الأمير عبد القادر على ربط علاقات دولية تموينية مع الدول الأجنبية مثل أمريكا وبريطانيا عن طريق قناصلها بطنجة ومريد، طالبا منهما التأييد

¹ - Ibid., id., p. 165.

² - Ibid., id., p. 373.

³ - اسكوت ، المصدر السابق ، ص. 66.

⁴ - تشرشل شارل هنري ، المصدر السابق ، ص. 139.

⁵ - اسكوت ، المصدر السابق ، ص. 129.

⁶ - نفسه ، ص. 85 - 86.

⁷ - بورويبة رشيد ، المرجع السابق ، ص. 99 - 100 .

⁸ - G. Yver, Abdelkader et le Maroc en 1838, *Revue Africaine*, t. 60, 1919, p. 501-502.

⁹ - B. Rachid, Places fortes et établissements militaires fondés par l'émir Abdelkader, *loc.cit.*, p. 39.

¹⁰ - اسكوت، المصدر السابق، ص. 66.

¹¹ - G. Yver, Abdelkader et le Maroc en 1838, *loc.cit.*, p. 101.

والمساندة المادية ، ولقد عرض على الحكومة الإنجليزية في إطار تبادل المصالح الإقتصادية بين البلدين بمنحها ميناء تنس للاستثمار مقابل حصوله على الأسلحة والذخيرة الحربية لمواجهة قوات الاحتلال الفرنسي بالجزائر¹.

عرض الأمير عبد القادر على الحكومة الأمريكية أي ميناء أو أي منطقة على الساحل الجزائري التي كانت تحت سلطته مقابل دعمه بالأسلحة في إطار تبادل المصالح التموينية في إطار المجال الاقتصادي بين الدولتين²، كما راسل كذلك الدولة العثمانية كاتب عبد المجيد والصدر الأعظم والصدر الأعظم مصطفى رشيد باشا شارحا لهما وضعية البلاد الإقتصادية والإجتماعية والخسائر التي يلحقها الجيش الفرنسي بثروات الشعب الجزائري طالبا المساعدة والتأييد المادي. لقد قام الأمير عبد القادر بالإتصال بالحكام الإسبان عن طريق مدينة مليلية وحصل من خلالها على بعض الدعم المتمثل في عدة قناطر من ورق الخرطوش من طرف حاكم مليلية³، وقام أيضا السلطان عبد الرحمن بتموين الأمير عبد القادر شملت هذه المساعدات الخيول والأموال وأنواع من الأسلحة الخفيفة والثقيلة، والذخيرة الحربية بواسطة الحاج طالب بن جلون الفاسي⁴، كما تعامل الأمير عبد القادر مع السلطات الفرنسية بالجزائر من خلال معاهدتي ديمشال والتافنة حيث اشترط الأمير عبد القادر على الجنرال ديمشال أن يسمح للتجار الجزائريين وممثليه بشراء البارود والأسلحة والكبريت وما هو ضروري للحرب⁵، لقد استفاد من مساعدات التي كان يمدّها إليه الملك عبد الرحمن عبد الرحمن سنة 1833م أمده 100 بنديقية و 100 سيف وكميات من الذخيرة، وسنة 1834م أرسل الى مدينة معسكر 100 بنديقية عربية وألف رطل من البارود⁶، وسنة 1837م أرسل أقمشة حريرية وبعض الأسلحة وفي 28 أكتوبر 1838م تم تزويده عن طريق الحاج الطاهر ب 400 بنديقية انجليزية بمحاربها، 200 مسدس 300 سيف حجر النار، وبعد تكلمة 3 أسابيع من ذلك أعلن دوما غهينيك "Géhinic" أن دفعة جديدة مرسلة من المغرب تحتوي على 4 مدافع من طرف الحاج طالب بن جلون وقام اليهودي بن عبي بصفقة متكونة من 1500 إلى 2000 بنديقية وكمية من المسدسات وبعض قطع غيار المدافع كما تم تموين الامير عبد القادر بصفقة تجارية عن طريق تونس في 12

¹ - بوعزيز يحي ، مراسلات الامير عبد القادر مع اسبانيا وحكامها العسكريين بمليبية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986، ص. 9.

² - التميمي عبد الجليل ، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي، الجزائر، تونس، ليبيا، ط. 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985، ص. 134 - 135.

³ - بوعزيز يحي ، المرجع السابق، ص. 24.

⁴ - بن جلون الفاسي هو ابن رئيس الوزراء المغربي كانت مهامه على الصعيد التجاري الامير عبد القادر كوكيلا تجاريا بمدينة فاس أنظر:

G. Yver, Abdelkader et le Maroc en 1838, *loc. cit.*, p. 101.

- اسكوت، المصدر السابق، ص. 145.

- دينيزين ، المصدر السابق، ص. 47.

جانفي 1839م وصول 500 مسدس و 50 بندقية عريضة الفوهة¹، لقد طالب الأمير عبد القادر بن دران في 6 أوت 1837م القيام بإستيراد كميات 1800 وحدة قياسية من الجوخ الأحمر لصنع البرانس للضباط والقادة العسكريين و 300 وحدة من الجوخ الأزرق و 60 رطلا من أشرطة الرتب العسكرية وكميات من الأرز من فرنسا وهذا نظرا للحاجة المتزايدة للأموال من أجل تجهيز جيشه وتدريبه، حيث منح اليهودي بن دران مقابل معاملاته التجارية 5 % من القيمة الإجمالية لإحتكار التجارة² وسنة 1841م شحنة من الأسلحة قدرت بألف بندقية وعدة أطنان من البارود موجهة من المغرب³ لقد أقام الأمير عبد القادر علاقات تجارية من أجل تموين الجيش الوطني الشعبي في مقاومته ضد قوات الاحتلال الفرنسي فاتصل مع إنجلترا بواسطة القائم بأعماله بجبل طارق مانوتشي "Manuchi - Nicolas"⁴، بغرض شراء الأسلحة والذخيرة وعين الحاج طالب ابن جلون قائما بأعماله بمدينة فاس المغربية وجعل الحاج الطاهر، مكلفا بإدارة الأعمال التجارية وشراء الأسلحة، كانت العلاقات التجارية التموينية التي أقامها الأمير عن طريق جبل طارق لها أثر كبير في تموينه بالأسلحة والذخائر لمواصلة المقاومة الوطنية التي كانت تهرب عن طريق الموانئ المغربية مثل مدينة فاس، وتدخل هذه المحاولات عن طريق الحدود المغربية الجزائرية⁵.

في سنة 1834م فتح ديميشال مخازن الأسلحة بوهرا ن حيث إشتري منها ميلود بن عراش 400 بندقية حربية و بعد إمضاء معاهدة ديميشال والمادة التي تخول للأمير حرية التجارة واحتكارها في ميناء أرزيو، قرر الحاكم العام الكونت ديرلون "D'Erlon"⁶ بإرسال هدايا للأمير وإعلامه بقدوم سفينة إلى التافنة تحمل ذخيرة من العاصمة، لكن الجنرال تريزل أوقف السفينة في المرسى الكبير⁷ وفي أواخر السنة تسلم 1100 بندقية وعشر بنادق من أصل 1200 بندقية كان الأمير قد أوصى بها كما تسلم كمية من الذخيرة¹ ينص الشرط السابع من معاهدة التافنة على أن الأمير يشتري من فرنسا البارود والكبريت والسلاح الذي يحتاج إليه².

¹ - S. Aouli, R. Redjala, Ph. Zoummeroff, *Abdelkader*, éd. Fayard, Paris, 1994, p. 255.

² - العربي اسماعيل، دور يهودا بن دران في دبلوماسية الأمير عبد القادر، المجلة التاريخية المغربية، العدد 17-18 تونس، جانفي 1980، ص 230 - 231.

³ - اسكوت، المصدر السابق، ص. 145.

⁴ - نيكولا مانوتشي ابن قنصل بريطانيا في بنزرت قام بدور كبير في تنظيم الاتصالات مع السلطات البريطانية بجبل طارق ينظر:

G. Yver, *Abdelkader et le Maroc en 1838*, loc.cit., p. 101-102.

⁵ - Ibid., id., p. 101- 102.

⁶ - الدوق دورليان : ولد ببالارم بتاريخ 03 سبتمبر 1810م، أصبح جنرالاً في 01 جانفي 1830م شارك في الحملة على معسكر، وفي حملة أبواب الحديد 1839م ثم رجع إلى فرنسا سنة 1840 وتوفي في 13 جويلية 1842 ينظر:

P. Azan, *Les grands soldats de l'Algérie*, Alger, 1930, p. 23- 26.

⁷ - V. Dieuzede, *Histoire de l'Algérie 1830-1878*, éd. Hentz, Oran, 1882, t. 1, p. 453-455.

رسائل دوما إلى راباتيل (Rapatel)³ تعطينا نظرة حول كميات الأسلحة والذخيرة التي كانت تصل إلى الدولة الجزائرية بقيادة الأمير عبدالقادر رسالة، في 13 مارس 1838م موجهة إلى راباتيل، يصل كل يوم الكبريت إلى معسكر وكذا قضبان النحاس والفضة تجلب من الجزائر وحتى تقلت من الرقابة تعباً على حمير أو بغال في سلال مغطاة بالسجاد⁴، وفي رسالة أخرى في 06 ماي 1838م رسالة وجهت إلى راباتيل⁵ وصل إلى وهران 06 آلاف رطلا من النحاس الجيد وحمولة 70 جملا من الفحم الطبيعي في 25 من ديسمبر مائة وثمانية من البغال جاءت من المغرب إلى المدينة دون المرور بمعسكر وفي أول ماي مائة أخرى من البغال جاءت أيضا من المغرب مرورا بمعسكر لتذهب إلى المدينة وقد إطلعت على القافلة الأخيرة فهي تحمل ألبسة للجنود وأحجار النار والفشك "الخرطوش"، و 600 سيف من فاس و 400 أو 500 بشطولة ويؤكد شوفال على أن الأمير يحصل على كل ما يحتاج إليه من سلطان المغرب بإسم الحرب⁵، بينما قام طالب بن جلون في مهمة كوسيط بجبل طارق، أرسل إلى الدولة الجزائرية بقيادة الأمير عبدالقادر 400 بارودة إنجليزية بحرابها، و 200 بشطولة، و 20 حمولة من البارود، 30 حمولة من الألبسة، 20 حمولة من الكبريت، 15 حمولة من ملح البارود⁶ وفي رسالة مؤرخة في 11 نوفمبر 1838م من دوما إلى غهينيك⁷ أرسل مولاي عبدالرحمن أربعة مدافع للدولة الجزائرية وجهت إلى تلمسان وتم شراء 1500 أو 2000 بندقية وكمية كبيرة من المسدسات وبعض قطع المدافع⁷ وفي رسالة أخرى في 09 جوان 1839م وصلت كمية كبيرة من البنادق الإنجليزية⁸ القوافل الآتية من المغرب و وصلت الى تلمسان مستودع تحمل إليه من فاس السيوف والخنجر وأخشاب البنادق⁹ وفي 1 سبتمبر سنة 1841م وصلت قافلة من فاس تتكون من 60 بغلا متقلّة بالأقمشة وبمائة برميل من البارود من نفس المصدر الذي جاءت منه مواد أخرى منذ بضعة أيام¹⁰، كما قدمت إلى ساحل كبدانة الصحراوي

¹ - قداش محفوظ ، جيش الامير عبدالقادر تنظيمه واهميته ، ص 52.

² - اسكوت، المصدر السابق ، ص 203.

³ - راباتيل 1782-1852 : ولد بمدينة رين الفرنسية في 1782 . أعماله في الجزائر : قائد الجيوش في العاصمة 9 جانفي 1833 ثم قائد الجيوش بالجزائر في 26 أكتوبر 1834 . القائد الأعلى لإقليم وهران 13 ديسمبر 1837 عاد إلى فرنسا في 1838 وتوفي بباريس في 1852.

E. Daumas, *Correspondances du capitaine Daumas consul à Mascara , 1837-1839, op.cit.*, p. 89.

⁴ - Ibid., id., p. 150.

⁵ - Ibid., id., p. 183.

⁶ - G. Yver, Abdelkader et le Maroc en 1838, *loc.cit.*, p. 103.

⁷ - E. Daumas, *Correspondances du capitaine Daumas consul à Mascara , 1837-1839, op.cit.*, p. 373.

⁸ - Ibid., id., p. 486.

⁹ - M. Emrit, *L'Algérie à l'époque d'Abd elkader, op. cit.*, p. 11.

¹⁰ - اسكوت ، مصدر سابق ، ص. 149.

عدة بواخر إنجليزية، عدة مرات وأنزلت به لصالح الدولة الجزائرية خلال شهري أكتوبر ونوفمبر سنة 1847م شحنات المدافع والبنادق والبطاريات وبعض قطع مدافع رمي الميدان وكان سان مان ليجير قرنفل "Saint Léger Genfel" وجون دور موندهاي "John Drummon Hay" الكاتب الخاص للقنصل البريطاني دورا في هذه المساعدات¹، كما كانت قوات الجيش الشعبي الوطني تستفيد، من الغنائم التي كان يتحصل عليها خلال المعارك ضد قوات الاحتلال الفرنسي.

لقد كان تمويل الأمير عبد القادر بالذخيرة والعتاد الحربي في إطار تجهيز الجيش الشعبي الوطني والمساهمة العسكرية الجهادية في الدفاع عن الوطن وأما فيما يخص الضرائب المفروضة ماهي إلا معونة حربية لتمويل وتموين الجيش الشعبي الوطني لمواصلة المقاومة والنضال ضد قوات الاحتلال الفرنسي .

- المعونة الحربية:

تقيد الأمير عبد القادر بأحكام الشريعة الإسلامية في عملية جباية الضرائب حيث قام بإلغاء ما كان مستحدثا من مغارم كاللزمة والغرامة والعوائد وغيرها وعوضها بضربتي العشور والزكاة التي أقرتها الشريعة الإسلامية²

ضربيتا العشور والزكاة تؤخذ العشور من محاصيل الحبوب والزكاة تستخلص من الخيول والجمال والبغال والأبقار والأغنام حسب النسب المحددة شرعا يؤخذ من مجموع الأغنام³

المعونة: استحدثها الأمير عبد القادر سنة 1839م، تزايدت هذه الضريبة نظرا لتطور ظروف الحرب، أما الخطية والغرامة فكانت تجبى على الجنج والمخالفات وما يتحصل عليه الجيش الشعبي الوطني من غنائم في الحملات الحربية⁴

رسوم الأسواق: يتولاها المحتسبون مهمتهم منع تسرب المؤن للقوات الفرنسية أو تصديرها بدون رخصة ويتم معاقبة المهربين وقطاع الطرق، وتستغل هذه الموارد لدعم الجيش الشعبي الوطني

¹ - بوعزيز يحي ، مرجع سابق ، ص 24.

² - محمد بن عبد القادر ، مصدر سابق ، ص 166.

³ - Ch.-A. Julien, *Histoire de l'Algérie contemporaine conquête et colonisation (1827- 1871)*, op.cit., p. 84.

⁴ - P. Azan, *L'émir Abdelkader 1808-1883, du fanatisme musulman au patriotisme français*, op. cit., p. 46.

ضد قوات الاحتلال الفرنسي نظرا لظروف الحرب بتعدد الحملات الفرنسية ضد قوات الجيش الشعبي الوطني الى جانب التفاوت الحضاري والتجهيزي بين الجيشين والصعوبات التي تلقتها القوات الوطنية في توفير العتاد والذخيرة الحربية والمؤن لتغذية الجيش أمام جيش كان أكثر تنظيما وتجهيزا لاحتلال الأراضي الجزائرية .

- السكة:

أراد الأمير عبد القادر انشاء دولة من ارادة الشعب الجزائري ، حيث لم تكن له خزينة أو معمل لسك العملة أو معمل من الآلات لضرب النقود أو منجما يستطيع التصرف فيه أو استثماره في مصالح الدولة ولكنه تحدى كل هذه الصعاب وقام بسك العملة رغم ان قيمتها لم تكن كبيرة ولم يدم التعامل بها كثيرا الا أنه استطاع فرض وجوده رغم مجريات الحرب وكثرة المعارك وضراوتها وقام بضرب¹ العملة بتأقذمت وسكت نوعين من القطع النقدية سماها المحمدية تكريما للرسول صلى الله عليه وسلم، قطرها يتراوح ما بين 16-17 ملم ووزنها 0,75-1 غرام يسجل على وجهها تاريخ ضرب العملة، ضرب في تأقذمت سنة 1837م وجهها الآخر عليه الآية الكريمة من " ان الدين عند الله الإسلام "² أما النصفية تساوي نصف قيمة المحمدية صنعت من النحاس أو الفضة، أما النحاسية قطرها 14ملم ووزنها 0,53 غرام تحمل مكان وتاريخ ضربها بوجهيها قوله تعالى: " حسبنا الله ونعم الوكيل "³ الزخرفة تتكون من ثلاث دوائر اثنتان خطيتان والثالثة منقطة أما بالمعمل الأول بتأقذمت سكت ثلاثة عملات، عملة تساوي فرنكين ونصف وعملة تساوي فرنكا وأخرى تساوي نصف فرنك وعملات ذات نمطين احدهما بمعمل لسك العملة من الفضة والأخرى من النحاس الأحمر نقش على وجهها الخلفي بالنوع الأول قوله تعالى "ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه "⁴ أما الوجه الخلفي للنوع الثاني قوله تعالى: "ان الدين عند الله الإسلام "⁵ والنوع الثالث على وجهه "ربنا افرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا "⁶ ، وهناك ثلاثة أنماط من القطع⁷.

7- النظام القضائي:

¹ - الجيلالي عبد الرحمن ، سكة الأمير عبد القادر، الجزائر، 1966، وزارة التربية والتعليم، ص. 16.

² - سورة آل عمران الآية 19.

³ - سورة آل عمران الآية 173.

⁴ - سورة آل عمران الآية 85.

⁵ - سورة آل عمران الآية 19.

⁶ - سورة البقرة الآية 250.

⁷ - B. Mounir, *La monnaie de l'Émir Abdelkader*, éd. SNED, Alger, 1976, p. 42 - 43.

كان شعار الدولة الجزائرية الحديثة إقامة العدل بتعيين بكل مقاطعة ودائرة قاض يتصف ببعض المواصفات أهمها معرفته للشرعية الإسلامية، وكانت مهمته حفظ حقوق المواطنين وفق مقتضيات الشرع الإسلامي وأنواع القضاء هي:

- **القضاء المدني**: يتولى شؤونه قضاة مدنيون شرعيون،¹ بكل عمالة يوجد قاض عالم للفصل في القضايا الشرعية وربط إدارة هؤلاء القضاة بمراجعة قاضي القضاة السيد أحمد بن الهاشمي المرامي رئيس المجلس الأميري الخاص وعين لكل قاض كاتبين مساعدين أكبرهما يقوم مقام المفتي في مطالعة الفتاوى والثاني خاص بتنفيذ الأحكام² ويمكن حصر أهم المجالات التي كانت من اختصاصه في الزواج والوصاية والمبيعات والإرث والوصية، كان يهتم بالمصالح الشخصية وبعض الأحيان تشمل مهامه النظر في السرقات .

- **القضاء الجنائي**: كانت الجرائم السياسية من اختصاص ممثلي الحكومة سواء الآغا أو القائد أو الخليفة وفي الحالات الخطيرة تكون من اختصاص الأمير عبد القادر، أهم هذه القضايا الجرائم، التجسس والتعاون مع الاحتلال الفرنسي رفض الوحدة والتمرد، اختلاس الموظف الحكومي شكايات المواطنين ضد القبيلة أو الآغا، المساس بالأمن العام، مهاجمة المسافرين والسرقات، والمؤامرات ضد الدولة، أقر الأمير عبد القادر المسؤولية على أساس واسع الرقابة على الموظفين في مختلف المستويات³

- **القضاء العسكري**: لقد أوجد الأمير عبد القادر قانونا عسكريا وفق الأحكام الشرعية للمحافظة على الأمن والاستقرار الى جانب الانضباط وفق قوانين تسيير وحدات الجيش الوطني الشعبي لمواصلة مهمتهم المتمثلة في مقاومة الاحتلال الفرنسي، خصص الأمير عبد القادر قاضيا يهتم بالشؤون العسكرية وأسندت الرئاسة في هذا الاختصاص لابن عبد القادر بن مصطفى المشرفي⁴ كما أصدر الأمير عبد القادر قانونا ينظم هذه الوظيفة وهذا القانون يحتوي على 24 مادة العقوبة

¹ A. Belmare, *Abdelkader sa vie politique et militaire, op.cit.*, p. 126.

² - محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص. 309.

³ - قداش محفوظ، الأمير عبد القادر، ص. 59-60.

⁴ - محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص. 309.

الصادرة تتراوح بين السجن والإعدام في حالة الخيانة القسوى للوطن أو الهروب من الجيش أثناء الحرب وفي بعض الحالات تصدر عقوبات تعزيرية وفق درجة العقوبة¹.

- **قاضي الطرائق**: مهمته حماية أملاك الدولة وأموال بيت مال المسلمين عن طريق الارث.

- **قاضي المحلة**: مهمته تطبيق العدالة داخل وحدات الجيش فهذا النظام لم يكن معروفا في نظام القضاء في العهود السابقة والسبب في هذا يرجع الى الروح النظامية التي كان يتصف بها الأمير وحبه للدقة والانضباط في جميع شؤون الدولة².

سعى الأمير عبد القادر من أجل تحقيق العدل فأوكل شخصا ينادي الناس بالأسواق والمساجد والمحلات العمومية "من لديه مظلمة عند آغا أوقائد أوقاضي فليأتي بها وسأقوم بالحكم وفي حالة ان لم يشترك مظلمته لن يسألني الله يوم القيامة"³.

- **اختصاصات صاحب المظالم**: وهو عبارة عن هيئة قضائية عليا يلقب رئيس الديوان صاحب المظالم وسلطته أعلى من سلطة القاضي، تسند للأمير عبد القادر يصدر حكمه حول هذه المظالم بعد استماعه للشكاوي وحتى القضايا الجنائية من اختصاصه بدون استئناف وفق ما يقتضيه الشرع الاسلامي⁴.

8- الجانب الثقافي:

الدولة الجزائرية بقيادة الأمير عبد القادر عملت للمحافظة على رصيدها الثقافي العربي الإسلامي من أجل تحقيق التحرر الجزائري والمحافظة على الكيان الإسلامي⁵، حاول الأمير عبد القادر تجسيد هذه الشعارات كترتيب بعض الكتاتيب لتدريس الأطفال تعاليم القراءة والكتابة والصلاة أما الطلبة يكملون دراستهم بالمساجد وكان الأمير عبد القادر يكرم هؤلاء الطلبة، وأصر للمحافظة على المخطوطات ومعاينة من يقوم باتلافها لقد كانت بالزمالة العاصمة الجزائرية المتنقلة مكتبة بها أهم المخطوطات قام جيش الاحتلال الفرنسي بحرقها في 16 ماي 1843 بقيادة الدوق دومال بعد عودة الأمير عبد القادر إلى الزمالة كان يلاحق شتات أوراق الكتب المبعثرة التي عانى في جمعها⁶.

¹ - قداش محفوظ ، الأمير عبد القادر، ص. 60.

² - B. Abdelhamid, *L'État Algérien en 1830 institutions sous l'émir Abdelkader, entreprise populaire algérienne*, op.cit., p. 85-86.

³ - R. Gallissot, *Maghreb Algérie classes et nation*, éd. Arcantère, Paris, 1987, p. 132.

⁴ - تشرشل شارل هنري ، المصدر السابق، ص 203 - 204.

⁵ - محفوظ قداش، الأمير عبد القادر، ص. 50 - 51.

⁶ - A. Belmare, *Abdelkader sa vie politique et militaire*, op.cit., p. 125 - 126.

الفصل الثاني

النشاط العسكري للأمير عبدالقادر 1832 - 1847م.

1- المعارك التي خاضها الأمير عبد القادر ضد قوات الاحتلال الفرنسي 1832-1837م:

- نماذج من المعارك التي خاضها الأمير عبد القادر:

- معركة التينة 27 ماي 1833م :

عملت قوات الجيش الشعبي الوطني بقيادة الأمير عبد القادر السيطرة على الوضع بمنطقة الغرب الجزائري والحد من توسعات الجيش الفرنسي بقيادة الجنرال بواي بمنع التجار الجزائريين من تموين قوات الاحتلال الفرنسي وفرض عليهم حصار اقتصادي¹ في 27 ماي هاجمت قوات الجيش الشعبي الوطني بقيادة الأمير عبد القادر حصن سانت أندري "Saint-André" لكنها لم تستطع اختراق هذه التحصينات لذا قامت بمهاجمة القوات المهاجمة الفرنسية وتمكنت من القضاء على بعض القوات الفرنسية و لولا الدعم الذي تلقاه الجنرال ديميشال وقصف المدفعية المكثف لما تراجعت قوات الجيش الوطني الشعبي، وفي 30 ماي تمت مهاجمة حصن أورليان "Orleant" لكن القصف المدفعي حد من هذه الهجومات واتجه الجيش الوطني الشعبي بعدها نحو مدينة معسكر، بينما دخلت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال ديميشال "Desmichels" إلى وهران في الفاتح جوان

¹ - J. Pichon, *Abdelkader*, éd. Nouvelle, Tlemcen, 1886, p. 24.

1833م¹، خسر الجيش الفرنسي ثلاث مقاتلين أما قوات الجيش الوطني ففقدت حوالي 80 شهيدا حسب الإحصائيات الفرنسية بينما كانت مواجهة الجيش الشعبي الوطني لقوات الاحتلال الفرنسي التي فرض عليها حصارا بتحسيناتهم تتكبد خسائر أقل ضررا ومن خلال هذه المعركة أكد الأمير عبد القادر إصراره على مواصلة المقاومة ضد قوات الاحتلال الفرنسي

- معركة عين البريدية 11 جوان 1833م .

أبقت قوات الجيش الوطني الشعبي بقيادة الأمير عبد القادر، على فكرة مواصلة المقاومة لبعث الثقة والظهور أمام قوات الاحتلال الفرنسي بعزيمة أكبر، لذا لم تترك الوقت لاستراحة قوات الاحتلال الفرنسي لكي تسترجع قواها وتنظم صفوفها وتضبط خططها في 2 جوان تم القبض على 7 جنود فرنسيين من قوات المدفعية من طرف قوات الجيش الوطني الشعبي وفي 11 جوان خرجت قوات الجيش الفرنسي بقيادة الجنرال ديميشال إلى غربي السبخة الكبرى جنوبي وهران، ثم اتجهت نحو عين البريدية حيث تابعت قوات الجيش الوطني الشعبي بقيادة الأمير عبد القادر تحركاتهم²، ولما وصلت القوات الفرنسية عين البريدية قامت بمهاجمتهم، ودامت المشادات حتى منتصف الليل، تراجعت قوات الجيش الوطني الشعبي نحو الجهة الغربية للسبخة الكبرى بينما انسحبت قوات الاحتلال الفرنسي نحو وهران في اليوم الموالي³ لم تكن الخسائر البشرية كبيرة من الطرفين ولم يتمكن ديميشال من فرض سيطرته للقضاء على قوات الجيش الوطني الشعبي بينما حافظ الأمير عبد القادر على الروح المعنوية لقواته بالرغم من التفاوت التجهيزي بين القوتين وقد تعرف على نقاط القوة والضعف لقوات الجيش الشعبي الوطني من أجل تدارك النقائص⁴

- مواجهة أرزيو 05 جويلية 1833م:

هاجمت قوات الجيش الشعبي الوطني بقيادة الأمير عبد القادر قوات الاحتلال الفرنسي بمدينة أرزيو، واستطاعت القوات الوطنية من دخول مدينة أرزيو إلا أن القصف المدفعي والتجهيز الحربي الفرنسي مكن قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال ديميشال من دخول المدينة في 5

¹ - محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص. 171.

² - حرب أديب، المرجع السابق، ج. 1، ص. 103-104.

³ - P. Azan, *L'émir Abdelkader 1808-1883, du fanatisme musulman au patriotisme français*, op. cit., p. 19.

⁴ - محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص. 171.

جويلية 1833¹ بحرا انطلاقا من المرسى الكبير، انسحب الجيش الوطني الشعبي وفي 13 جويلية أبقى الجنرال ديميشال حامية عسكرية بمدينة أرزيو²

- مواجهة مستغانم 27 جويلية 1833م .

هاجمت قوات الجيش الشعبي الوطني بقيادة الأمير عبد القادر قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال ديميشال في 26-27 جويلية بمدينة مستغانم وقد انسحبت قوات الجيش الوطني بعد المسافة التي قطعها أرهقها السير في متابعة القوات الفرنسية إلى جانب القصف المدفعي المكثف، لذا تمكنت القوات الفرنسية من دخول مدينة مستغانم واستقبلهم القائد العثماني الباي إبراهيم³.

- معركة مولاي إسماعيل 26 جوان 1835م :

تمكنت قوات الجيش الوطني الشعبي بقيادة الأمير عبد القادر من مواجهة قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال تريزل⁴ في 26 جوان 1835م⁵ وتم قتل العقيد أودينو "Oudinot"⁶ انسحب الجنرال تريزل متخذا طريق معسكر، وعتت الفوضى وسط الجيش الفرنسي فأصبحت قوات المشاة والمدفعية تطلق النار من دون هدف⁷ بعد محاصرة الجيش الوطني الشعبي لقوات الاحتلال الفرنسي ابتعدت القوات الجزائرية بقيادة المازاري الذي أوكلت لها مهمة قطع طريق الرجعة واتجهت لجمع الغنيمة⁸ لقد شهدت المعركة عدة ضحايا، خسرت قوات الجيش الوطني الشعبي 400 شهيد من بينهم مصطفى ولد سعيد والحاج محمد بن عوالي من قبيلة الغرابة بينما خسر الجيش الفرنسي العقيد أودينو و 180 جريحا⁹ وإلتحق الممثل الفرنسي بمعسكر عبد الله عصبون للقوات الفرنسية¹⁰ رغم النقائص في التجهيز والتدريب العسكري الجزائري أظهرت القوات الوطنية

¹ - L. Plée, *Abd-el-kader, op. cit.*, p. 66.

² - حرب أديب، المرجع السابق، ج. 1، ص. 105.

³ - P. Azan, *L'émir Abdelkader 1808-1883, du fanatisme musulman au patriotisme français, op. cit.*, p. 19.

⁴ - تريزل : 1780 - 1860، ولد بباريس التحق بالجيش الفرنسي برتبة ملازم وفي سنة 1835 عين قائدا عسكريا لمقاطعة وهران، وفي جوان 1835 عاد إلى باريس كوزير للحربية في سنة 1837 - 1848 ينظر:

T. Changarnier, *Mémoire du général Changarnier, op.cit.*, p. 10.

⁵ - حرب أديب، المرجع السابق، ج. 1، ص. 181-182.

⁶ - A. Fillas, *Histoire de la conquête et la colonisation de l'Algérie (1830-1860)*, éd. De Vresse, Paris, 1860, p. 110.

⁷ - حرب أديب، المرجع السابق، ج. 1، ص. 183.

⁸ - A. Fillas, *Histoire de la conquête et la colonisation de l'Algérie (1830 - 1860)*, op.cit. , p.117.

⁹ - De Mintimpry, *Souvenirs d'un officier d'état major histoire de l'établissement de la domination française dans la* Provincé d'Oran, op.cit., p. 11.

¹⁰ - عبد الله عصبون من اصل سوري عين كمترجم 1830 في خدمة الجيش الفرنسي بالجزائر وفي 1834 ارسل الى وهران بقيادة الجنرال ديميشال وكان له دورا في عملية الترجمة في معاهدة ديميشال مع الامير عبد القادر وعين بعدها ممثلا لفرنسا بمدينة معسكر وبقي يشغل مترجما حتى سنة 1847 ينظر:

Ch. Faraud, *Interprètes d'armée d'Afrique*, éd. Jourdan, Alger, 1876, p. 185.

مواجهتها لقوات الاحتلال الفرنسي وأصبحت أكثر تمسكا بالقضية الوطنية وأكدت أن أمد الحرب سيكون طويلا.

- معركة المقطع 28 جوان 1835 م .

إنطلقت المعركة ظهيرة 28 جوان 1835م وبدأت المشادات بهجوم قوات الجيش الوطني الشعبي على قوات الاحتلال الفرنسي بطلقات نارية من جميع الجهات¹ وعند تقدم هذه القوات الفرنسية نحو الأمام، قامت قوات الجيش الوطني الشعبي بدرجة الصخور² من أماكن مرتفعة لزراعة الجيش الفرنسي وتشيتت شمله وقطع الطريق، فتراجعت هذه القوات لفتح الطريق بصعوبة وأمام الضغوطات الممارسة من طرف قوات الجيش الوطني الشعبي من جميع الجهات وفي هذه الظروف أمر الجنرال تريزل بعض القوات بفتح الطريق³ ونتيجة هذا التوغل اضطربت صفوف الجيش الفرنسي وإثر هجوم القوات الوطنية ضد قوات الاحتلال الفرنسي تكبدت خسائر كبيرة، وغرق في هذه المستنقعات جزء من مستشفى الميدان والمدفعية أما بقية المدفعيين الفرنسيين فصلوا مدافعهم عن حاملاتها وهربوا بخيولها⁴ بينما الفرق الأخرى تداخلت فيما بينها في فوضى عارمة وبعد ساعتين من المشي وصلت قوات الاحتلال الفرنسي إلى مرفأ أرزيو ووصلت قوات النجدة التي طلبها الجنرال تريزل من وهران عن طريق البحر بقيادة المقدم لاموسيير" - De LaMoricière⁵ وفي 4 جويلية وصلت القوات الفرنسية الى وهران عن طريق البحر وإتجه الجيش الوطني الشعبي نحو معسكر التي دخلها في 1 جويلية ، تختلف المصادر التاريخية حول نتائج المعركة فقد كانت النتيجة كبيرة حوالي 800 جندي قتل⁶، بينما هناك من يرى أن خسائر الجيش الفرنسي ما بين 26 إلى 28 جوان 308 جريح و262 قتيل⁷، ويرى البعض أن قوات الجيش الوطني الشعبي غنمت 400,000 بندقية، عدد القتلى 280 وعدد الجرحى 500 وأسر 17 جنديا⁸ ولقد فقد الجنرال تريزل عينه في هذه المعركة¹ يصف لامورسيير حالة الجيش بعد

¹ - C. Rousset, *la conquête d'Alger*, op.cit., p. 393.

² - حرب، أديب المرجع السابق، ج. 1، ص. 194.

³ - تشرشل شارل هنري، المصدر السابق، ص. 135.

⁴ - P. Azan, *L'émir Abdelkader 1808-1883, du fanatisme musulman au patriotisme français*, op. cit., p. 52.

⁵ - دو لامورسيير: ولد في 05 فيفري 1806 بنانت، شارك في معركة موزاية في 12 ماي 1840 ثم صار وزيرا للحربية 1848، توفي في 11 سبتمبر 1865

بروزال، ينظر: T. Changarnier, *Mémoire du général Changarnier*, op.cit., p. 92.

⁶ - C. Rousset, *la conquête d'Alger*, op.cit., p. 393.

⁷ - R. Demont, *Histoire de la conquête de l'Algérie de 1830-1847*, op.cit., t. 1, p. 213.

⁸ - A. Delpech, *Histoire d'elhadj Abdelkader par son cousin ElHossin Ben Ali Ben Abitaleb*, *Revue Africaine*, t. 20, 1876, p. 428.

المعركة في رسالة موجهة إلى "Duvivier" عاينت حالة الجيش إنها مؤلمة للغاية، فالروح المعنوية أصبحت منعدمة وكانت معركة المقطع ذات صدى دولي وخاصة لدى الرأي العام الفرنسي ، وقد نقد البرلمان الفرنسي واعترض للحالة التي كان يعيشها الجيش الفرنسي بالجزائر وطالب بتغيير القيادات² ونتيجة لهذا الضغط قامت الحكومة الفرنسية بتعيين الجنرال كلوزال حاكما عاما وتم تعيين دارلانج "D'arlanje" خلفا لتريزل بوهران³ وحسب العقيد كافنيك ان معركة المقطع أظهرت للقوات الفرنسية وللجنرال تريزل عدوا يصعب قهره ويجب هزيمته حتى يتحقق التوسع⁴ ساعدت نتائج المعركة على توطيد دعائم الدولة الجزائرية التي كان الأمير عبدالقادر يسعى لتأسيسها، وعكست حرب المواجهة إستراتيجية الأمير عبدالقادر الحربية في إختيار المواقع وإستدراج قوات الإحتلال الفرنسي التي تكبدت خسائر كبرى مادية وبشرية وأوضحت مدى تشبث الشعب الجزائري بالمقاومة الوطنية، بينما منطقة الشرق الجزائري لم تستغل هذه الإنتصارات ووقعها على المقاومة الشعبية الوطنية وبقيت تنتظر قوات الإحتلال الفرنسي، ماذا يعني هذا شعب يقاوم ويتكبد الخسائر المادية والبشرية من أجل الوطن الجزائري ويعمل من أجل وحدة الشعب الجزائري ضد قوات الإحتلال الفرنسي.

- معركة الخروف 03 ديسمبر 1835م :

اهتم الجنرال كلوزال "Clauzel"⁵ بعد تعيينه حاكما عاما على الجزائر في أوت 1835م القضاء على المقاومة الجزائرية، وقطع الإمدادات التي تأتي عن طريق البحر باحتلال مرفأ رشقون في 20

¹ De Mintimpry, *Souvenirs d'un officier d'état major histoire de l'établissement de la domination française dans la Province d'Oran*, op.cit., p. 13.

² C. Rousset, *la conquête d'Alger*, op.cit., p. 394.

³ De Mintimpry, *Souvenirs d'un officier d'état major histoire de l'établissement de la domination française dans la Province d'Oran*, op.cit., p. 13 - 14.

⁴ E. Cavignac, *La régence d'Alger note sur l'occupation*, éd. Magen, Paris, 1839, p. 32.

⁵ - الجنرال كلوزال: ولد في سنة 1772 بمدينة ارياج الفرنسية، تولى عدة مناصب في السفارات الفرنسية كملحق عسكري، وفي 7 أوت 1830 عين على رأس القوات الفرنسية في الجزائر، ثم سنة 1835 1837، وفي 12 جانفي 1838 ، توفي في 21 افريل 1842. ينظر :

B. Clauzel, *Correspondances du maréchal Clauzel*, éd. Larousse, Paris, 1949, p. 6.

أكتوبر 1835م حيث أصبحت قوات الاحتلال تسيطر على معظم شواطئ الغرب الجزائري، كان هدفه من هذه الإجراءات فرض الحصار حتى لا تتمكن قوات الجيش الوطني الشعبي التزود بالموءن والذخيرة الحربية، وعمل على رفع معنويات الجيش الفرنسي بعد انهزامه بمعركة المقطع وأثارها السلبية على نفسيتهم ومعنوياتهم وبوضعيتهم الصعبة بالجزائر حيث كانت هذه القوات تعيش في وضع جد متأزم بالمدن الساحلية بعدما امتنعت القبائل الجزائرية عن تموينها بالقمح استجابة لأوامر الأمير عبدالقادر الذي كان يسعى لوحدة الشعب الجزائري وإقامة دولة وطنية جزائرية¹.

تمكنق قوات الجيش الوطني الشعبي بقيادة الأمير عبدالقادر من صد قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال كلوزال وتكبدت قواتهم خسائر، عسكرت بسهل سيق صباح 03 ديسمبر وأمر الجنرال كلوزال بالسير عن طريق مناطق سيق والهبرة، فضلت قوات الاحتلال الفرنسي الطريق الأطول نحو معسكر بعدما لاحظت عناصر قوات الجيش الوطني الشعبي على سفوح الجبال²، تخوف الجنرال كلوزال على قواته وفي هذه الأوضاع قرر الأمير عبدالقادر رفقة الجيش الوطني مهاجمة قوات الاحتلال الفرنسي³ من طرف الفرسان الجزائريين على مؤخرة قوات الجيش الفرنسي، وبعد هذا الهجوم وقعت ثغرات بين المقدمة والمؤخرة استغلقتها قوات الجيش الوطني الشعبي للتوغل في وسط الصفوف الفرنسية إلا أن انضمام الفرقة الأولى للفرق الأخرى وتشديد عملية القصف المدفعي أدت إلى انسحاب قوات الجيش الوطني الشعبي نحو الجبال لاستدراج القوات الفرنسية إلا أن الجنرال كلوزال تفتن لذلك و لم يتابعهم بل اتجه نحو وادي الهبرة بينما قام الأمير عبد القادر بترتيب صفوفه لمنع التقدم الفرنسي نحو معسكر⁴

- معركة سيدي مبارك في 03 ديسمبر 1835م :

وصلت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال كلوزال سيدي مبارك على الرابعة مساء في 03 ديسمبر 1835م ووضعق القوات الوطنية بقيادة الأمير عبدالقادر كميناً لهذه القوات، وبعدما دخلت

¹ - حرب أديب ، المرجع السابق، ج. 1 ، ص. 280 .

² - نفسه، ص. 227.

³ - P. Azan, L'émir Abdelkader 1808-1883, du fanatisme musulman au patriotisme français, op. cit., p. 62.

⁴ - حرب أديب ، المرجع السابق، ج. 1 ، ص. 230.

قوات الاستطلاع الفرنسية إلى الغابة، قام الجيش الوطني الشعبي بمواجهتها ونظرا للقصف المكثف للمدفعية الفرنسية تراجع الجيش الوطني الشعبي وتمكنت بعدها قوات الاحتلال الفرنسي بالتمركز بسهل سيدي مبارك الهبرة¹، احتلت قوات الجيش الفرنسي مدينة معسكر على الساعة الخامسة مساء في 7 ديسمبر 1835م، وأحرقت المدينة ودمر مصنع الذخيرة، وبهذه المقاومة والمعارك الجزائرية ضد قوات الاحتلال الفرنسي تظهر الاستماتة في الدفاع عن أرض الجزائر².

- معركة يسر تافنة 25 جانفي 1836م :

هاجمت قوات الجيش الوطني الشعبي بقيادة الأمير عبد القادر قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال كلوزال وقد استطاعت القوات الفرنسية من صد الهجوم بالقصف المدفعي وهذا ما أدى بالقوات الوطنية لاتخاذ مواقع دفاعية لمنع تقدم القوات الفرنسية³، وعسكرت القوات الوطنية فوق الجبال المطلّة على طريق تلمسان بالتافنة لتراقب تحركات قوات الاحتلال الفرنسي تحضيراً لمواجهة أخرى.

- معركة سبع شيوخ 27 جانفي 1836م :

هاجمت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال كلوزال رفقة الآغا المازاري⁴ والمقدم يوسف على قوات الجيش الوطني الشعبي بقيادة الأمير عبد القادر تحت مساندة الخليفة البوحميدي المتمركزين بمرتفعات سبع شيوخ⁵ واستمرت المدفعية الفرنسية في القصف ضد القوات الوطنية فتراجعت هذه القوات نحو المرتفعات المتحكمة بالطريق ومن جراء هذه المشادات والمعارك اضطرت قوات الاحتلال الفرنسي للتراجع نحو مدينة تلمسان

لم يحقق الماريشال كلوزال مشاريعه رغم تعداد قواته وعتاده الحربي بواد يسر ولم تخسر قوات الجيش الشعبي الوطني بقيادة الأمير عبد القادر المعركة وأظهرت طريقة جيدة في المعارك هي طريقة الكر والفر وتحكمها في المواقع مع الإبقاء على تحصيناتهم بمدينة تلمسان لمحاصرة القوات الفرنسية وأكدت هذه المعركة الإستراتيجية الحربية، للمحافظة على طرق التموين للمقاومة الشعبية الجزائرية أما في معركة سبع شيوخ أوقفت تقدم قوات الاحتلال الفرنسي وأجبرتها للعودة إلى

¹ - نفسه، ص. 235-237.

² - Ch.-A. Julien, *Histoire de l'Algérie contemporaine conquête et colonisation (1827- 1871)*, op.cit., p. 128.

³ - حرب أديب، المرجع السابق، ج. 1، ص. 257.

⁴ - المازاري: كان آغا في العهد العثماني بعد 1830 اعترف بسلطة ملك المغرب ثم انضم للأمير في 1833 فعينه آغا للدواير والزمالة، أعلن خضوعه لفرنسا وعينه كلوزل آغا باي مستغانم وفي 1845 كأغا للدواير والزمالة ينظر:

E. Daumas, *Correspondances du capitaine Daumas consul à Mascara, 1837-1839*, op.cit., p. 80.

⁵ - P. Azan, *L'émir Abdelkader 1808-1883, du fanatisme musulman au patriotisme français*, op. cit., p. 78.

تلمسان وتمت السيطرة على طرق المواصلات بالمنطقة وإفشال المشروع العسكري الفرنسي في إخضاع قبائل المنطقة وسعى الأمير عبد القادر لتحقيق دولة جزائرية قوية لمواجهة قوات الاحتلال الفرنسي¹ الأكثر جاهزية وتنظيما لمشروع مخطط له، وبذلت فيه الحكومة الفرنسية أموالا ضخمة وجيوشا ومعدات حربية لتحقيقه لمدة أكثر من 3 سنوات للتحضير 1827-1834م وإستطاع مواجهة هذه القوات الفرنسية المدربة والمنظمة والمسلحة، بينما قوات الجيش الوطني الشعبي هم متطوعون من قبائل متفرقة وذخيرة غير مضمونة .

- معركة واد الأطشم 15 أفريل 1836م :

هاجمت قوات الاحتلال الفرنسي بوادي غزار بقيادة الجنرال دارلانج ، قوات الجيش الشعبي الوطني بقيادة الأمير عبد القادر كان القصف المدفعي مشددا ضد مواقع القوات الوطنية، ورتب الجنرال دارلانج صفوفه لشن هجوم شامل² لذا أصدر الأمير عبد القادر أمرا بالتراجع للحفاظ على مراكزهم على جانبي المضيق لمراقبة تحركات قوات الاحتلال الفرنسي وأخذت الإحتياطات اللازمة لإعادة الهجوم .³

خسرت قوات الجيش الفرنسي 15 جنديا و70 جريحا⁴ خلال هذه المعركة رغم التفاوت التجهيزي بين الطرفين في جميع المجالات الحربية، وبالرغم من طول المسافة التي قطعتها قوات الجيش الوطني الشعبي للمحافظة على المنطقة لأهميتها الإستراتيجية ، وإفشالا للمشروع الفرنسي بإرادة قوية في المقاومة.

- معركة سيدي يعقوب 25 أفريل 1836م :

¹ - حرب أديب ، المرجع السابق، ج. 1، ص. 257-261.

² - نفسه، ص. 271-273.

³ - P. Azan, *L'émir Abdelkader 1808-1883, du fanatisme musulman au patriotisme français*, op. cit., p. 82.

⁴ - De Mintimpry, *Souvenirs d'un officier d'état major histoire de l'établissement de la domination française dans la Province d'Oran*, op.cit., p. 30.

بعد اجتياز الفرقة الفرنسية تحت قيادة العقيد كومب التلة المطلة على سهل سيدي يعقوب هاجمت الجيش الوطني الشعبي، باستخدام المدفعية، إلا أن القوات الوطنية ردت هجوماتها بطريقة معاكسة¹ واستطاعت من محاصرة قوات الجنرال دارلانج وشنت فرقة أخرى هجوماً على معسكر التافنة الذي كان بقيادة المقدم لامورسيير، وقطعت خط الرجعة لقوات الجنرال دارلانج بعدما سيطرت قوات الجيش الوطني الشعبي على مراكز المدفعية الفرنسية فتراجعت هذه القوات الفرنسية نحو تحصينات معسكر التافنة أما الحامية العسكرية الفرنسية بقيادة النقيب كافينياك بالمشوار ضيق عليها الخناق وأصبح تنقلها مستحيلاً .

حققت قوات الجيش الوطني الشعبي بقيادة الأمير عبد القادر من خلال هذه المعركة انتصاراً إستراتيجياً والمتمثل في محاصرة قوات الاحتلال الفرنسي وتضييق الخناق على حامياتها العسكرية بمنطقة تلمسان ، وزيادة الروح المعنوية لقوات الجيش وإيمانهم بالقضية الوطنية والعمل على طرد قوات الاحتلال الفرنسي والقضاء على توسعته بالجزائر² .

- معركة السكاك : 06 جويلية 1836م:

أمام الأوضاع الصعبة التي كانت تعيشها قوات الاحتلال الفرنسي بمنطقة الغرب الجزائري، قامت وزارة الحربية الفرنسية بإرسال الجنرال بيجو "Bugeaud"³ في 23 ماي على رأس قوات مكونة من 3 فيالق من المشاة للإستيلاء على معسكر التافنة وتنظيم قواته من أجل القضاء على المقاومة الشعبية الجزائرية ومصادر تموينها، في 6 جويلية 1836م هاجمت قوات الجيش الشعبي الوطني بوادي السكاك قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال بيجو الذي طلب من قواته تكثيف عملية القصف المدفعي ضد قوات الجيش الوطني الشعبي⁴ وبعدها تفتن الأمير عبد القادر لخطة الجنرال بيجو المستهدفة لقوات الجيش الشعبي الوطني أمرهم بالانسحاب من وادي يسر، بينما تواصلت المشادات في هضبة السكاك انسحبت القوات الوطنية وتم إحتلال منطقة السكاك من طرف قوات الاحتلال الفرنسي .

¹ - P. Azan, *L'émir Abdelkader 1808-1883, du fanatisme musulman au patriotisme français*, op. cit., p. 80.

² - حرب أديب ، المرجع السابق، ج. 1 ، ص. 276-282.

³ - بيجو : ولد في 15 ديسمبر 1775 بمقاطعة لاندورانتى التحق بالجيش الفرنسي ماي 1804 حارب في اسبانيا برتبة عميد وشارك في معارك بالجزائر، رقي الى جنرال أوت 1836 وعين حاكماً عاماً 1841-1847 توفي 1849م ينظر:

P. Azan, *L'émir Abdelkader 1808-1883, du fanatisme musulman au patriotisme français*, op. cit., p. 81-83.

⁴ - حرب أديب ، المرجع السابق، ج. 1 ، ص. 302.

خسرت قوات الجيش الوطني الشعبي 120 شهيدا و 240 جريحا¹ و 130 أسيرا أما الخسائر الفرنسية 32 قتيلًا و 70 جريحًا، حسب الإحصائيات الفرنسية لايعتبر انهزام قوات الجيش الوطني الشعبي بقيادة الأمير عبد القادر في معركة غير حاسمة معناه نهاية المقاومة الشعبية الوطنية، وإنما هي بدايتها فرغم الخسائر والجهود المبذولة والضحايا ونقص المؤونة والذخيرة الحربية إلا أن هذه القوات التي لا تمتلك مدارس عسكرية ولا مصانع حربية ولا عتاد مدفعي متطور تجابه قوات أكثر تنظيماً وتحضيراً للحرب من ناحية القدرات الحربية وما زالت تضحى في سبيل الوطن وتتابع محاصرتها لقوات الاحتلال بمنطقة تلمسان².

2- المعارك التي خاضها الأمير عبد القادر ضد قوات الاحتلال الفرنسي 1839-1847م:

- نماذج من المعارك التي خاضها الأمير عبد القادر:

- معركة غابة كرزازة العفرون 27 أفريل 1840 م:

تمكنت قوات الجيش الوطني الشعبي بعد سبع سنوات من المعارك من زيادة تكثيف العمليات الحربية ضد قوات الاحتلال الفرنسي سنة 1839م فلجأت هذه القوات الفرنسية بالتراجع³ رغم تزايد عدد الجند إلى 58 ألف مقاتل⁴ دون إحتراب قوات القبائل المنضمة لقوات الجيش الفرنسي من فرسان الدواير والزمالة والصبايحية وغيرها من القبائل الجزائرية، وقد أصدرت الحكومة الفرنسية من طرف الوزير تيار "Thièr" مارس 1840م أوامرها للجنرال فالي "Valée"⁵ ببسط نفوذه على جميع التراب الوطني والقضاء على المقاومة الشعبية بجميع الطرق والوسائل، ووافقت الحكومة على مشروع الحملة سنة 1840م في إحتلال المدينة، مليانة وشرشال، في 27 أفريل 1840م هاجمت قوات الجيش الشعبي الوطني بقيادة الخليفة بن علال قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال فالي بغابة كرزازة فتصدت القوات الفرنسية لهذه الهجومات بالقصف المدفعي⁶، وجمعت القوات الفرنسية صفوفها بجبال العفرون، والتحقت القوات الوطنية بقيادة الخليفة بن علال بالجيش الوطني الشعبي بقيادة الأمير عبد القادر بمرتفعات مضيق موزاية⁷.

¹ - نفسه ، ص. 304.

² - P. Azan, *L'émir Abdelkader 1808-1883, du fanatisme musulman au patriotisme français*, op. cit., p. 85.

³ - حرب أديب ، المرجع السابق ، ج. 2 ، ص. 253.

⁴ - P. Azan, *L'émir Abdelkader 1808-1883, du fanatisme musulman au patriotisme français*, op. cit., p. 163.

⁵ - فالي : ولد في برلين لوشاتو بتاريخ 17 ديسمبر 1773، حارب في إسبانيا برتبة عميد سنة 1809-1811، أرسل إلى الجزائر كحاكم عام في 1 ديسمبر 1837-29 جانفي 1841 قاد عدة معارك أهمها غابة كرزازة ، و موزاية ، وغابة الزيتون أنظر : أديب حرب، المرجع السابق ، ج. 2 ، ص. 131.

⁶ - P. Azan, *L'émir Abdelkader 1808-1883, du fanatisme musulman au patriotisme français*, op. cit., p. 195.

⁷ - Ibid., id., p. 195.

دامت المعركة يوما تقدمت فيه قوات الاحتلال الفرنسي وتمركزت بقمة العفرون بعدما خسرت 6 قتلى من بينهم العقيد ميلتجان "Miltegene" بينما قوات الجيش الوطني الشعبي بقيادة الخليفة بن علال لم تعترض لخسائر كبيرة، وتمكنت من عرقلة سير قوات الاحتلال الفرنسي، الخطة المسطرة من طرف الأمير عبد القادر تتناسب لمواجهة قوات الاحتلال الفرنسي ولتحقيق أكبر الخسائر بهذه القوات دون تعرض صفوف الجيش الوطني الشعبي لخسائر .

- معركة موزاية 12 ماي 1840م :

بعد 8 سنوات من الجهد الحربي لازالت المقاومة الشعبية الوطنية تواصل مقاومتها ومطاردتها لقوات الاحتلال الفرنسي بإمكانيات ضئيلة ومسافات بعيدة على أحصنتها مع نقص في الذخيرة والمؤونة، بعد جهد شاق تواصل مقاومتها على بعد 400 كلم مسافة مسيرة خمسة أيام إلا أن إيمانهم بالجهاد والمقاومة وحب الوطن جعلهم يتناسون كل هذه الصعاب، فلم تكن معركة غابة كرزازة إلا بداية للمجابهة، بينما كانت قوات الاحتلال الفرنسي تستعد للسير نحو المدية، كانت قوات الجيش الوطني الشعبي بقيادة الأمير عبد القادر بمضيق موزاية تنهياً لوقف الزحف الفرنسي¹

في 12 ماي 1840م هاجمت قوات الجيش الوطني الشعبي بقيادة الأمير عبد القادر القوات الفرنسية وبعد هذه المشادات بمرتفع الغذاء تقدمت القوات الفرنسية بقيادة الجنرال شونقارني "Changarnier"² فعملت على تكثيف عملية القصف المدفعي على مواقع تمرکز الجيش الوطني الشعبي لتوفير الوقت للقوات الفرنسية لإعادة تنظيم صفوفها بقيادة الجنرال فالي وتواصلت المشادات بالأسلحة الأبيض من طرف قوات الجيش الوطني الشعبي نظراً لنفاذ ذخيرة بنادقهم تأكيداً لعزيمتهم في الحرب والإستشهاد في سبيل الوطن³ .

الخسائر الفرنسية كانت أكثر من خسائر قوات الجيش الوطني الشعبي حيث تم قتل 84 جندي وضابط في صفوفهم وجرح 152 عسكري من بينهم الجنرال شران "Charram" والمقدم عزيون

¹ - حرب أديب ، المرجع السابق، ج. 2، ص. 283-285.
² - شونقارني: ولد في 26 أفريل 1793 ببلدة اوتان تيمدرس في الكلية الحربية بسان سير، حارب في إسبانيا سنة 1823، و في أوائل سنة 1837، ارسل إلى الجزائر ليتسلم في 15 ماي 1843 قيادة الكتيبة 61، و أصبح قائدا لحامية جامع الغزوات، خاض معارك ضد قوات المقاومة الشعبية الجزائرية، أهمها معركة وادي متوس في 23 سبتمبر 1845، ومعركة جبل كركور في 23 سبتمبر 1845، توفي 14 فيفري 1877 أنظر:
P. Azan, *Les grands soldats de L'Algérie*, op.cit., p. 88- 91.
³ - حرب أديب ، المرجع السابق، ج. 2، ص. 295-298.

"Gzioun" والجنرال روميني "Roménier" ومساعدته الجنرال مارابو "Morbo"¹ ألحقت المعركة خسائر بالجيش الفرنسي وأظهرت مدى تشبث الجيش الوطني الشعبي بالمقاومة والدفاع عن الأرض الجزائرية وتعتبر هذه المعارك ذات بعد وطني للمقاومة الجزائرية التي كان يسعى الأمير عبد القادر لتوطيدها بكامل التراب الوطني، بينما كانت مشاريع الاحتلال الفرنسي إحتلال المدن الداخلية لخنق المقاومة الجزائرية وتوسيع عملية الاحتلال للقضاء على روح المقاومة الجزائرية وإخضاع القبائل التي كانت تمون قوات الجيش الوطني الشعبي .

- معركة غابة الزيتون 20 ماي 1840م :

- بعدما توقف القتال بموزاية في 12 ماي 1840م تراجعت قوات الجيش الشعبي الوطني بقيادة الأمير عبد القادر نحو جنوب موزاية² لمواجهة جيش الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال فالي بغابة الزيتون وبعد جهود كبيرة ومسافات طويلة قطعتها قوات الجيش الشعبي الوطني مع قلة في المؤنة والذخيرة الحربية والجهد الذي تحملته هذه الخيول لقطع هذه المسافات الطويلة هاجمت قوات الجيش الشعبي الوطني القوات الفرنسية بقيادة الجنرال دامبياز "Dampiaze" مستغلة الفوضى التي عمت صفوف الجيش الفرنسي بالدخول في اشتباكات ضد قوات الجيش الفرنسي بالسلاح الأبيض حفاظا على ذخيرتهم وسيطروا على المرتفعات المحاذية لوادي الهربان³، وبعد سيطرة القوات الوطنية على مجريات الأحداث أمر الجنرال فالي بتكثيف القصف المدفعي واستمر القتال حتى الليل، فأمر الأمير عبد القادر المجاهدين بالتراجع بانتظام من أرض المعركة، بينما توجه جيش الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال فالي نحو مدينة البليدة التي دخلتها في 22 ماي⁴.

كانت إستراتيجية الأمير عبد القادر من المعركة هي إلحاق أكبر حجم ممكن من الخسائر في صفوف القوات الفرنسية، وقد تمكنت قوات الجيش الشعبي الوطني من بلوغ أهدافها فكانت خسائر الجيش الفرنسي في هذه المعركة حوالي 40 قتيلًا و 212 جريحًا حسب الإحصائيات الفرنسية، من دون تعرض القوات الجزائرية لخسائر كبيرة⁵.

¹ - تشرشل شارل هنري ، المصدر السابق ، ص. 243.

² - حرب أديب ، المرجع السابق ، ج. 2 ، ص. 306 - 308.

³ - نفسه ، ص. 310.

⁴ - نفسه ، ص. 311.

⁵ - P. Azan, L'émir Abdelkader 1808-1883, du fanatisme musulman au patriotisme français, op. cit., p. 165.

- معركة وادي متوس 23 سبتمبر 1845م :

تقدمت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة العقيد مونتيناك "Montainac"¹ وبعد مسيرة قصيرة بوادي متوس هاجمت قوات الجيش الوطني الشعبي بقيادة الخليفة البوحميدي قوات الاحتلال الفرنسي² وتم إصابة العقيد مونتيناك بجروح بليغة وبعد تراجع قوات الاحتلال الفرنسي أمر الأمير عبدالقادر القوات الوطنية بالتراجع نحو جبل كركور لاستدراج قوات الاحتلال الفرنسي ومن أجل إعادة تنظيم صفوف الجيش واستراحة الجنود والخيول وانسحبت القوات الفرنسية بالمنحدرات الشرقية. أظهرت المعركة مدى إيمان قوات الجيش الوطني الشعبي بالمقاومة الوطنية والدفاع عن التراب الجزائري رغم ما كانت تعانيه من مآسي معنوية ومادية مع قلة المؤونة وتعداد الجيش بإمكانيات بسيطة ظلت هذه القوات الوطنية تقاوم جيشين يحاصرانها شرقا وغربا وتتحدى الصعاب وتلحق خسائر جسيمة بقوات الاحتلال الفرنسي حيث أصيب مونتيناك بجروح بليغة في بطنه بينما قتل ثلاثة ضباط فرنسيين سانت ألفونس "Saint –Alphonse" وكلين "Quiline" بالإضافة لمقتل 36 جنديا حسب الإحصائيات الفرنسية³.

- معركة جبل كركور 23 سبتمبر 1845م :

أصدر النقيب داشرجار "Dacherjar" أوامر للملازم لازارت "Lazarte" بالتوجه بسرية عسكرية لإنقاذ قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة العقيد مونتيناك في منحدرات جبل كركور وعند وصول القوات الفرنسية بالمنطقة تواصلت هجومات قوات الجيش الوطني الشعبي ضد قوات النقيب داشرجار حيث فقد عددا كبيرا من جنده⁴ وقد تزايدت الخسائر الفرنسية بمقتل العقيد مونتيناك،⁵ وبعدها شنت قوات الجيش الوطني الشعبي هجوم شامل على هذه القوات الفرنسية استطاعت ان

¹ - مونتيناك: ولد في برلين لوشاتو بتاريخ 17 ديسمبر 1773م حارب في إسبانيا برتبة عميد من سنة 1809 حتى 1811م أرسل الى الجزائر كحاكم عام في 1 ديسمبر 1837 حتى 29 جانفي 1841. قاد القوات الفرنسية في عدة معارك ضد قوات المقاومة الشعبية ، منها غابة كرازة – العفرون بتاريخ 27 أفريل 1840م، و معركة موزاية في 12 ماي 1840م و معركة الزيتون في 20 ماي 1840م أنظر: حرب أديب ، المرجع السابق ، ج. 2 ، ص. 505.

² - حرب أديب ، المرجع السابق، ج. 2 ، ص. 520 – 521.

³ - P. Azan, *L'émir Abdelkader 1808-1883, du fanatisme musulman au patriotisme français*, op. cit., p. 207-208.

⁴ - حرب أديب ، المرجع السابق، ج. 2 ، ص. 523 – 524.

⁵ - P. Azan, *L'émir Abdelkader 1808-1883, du fanatisme musulman au patriotisme français*, op. cit., p. 208.

تلحق خسائر كبيرة بالقوات الفرنسية وتم أسر قائد القوات الفرنسية النقيب كونورود "Conorde" أما القوات التي كانت بقيادة المقدم داكوست تراجعت من أرض المعركة وخلال تراجعها انضمت إليها سرية النقيب بوغار "Boghar" نحو مرسى العنبر وفي طريقها واجهت فرسان الجيش الوطني الشعبي بقيادة الخليفة البوحميدي ووقعت مشادات بين القوتين قتل خلالها قائد قوات الاحتلال الفرنسي المقدم داكوست "Dacsotte" تسلم قيادة القوات الفرنسية النقيب دوترت "Detertte" إلا أنه توفي إثر هذه الهجمات التي كانت تشنها قوات الجيش الوطني الشعبي، فتولى القيادة النقيبين توماس "Thomas" وبربوت "Barboute" بعد إصابة النقيب بوغار في رجله برصاصة، فأصبحت سرية واحدة فرنسية تستطيع مواصلة القتال بقيادة النقيب جار "Gerre" المتمركزة بسيدي مرسى العنبر .

تكبدت قوات الجيش الفرنسي هزائم متكررة ومتلاحقة بعد مقتل عدد كبير من ضباطها موننتياك داكوست ، وبوترت ، بينما تم أسر المقدم داقونور "Dequonord" و 80 جنديا وضابط من سرايا المشاة هزيمة قوات الجيش الفرنسي تعكس مدى إيمان قوات الجيش الشعبي بالمقاومة ومواصلة المقاومة الوطنية بمؤونة قليلة، وعتاد حربي ضئيل، وحصار جيشين فرنسي ومغربي ألحقت مجموعة فرسان جزائريين خسائرًا بضباط فرنسيين من خريجي المدرسة العسكرية سان سير المتشبعين بأفكار الاستبداد والتقتيل، والإستراتيجيات الحربية في ملاحقة عدد من الفرسان المتطوعين بحيث لا يملكون ذخيرة مضمونة وجنود مدربين على الحرب يواجهون قوات فرنسية أكثر تنظيماً وتدريباً زيادة على امتلاكها لعتاد حربي متطور، وذخيرة حربية مضمونة ومؤن لجيشهم وخيولهم، هذه هي المقاومة التي كانت قوات الجيش الوطني تمارسها ضد قوات الاحتلال الفرنسي التي تغزو أراضيها وتستبد شعبها بسياسة أكثر تعسفا وإجراما¹ .

- معركة سيدي إبراهيم 26 سبتمبر 1845م :

هزيمة قوات الاحتلال الفرنسي بمعركة جبل كركور لم ينج منها إلا 82 جنديا وضابط واحد هو النقيب جارو حيث تراجعت هذه القوات الفرنسية بضريح سيدي إبراهيم تمكنت من تحصين مواقعها قبل أن تلاحقها قوات الجيش الوطني الشعبي خلال مسيرتها لحقت بها بعض القوات الوطنية وتمكنت من قتل 5 من عناصرها وأسر جنديا "ناتان" وجرح القائد جارو بفخذه فقامت هذه

¹ - حرب أديب ، المرجع السابق، ج. 2 ، ص. 525 - 526.

القوات الفرنسية بعد هذه المتابعات للجيش الوطني الشعبي من أجل القضاء على هذه القوات الوطنية قام الملازم الأول داسبالان "Daspalaine" بتوزيع قواته 20 جنديا بكل جهة من الضريح بينما تمركز النقيب جaro بالوسط مع المترجم ليني¹ "Liny".

- محاصرة قوات الاحتلال الفرنسي بسيدي إبراهيم:

في منتصف نهار 23 سبتمبر 1845م حاصرت قوات الجيش الوطني الشعبي ضريح سيدي إبراهيم وطلب الأمير عبد القادر من القوات الفرنسية بقيادة النقيب جaro الاستسلام وأرسل لهم النقيب دوترت الذي أسر بمعركة جبل كركور لطلبهم بتسليم أنفسهم لكنهم رفضوا، وبادروا بإطلاق النار فقتل النقيب دوترت بينما أصيب الأمير عبد القادر في أذنه اليسرى فقام بإبقاء مجموعة من الفرسان الجزائريين لمحاصرة هذه القوات الفرنسية بينما ذهب هو وبعض قوات الجيش الوطني الشعبي لرصد تحركات قوات الاحتلال الفرنسي لمباغتتها وتراجعوا بعدها نحو ندرومة وقاموا بعمليات عسكرية، ثم عادوا إلى ضريح سيدي إبراهيم² وعند عودته وجه إنذار إلى النقيب جaro لإعلان استسلامه لكنه رفض وفي صباح 24 سبتمبر بدأت قوات الجيش الوطني الشعبي بإطلاق النار على القوات الفرنسية لكنه لم يكن كافيا لإخضاعهم، ونتيجة لهذا قامت بعض القوات بمراقبة هذه القوات الفرنسية المحاصرة بضريح سيدي إبراهيم وفي 26 سبتمبر قامت هذه القوات بمغادرة موقعها نحو الغزوات ولما علمت قوات الجيش الوطني الشعبي لاحقتهم بوادي مرسي الذي ستقع فيه معركة بين القوتين

- معركة وادي مرسي 26 سبتمبر 1845م:

بعد مغادرة قوات الاحتلال الفرنسي ضريح سيدي إبراهيم قامت قوات الجيش الوطني الشعبي بتتبعهم حتى مرتفعات تياسين التي تبعد عن جامع الغزوات ب3 كلم، وزعت قوات الجيش الوطني

¹ - نفسه، ص. 527 - 528.

² - A. Belmare, *Abdelkader sa vie politique et militaire, op.cit.*, p. 157.

الشعبي على المنحدرات الغربية لوادي مرسى لقطع الطريق المؤدية إلى الغزوات في وجه قوات الاحتلال الفرنسي حتى لا يتمكن من الوصول إلى حامية الغزوات بقيادة الرائد كوفين "Covien"¹ بعدما تخوف النقيب جارو على قواته بضريح سيدي إبراهيم توجه نحو حامية الغزوات لمساعدته بعدما بقي محاصرا في المنطقة ولم تصله الإمدادات العسكرية الفرنسية ولما وصلوا ضفة وادي مرسى قامت قوات الجيش الوطني الشعبي بإطلاق النار على هذه القوات الفرنسية فاندفعوا شمالا نحو وادي زيري فقامت قوات الجيش الشعبي الوطني بمحاصرتهم من جميع النواحي ولم يبق منهم سوى 20 جنديا بعدما قتل النقيب جارو، واستطاعت القوات المتبقية من الانسحاب بعدما ساعدتها فرقة عسكرية من حامية الغزوات وتمكنت من حماية تراجع بعض الجنود تحت غطاء القصف المدفعي المكثف²

بالرغم من الصعوبات التي واجهتها قوات الجيش الشعبي الوطني بقيادة الأمير عبد القادر ضد قوات جيش الاحتلال الفرنسي إلا أن فكرة المقاومة والدفاع عن الوطن بقيت راسخة في أذهانهم وقد خسرت قوات الاحتلال الفرنسي 292 ضابط وجندي وتم أسر الآخرين³ وقد أكدت هذه المعارك المتواصلة على الإيمان بروح المقاومة الوطنية والدفاع عن الوطن رغم الضغوطات وشدة الخناق وكثرة الحاميات العسكرية وتعداد الجيش الفرنسي لمراقبة قوات الجيش الشعبي الوطني إلا أن الجيش الفرنسي الأكثر تنظيما وتجهيزا مازال يتكبد الخسائر أمام قوات جزائرية مهاجرة تفتقد لشروط المواجهة من ناحية التجهيز والتدريب ومع ذلك استطاعت الاطاحة بقيادة وضباط فرنسيين اعتادوا الحروب⁴.

3- الاتفاقيات العسكرية بين الأمير عبد القادر والقادة العسكريين الفرنسيين :

أ - معاهدة ديميشال 26 فيفري 1834م:

تم اللقاء بين المبعوثين للأمير عبد القادر والسلطات الفرنسية خارج مدينة وهران في 24 فيفري 1834م وقام بن عراش بإطلاع الأمير عبد القادر على الشروط الفرنسية وعاد إلى وهران في 25 فيفري 1834م، تم امضاء معاهدة ديميشال 26 فيفري 1834م ، إتفق الجنرال ديميشال قائد الجيوش الفرنسية والأمير عبد القادر ممثل الدولة الجزائرية على النقاط التالية:

¹ - حرب أديب ، المرجع السابق، ج. 2 ، ص. 536 - 537.

² - نفسه، ص. 532 - 536.

³ - P. Azan, L'émir Abdelkader 1808-1883, du fanatisme musulman au patriotisme français, op. cit., p. 209.

⁴ - حرب أديب ، المرجع السابق، ج. 2 ، ص. 536 .

1 - إنهاء القتال بين الطرفين منذ هذا التاريخ 26 فيفري 1834م ، على أن يبذل كل من الجنرال قائد الجيوش الفرنسية والأمير عبد القادر جهودهما على نشر السلم بين شعبين حكم الله عليها أن يعيشا تحت حكم إحتلال واحد يقيم الأمير عبد القادر ممثلين له بوهران، أرزيو، ومستغانم ويقيم ضباط فرنسيون بمعسكر.

2- إحترام العادات والدين والإسلامي .

3- تبادل الأسرى بين الطرفين .

4- حرية التجارة التامة

5- يجلب العرب الجنود الفرنسيين الذين تخلوا عن القتال والعرب الفارين من عقاب مستحق من قبائلهم والباحثين عن ملجأ عند فرنسا لممثلي الأمير عبدالقادر بالمدن الساحلية

6- حرية التجوال من طرف الفرنسيين المدنيين بالأراضي الجزائرية وفق تذكرة توقع بطابع من قنصل الأمير عبد القادر بالمدن المذكورة وبالنسبة للجزائريين لهم حرية السفر بالمدن المحتلة وفق تذكرة موقعة من طرف الجنرال الفرنسي¹.

المعاهدة كانت من نسختين أصليتين في عمودين عليها شروط الأمير عبدالقادر والجنرال ديميشال باللغتين الفرنسية والعربية في 6 مواد لم تورد أي تبعية ولم تحدد مناطق سلطة الأمير عبد القادر .

- تحليل المعاهدة :

معاهدة ديميشال لا تعطي أي تبعية للسلطات الفرنسية بالجزائر، حافظ الأمير عبدالقادر على الهوية الجزائرية، لقد أراد ديميشال من خلال قوله "حكم الله على شعبين أن يعيشا تحت رحمة حكم واحد " حتى يجعل الأمير عبدالقادر يعترف له بسلطة القوات الفرنسية على الجزائر ولكن الأمير عبدالقادر كان متفطنا لمتل هذه الأشياء بصفته ممثل الدولة الجزائرية وبإعترافه بسلطة فرنسا تسقط المبايعة لقد إعترف الأمير عبدالقادر بتواجد قوات الاحتلال الفرنسي على بعض المناطق المحتلة مثل أرزيو، وهران، مستغانم ومدينة الجزائر وأرسل ممثلين عنه بهذه المدن، الإعتراف بممثليه تبرز قوة الدولة والإعتراف بها واستقلاليتها، لم يعترف الأمير عبدالقادر بالسلطات الفرنسية بالجزائر وقام بمحاصرتهم في نقاط محدودة ببعض المدن الجزائرية الساحلية، تعتبر معاهدة

¹ - A. Belmare, *Abdelkader sa vie politique et militaire, op.cit.*, p. 37-38.

ديميشال التي أعطت الأمير عبد القادر دفعا قويا لتنظيم صفوفه، لم يكن يرد تمثيلا دبلوماسيا وإنما كان يسعى لتنظيم شؤون الشعب الجزائري وتحضيره للمقاومة ضد قوات الاحتلال الفرنسي فالتمثيل الدبلوماسي يتطلب شروطا لا تتوفر في ممثلي الدولة الجزائرية في عهد الأمير عبد القادر، أراد من هؤلاء الممثلين الذين عينهم بالمدن الساحلية على الموانئ التي كانت تحت حكم قوات الاحتلال الفرنسي ضمان المؤونة والذخيرة الحربية والأسلحة في ظل التطورات التي عرفها جيش الاحتلال الفرنسي ومشروعه الإستعماري لذا سعى لتحقيق غاية الجهاد أكثر من المهادنة لأنه كان واعيا بمشاريع قوات الاحتلال الفرنسي الإستعمارية¹.

ضمن الأمير عبد القادر حقوق الشعب الجزائري وحرية التجول والتجارة و لم يقيد بأي شرط ولم توضع له أي حدود ضمن أحقيته على الشعب الجزائري كما كسب الإعراف الفرنسي بشرعية الدولة الجزائرية، قوة المقاومة الشعبية بقيادة الأمير عبد القادر ونقص مؤونة الجيش الفرنسي بعد الحصار الذي فرض عليهم بوهرا ن أدى بهم للتفاوض معه والقبول بشروطه، وكانت مساعيه تنظيم البلاد، وضمان الذخيرة الحربية، وتكوين جيش شعبي وطني يستطيع مواجهة قوات فرنسية أكثر تنظيما وتجهيزا في معركة طويلة الأمد وصعبة المنال لأن الدبلوماسية كانت طريقة مستبعدة فالتمثيل الدبلوماسي هو تلك العلاقات القائمة بين بلدين والمصالح المشتركة الممكن توفيرها وتوكل إلى سفارات دائمة لها مقراتها الخاصة تخطى بالحصانة يتناوب عليها لفترات زمنية معينة موظفون مختصون بالميدان فمهام العون الدبلوماسي هي أربع وظائف: التسيير، الإعلام، الدفاع عن مصالح البلاد والمواطنين، والمفاوضة².

هل هذه الشروط كانت تتوفر في الممثلين الذين اختارهم الأمير عبد القادر لتمثيله بالمدن الساحلية على بعض الموانئ للقيام ببعض الصفقات التجارية لتموين الجيش الشعبي الوطني بالعتاد والذخيرة الحربية؟

إعتمد الأمير عبد القادر على بعض التجار بالموانئ الجزائرية التي كانت تحت سلطة الاحتلال الفرنسي كما إعتمد على بعض اليهود نظرا لإحتكارهم للتجارة الدولية ولهم وكلاء تجاريين بالدول الأوروبية لم تكن تهمهم مصلحة الدولة الجزائرية بقدر ماتهمهم مصالحهم الخاصة في جمع الأموال من خلال الصفقات التجارية والإستفادة من فترة السلم للزيادة في أموالهم من خلال إحتكار

¹- Ibid., id., p. 41-42.

²- بن قبي صالح، دبلوماسية بين الأمس واليوم، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر، الجزائر، 2002، ص. 42-44.

الأمير عبد القادر للتجارة وفرض على السلطات الفرنسية حرية التجارة بالموانئ الجزائرية التي كانت تحت سلطة قوات الاحتلال الفرنسي، وهران وأرزيو وفضل التعامل مع التجار اليهود لخبرتهم بالمجال التجاري، إلى جانب معرفتهم للغات الأجنبية وإحتكارهم للتجارة الدولية لم يكن بإستطاعته التخلي عنهم لعدم وجود جزائريين يحسنون عدة لغات ويستطيعون كسب مؤيدين له بالخارج لضمان الذخيرة الحربية و الأسلحة التي كانت هي الشغل الشاغل للأمير عبد القادر لمواصلة المقاومة الشعبية الوطنية وطرد قوات الاحتلال الفرنسي من الأراضي الجزائرية وقد كانت معاهدة ديميشال فرصة للأمير عبد القادر لتنظيم جيشه وأموره الحربية التي كانت تعتبر أهم عنصر لمواجهة الاحتلال الفرنسي¹.

ب - معاهدة التافنة: 30 ماي 1837م:

تمت معاهدة التافنة بين الامير عبد القادر والجنرال بيجو بمنطقة وادي التافنة في 30 ماي 1837م تضمنت 15 بنداً على وثيقة بتوقيع الامير عبد القادر والجنرال بيجو من نسختين عربية وفرنسية.

يعترف الأمير عبد القادر بسلطة فرنسا على الجزائر لفرنسا في إقليم وهران، مستغانم مزغران والأراضي التابعة لهما، وهران أرزيو ومنطقة حدودها كالتالي من جهة الشرق المقطع ومنبعه من الجنوب ومن منبع المقطع مروراً بالضفة الجنوبية للسخبة حتى واد المالح² باتجاه منطقة سيدي سعيد ومن هذا الود حتى البحر كل هذه المناطق تابعة لفرنسا أما في إقليم الجزائر، لها الجزائر الساحل سهل المتيجة وشرقه إلى غاية وادي قدارة ومابعده، إلى الجنوب أول سلسلة للأطلس الصغير حتى الشفة ممافي ذلك البليدة إلى الغرب الشفة إلى غاية مزفران ومنها إلى غاية البحر بمافيها القليعة كل هذه أراضي تابعة للسلطات الفرنسية، جملة مابعده " au - de la " غير مفهومة، هذه الحدود الذي سطرها الأمير عبد القادر وجعل المناطق الفرنسية محدودة جداً، عبارة غامضة

¹ - H. D'Estre, *Les conquérants de l'Algérie (1830-1852)*, op.cit., p. 33-34

² - واد المالح: واد في إقليم وهران يعبر أراضي ولاد خلفه في أغاليك بني عامر ويصب في البحر المتوسط أنظر: E. Daumas, *Correspondances du capitaine Daumas consul à Mascara, 1837-1839*, op.cit., p. 122.

مقارنة بالنص الأصلي يحكم الفرنسيون غرب وهران من بريديّة السبخة والساحل البحري إلى غاية المقطع ومن جهة الجزائر لهم من واد عزة حتى مدينة الجزائر

البند الاول: عبارة إعراف الأمير عبدالقادر بسلطة فرنسا التي ذكرها بيجو لم تكن من إنشاء الأمير عبدالقادر الصيغة الفرنسية لاعلاقة لها بالنص العربي يقول " أمير المؤمنين يعرف أن السلطان عظيم " يقول النص الفرنسي للجنرال بيجو " يعترف بسلطة فرنسا " فأى سلطان يقصد ¹؟ لم يكن الأمير عبدالقادر هو المبادر لعملية إحلال السلام والهدنة مع قوات الإحتلال الفرنسي إقترحت عليه هذه المعاهدة ووافق على تفاوض من أجل تثبيت سلطته ونفوذه من خلال المعارك التي واجهتها قوات الجيش الشعبي الوطني أراد إعطائها نفسا جديدا لمواصلة المقاومة وإعادة هيكلة الجيش الوطني الشعبي وتحضيره جيدا لإتمام مهمته المتمثلة في مطاردة قوات الإحتلال الفرنسي التي مازالت محاصرة ببعض المدن الجزائرية، لا يستطيع الأمير عبدالقادر التخلي عن المبايعة والصك الذي عقده مع الشعب الجزائري الذي ألزمه الدفاع عن حقوقه مقابل الدعم والمعونة لطرد قوات الإحتلال الفرنسي الغازي، عمل لتحقيق الوحدة الوطنية، اعترافه تضمن سلطة الإحتلال الفرنسي على المدن المحتلة فقط بينما كل الأقاليم الأخرى هي تابعة له .

- البند الثاني : سلطة المسلمين خارج المدن "ماعداد المدن المحتلة " كلها تحت سلطة الدولة الجزائرية وشرعية الحكم تثبت ذلك ، لقد سعى الأمير عبدالقادر للدفاع عن الوطن شرقا وغربا لذا أراد توسيع سلطته بإنشاء عدة خلافت بالشرق "سباو " بقيادة الخليفة بن سالم وفي "مجانة" جعلها بقيادة عبد السلام المقراني اما "الصحراء الغربية" بقيادة بن عبد الباقي ² و"الصحراء الشرقية" بقيادة سي الحاج الصغير .

لاتوجد عبارة هذه السنة فقط بالنسبة للكميات التي سوف يقوم الأمير عبد القادر بإعطاء هذه السنة من القمح والشعير والبقرة، لكن لم تحدد السنة وكان هذا التموين مقابل التخلي عن مدينة تلمسان .

لا يذكر الأمير عبدالقادر في النص العربي شراء الأسلحة من أي جهة ، لم يحدد مجال تعاملاته التموينية فلم يكن مضطرا أو ملزما بشراء الأسلحة من فرنسا فقط بل ترك المجال مفتوحا في تعاملاته فهو حرا ولاتسيطر عليه أي قوة في مجال التبادل التجاري .

¹ - A. Belmare, *Abdelkader sa vie politique et militaire*, op.cit., p. 87-90.

² - Ibid., id., p. 119.

البند السادس: إن الكراغلة الذين يودون الذهاب مع الفرنسيين لا يعارضهم في ذلك أحد، أما عن الذين يودون البقاء تحت سيطرة الدولة الجزائرية بقيادة الأمير عبد القادر وقوانينها لقد فتح المجال لهم في التصرف في البقاء أو الذهاب لكن بقائهم يعني خضوعهم وولائهم للأمير عبد القادر والمساهمة في الدفاع عن الوطن لقد ترك لهم حرية التصرف، نظرا لعدائهم ورفضهم المساهمة في الوحدة الوطنية ومحاربتهم لقوات الجيش الوطني ورفضهم للدفاع عن الوطن.

- يتم تبادل الفارين من الطرفين الفرنسي والجزائري

تترك فرنسا للدولة الجزائرية بقيادة الأمير عبد القادر تلمسان ورشقون والمشور والمدافع التي كانت بها دون إلزام الأمير عبد القادر بحمل عتاد حامية المشور إلى وهران، لم تلزم السلطات الفرنسية على الأمير عبد القادر شروطا لا يقبلها وهو في موقف قوة وليس ضعف استطاع من فرض شروطه بإنسحاب قوات الإحتلال الفرنسي من مدينة تلمسان ومرفأ رشقون من أجل فتح سوق جديدة لتموين الجيش الوطني الشعبي نظرا لقربه من المغرب من أجل التعامل مع الدول الأوروبية .

البند العاشر: يحترم العرب عند الفرنسيون ويحترم الفرنسيين عند العرب ،وهذا من اجل ضمان حقوق الشعب الجزائري بالمناطق المحتلة في المعاملة وحرية التصرف .

كانت رغبة الأمير عبد القادر الحصول على إقليم التيطري والجزائر، حدود الفرنسيين تكون عند وادي عزة ولا يمكنهم الوصول للأطلسي هدفه إسترجاع مدينة البليدة وحصر القوات الفرنسية بمدينة الجزائر¹، بعث الأمير عبد القادر للجنرال بيجو حمادي الصقال² للتفاوض معه يخبره عن التخلي على مدينة البليدة و سلطة المسلمين الذين يعيشون بالإقليم المخصص للفرنسي. تكون التجارة بالمراسي التي تحتلها قوات الإحتلال الفرنسي³.

كانت السلطات الفرنسية ترغب في مراقبة التجارة والإقتصاد الوطني للإستفادة من التموين لكن الأمير عبد القادر كانت أهدافه الحصول على الأسلحة والذخيرة، وأراد الحصول على هذه المبادلات بالموانئ الجزائرية حتى يتمكن من مراقبة المداخل، وتكون عملية التموين منظمة ومرتبطة من طرف وكلاء الأمير عبد القادر حتى لا يتسنى للقبائل التبادل التجاري مع قوات الإحتلال

¹ - A. Belmare, *Abdelkader sa vie politique et militaire, op.cit.*, p. 92.

² - حمادي الصقال: من هدار تلمسان، كلفه الجنرال بيجو بأن يوصل إلى الأمير مقترحات السلم 1837 فعاد من عنده برد فيه أمر لبيجو بإخلاء التيطري 25-30 ماي واصل الصقال عمله في التفاوض وأبرمت المعاهدة بعد ما كان قائدا لتلمسان إثر إحتلالها من طرف الفرنسيين أنظر:

E. Daumas, *Correspondances du capitaine Daumas consul à Mascara, 1837-1839, op.cit.*, p. 104.

³ - A. Belmare, *Abdelkader sa vie politique et militaire, op.cit.*, p. 94.

الفرنسي فهذا يضر بمصالح بيت المال ومصالح الدولة الجزائرية في تحقيق مواردها وتكملة مشروعها لمواصلة المقاومة ضد قوات الإحتلال الفرنسي، ولم تكن مساعيه من خلال اتصالاته مع إنجلترا، إسبانيا، والمغرب، وأمريكا، والدولة العثمانية وتونس وحتى فرنسا التمثيل الدبلوماسي لأنه لم يكن له ممثلين دبلوماسيين يخدمون مصالح الدولة الجزائرية كما لم تكن سفارات للدولة الجزائرية بهذه الدول أو قناصل يمثلونها بباريس أو لندن أو مراكش، تونس، اسطنبول، مدريد، واشنطن، تعترف بهم هذه الدول للتبادل الدبلوماسي في إطار المصالح بين البلدين فكان طموحه هو ضمان التموين والمساعدات الخارجية لأن مصانع الدولة الجزائرية التي كلفته الكثير من الأموال والرجال لانفي متطلبات الحرب، ومفعولها أقل مما عليه الصناعة الحربية بأوروبا هذا ما أوجب على الأمير عبد القادر ربط علاقات دولية لتموين الجيش الوطني الشعبي ولمواصلة الحرب ضد قوات الإحتلال الفرنسي التي إزداد نفوذها وتوسعاتها¹.

الدبلوماسية كانت بعيدة عن الدولة الجزائرية الحديثة برجال تجار لا يحسنون سوى المؤتمرات والصفقات التجارية، وكسب المال وخدمة مصالح الإستعمار الفرنسي مثل يهود بن دران ومانوتشي لم يخدموا القضية الوطنية وإنما خدموا مصالحهم الخاصة، فكان الأمير عبد القادر مضطرا للتعامل معهم نظرا لعدم وجود جزائريين لتولي هذه المهام التي تتطلب المؤامرات والخبرة التي كانت تتوفر في هؤلاء التجار اليهود لمعرفتهم للمعاملات التجارية والطرق البحرية ولهم وسطاء ووكلاء بالدول الأوروبية وإتقانهم لعدة لغات أجنبية هذه الصفات التي لا تتوفر في ميلود بن عراش.

¹ - Ibid., id., p. 94.

الفصل الثالث:

تحطيم المجتمع الجزائري حاضن المقاومة الوطنية ماديا ومعنويا

1- سياسة التفرقة " مبدأ فرق تسد " الفرنسية اتجاه الشعب الجزائري:

استفادت السلطات الفرنسية من النظام العثماني بالجزائر في اعتمادها على طرق وأساليب في اخضاع الشعب الجزائري بتسليح قبائل ضد أخرى، للتفرقة بين الشعب والعمل على تفكيك وحدة المجتمع، وذلك كما فعل العثمانيون مع قبائل المخزن قدموا لهم امتيازات مقابل تسليطهم على قبائل أخرى كانت ضد التواجد العثماني بالجزائر¹.

يقول ريشار "Richard" : " إذا توصلنا من تقسيم السكان الى معسكرين متحاربين ومتعادين اذن نستطيع وضع حدا فاصلا بين مجموعتين من السكان هي متحدة ومتضامنة لمحاربتنا "².

¹ - W. Estirasy, *Notice historique sur le maghzen d'Oran*, typographie de Berrier, Paris, 1849, p. 233 -234.

² - Ch. Richard, *Étude sur l'instruction du Dahra 1845-1846*, Alger, 1846, p. 185 -186.

عملت السلطات الفرنسية على استخدام بعض المناوئين الجزائريين لخدمة مصلحة فرنسا والقضاء على المقاومة الوطنية حتى لايتسنى لها تجميع قواها ضد قوات الاحتلال الفرنسي، حيث لم تكن لهؤلاء المنشقين قيادات واسعة بل كانوا تحت مراقبة القوات الفرنسية¹ لذا اعتمد الجنرال بيجو سنة 1841م في حربه ضد المقاومة الجزائرية عملية التفرقة بين الجزائريين حتى لايتمكّنوا من اعطاء نفسا ودفعاً جديداً ودعماً مادياً ومعنوياً للقوات الوطنية الشعبية لمواصلة مشروع الدفاع عن الوطن، وأدرك الجنرال أن تجنيد الأمير عبد القادر للشعب الجزائري يمكنه لاحتضان المقاومة الوطنية وذلك بمساعدات عن طريق توفير المؤن، والذخيرة الحربية لمواجهة القوات الفرنسية ذات التجهيز المحكم والمنظم وعمل الجنرال لتشجيع عملية التفرقة بين القبائل الجزائرية بكسب قيادات ضد أخرى لتحطيم المقاومة الشعبية الوطنية وتمويه الشعب الجزائري²، كما اعتمد على مراقبة الوضع الجزائري بجمع المعلومات للتعرف على تحركات القبائل ومصادر تموينهم ومراقبة القبائل التي تساند المقاومة الشعبية الوطنية يقول الجنرال بيجو " ان استعانتنا بهؤلاء الرؤساء أو العائلات الكبيرة يعد وسيلة مهمة لتحسين مواقع المقاومة وبذلك نتمكن من حصارهم والقبض عليهم بسهولة، هذه العملية تدخل في اطار الأمن والتبادل التجاري كما أعطيت لهؤلاء الأعوان مهمة مراقبة الأشخاص الذين يمرون عبر المناطق ومراقبة الذين يحرضون الشعب بنشر أفكار معارضة ضد وجودنا في البلاد"³ وقد سعى بهذه الأساليب سنة 1841م من أجل توطيد الاحتلال الفرنسي بالجزائر وعمل على احباط معنويات الشعب الجزائري في احتضان المقاومة الشعبية وتموينها بعدما فرض عليهم عقوبات صارمة من خلال الحملات الفرنسية المتتالية والمتتابعة، وهذا ما أدى لانشغال الأمير عبد القادر في 1843م باخضاع القبائل الجزائرية لمساندة المقاومة الشعبية الوطنية حيث عملت السلطات الفرنسية لإستمالة عدة قبائل بالوعود والرشاوي والتهديدات واجراءات قاسية ضد القبائل الجزائرية المساندة لقوات الجيش الشعبي الوطني وذلك من أجل السيطرة عليها، وجعلها حليفة للقوات الفرنسية لتستعملها كقوات احتياطية⁴، من أجل القضاء على عملية التطوع في الجيش الوطني الشعبي والسعي لكي لا يتم تموين القوات الشعبية الوطنية التي كان الأمير

¹ - Ch.-A. Julien, *Histoire de l'Algérie contemporaine conquête et colonisation (1827- 1871)*, op.cit., p. 231 – 232.

² - Ibid., id., p. 225 – 227.

³ - R. Germain, *La politique indigène de Bugeaud*, éd. Larousse, Paris, 1955, t. 2, p. 287.

⁴ - تشرشل شارل هنري، المصدر السابق، ص. 211.

عبدالقادر يستلهم منها قواته للمشاركة في الدفاع عن الوطن والعمل على طرد قوات الاحتلال الفرنسي التي كانت أكثر اصراراً وتنظيماً من أجل التوسع وإنجاح عملية الاحتلال .

استفادت قوات الاحتلال الفرنسي بالجزائر من دراسة وضعية المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني حيث استعمل العثمانيون بالجزائر أمام تزايد عدد الجزائريين في ثرواتهم التفرقة بين القبائل الجزائرية ليجعلونهم يدمرون أنفسهم بأنفسهم¹.

أ- تحريض القبائل الموالية للمخزن العثماني ضد قوات الجيش الشعبي الوطني:

رفضت بعض القبائل الجزائرية باقليم وهران الخضوع للصف الوطني وفضلت التعاون مع قوات الاحتلال الفرنسي، لذا قام الأمير عبدالقادر بإصدار إجراءات صارمة تمنع الشعب الجزائري باقليم وهران التعامل مع قوات الاحتلال الفرنسي والمتاجرة معه² تكررت عروض زعماء قبائل الدواير والزمالة لإعلان خضوعهم للقوات الفرنسية فقاموا ببعث وفد للجنرال الفرنسي تريزل يطلبون منه الخضوع وتم امضاء الاتفاقية بعين البيضاء بوهران بتاريخ 16 جوان 1835م³ أجبر الجنرال تريزل قبائل الدواير والزمالة الخضوع للقوات الفرنسية وقام بترحليهم الى مسرغين في 14 جوان 1835م ،اتفاقية التينة بين الجنرال تريزل وقادة قبائل الدواير والزمالة تعتبر نقضا للمعاهدة التي أبرمها الأمير عبدالقادر مع الجنرال ديميشال حتى لايتسنى للأمير عبدالقادر تنظيم صفوفه وتهيئة الوضع لافشال المشروع الاستعماري لذا قامت السلطات الفرنسية بخرق احدى بنود الاتفاقية لاستئناف الحرب والاستفادة من فرسان الدواير والزمالة نظرا لمعرفتهم الجيدة لمنطقة الغرب الجزائري ومصادر تموينها لذا استغلّتهم في مصلحتها للقضاء على المقاومة الشعبية الوطنية والعمل على التفرقة بين أبناء الشعب الجزائري حتى لا يتم تجنيدهم ضد المشروع الاستعماري الفرنسي في الجزائر.

في 14 مارس 1836م ساندت فرسان الدواير والزمالة بقيادة الأغا مصطفى بن اسماعيل الجنرال بريكو في حملاته لمطاردة قبائل الحشم والغرابية الى جبال بني شقران ووصلت هذه القوات الفرنسية حتى منطقة شلف حيث نهبت 2000 رأس غنم ساقوها نحو وهران⁴ كما قامت هذه

¹ - E. Cavignac, *La régence d'Alger note sur l'occupation*, op.cit., p. 56.

² - تشرشل شارل هنري ، المصدر السابق ، ص. 99.

³ - A. Belmare, *Abdelkader sa vie politique et militaire*, op.cit., p. 60-61.

⁴ - I. Derrien, *Les Français à Oran depuis 1830 jusqu'à nos jours*, op.cit., p. 102-104.

القوات الفرنسية في 7 أفريل 1836م بمنطقة السبخة الكبيرة بتسالة¹ بحملات ابادية على قبائل بني عامر بمنطقة حمام بوحجر² وفي 25 أفريل 1836م قام الأغا مصطفى بن اسماعيل رفقة القوم الذين كانوا تحت قيادته لمساعدة القوات الفرنسية ضد قوات الجيش الوطني الشعبي بمعركة سبع شيوخ³

في 18 جوان 1836م أشاد الجنرال بيجو عن الجهود التي قام بها مصطفى بن اسماعيل في خدمة الفرنسيين ويؤكد الجنرال على مدى المساعدات التي كانت تقدمها فرسان الدواير والزمالة تحت قيادة مصطفى بن اسماعيل من مؤن ومشاركتهم في المعارك ضد قوات الجيش الوطني الشعبي نظرا لمعرفتهم لتضاريس البلاد ومشاركتهم السابقة في مخزن العهد العثماني ومعرفتهم موارد المنطقة لذا سعت السلطات الفرنسية لزرع التفرقة بين الشعب الجزائري للقضاء على المقاومة الشعبية التي كان الأمير عبد القادر يسعى فيها لتوحيد الصف الوطني و تجنيد ابناء القبائل الجزائرية وضمن مساهمتهم في المقاومة الشعبية الوطنية ضد قوات الاحتلال الفرنسي، كما شاركت فرسان الدواير والزمالة في جوان 1836م بمعركة التافنة⁴ وقاموا بتقديم خدمات لجيش الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال ليتان "Létagne" الى جانب عملية التجسس لصالح السلطات الفرنسية التي أرهقت قوات الجيش الوطني الشعبي وتسببت لها في عدة خسائر.

في 2 أكتوبر 1836م قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال ليتان رفقة فرسان الدواير والزمالة بقيادة مصطفى بن اسماعيل، شرق سهل سيق عبر أضرحة مسرة التابعة لقبائل مجاهر⁵

¹- تسالة: على أراضي ولاد حزج، قبيلة من كوندالية بني عامر، جبل تسالة سلسلة جبلية علوها 1036 م تفصل سهل ملاتة عن بلعباس أنظر:

E. Daumas, *Correspondances du capitaine Daumas consul à Mascara, 1837-1839, op.cit.*, p. 330.

²- I. Derrien, *Les Français à Oran depuis 1830 jusqu'à nos jours, op.cit.*, p. 106.

³- De Mintimpry, *Souvenirs d'un officier d'état major histoire de l'établissement de la domination française dans la Province d'Oran, op.cit.*, p. 32-34.

⁴- W. Estirasy, *Notice historique sur le maghzen d'Oran, typographie de Berrier, op.cit.*, p. 70-73.

⁵- مجاهر: تقع جنوب شرق مستغانم بها عدة بطون ولاد مالف والحسايسنة وشعابة وشفافرة وولاد شاطر، ولاد بوكامل، بوفيراو وبراشة وخدايشية، بيوض وولاد حمد جبابة وولاد شفة، ولاد سيدي عبد الله وولاد سيدي يوسف وولاد بو عيسى، الشرفة الحمادية، شلاقة وولاد بوراس ورزيقة والحشاشطة واجيسة، أنظر:

بنهب مطامير أولاد سيدي عبدالله ومن مسرة اتجهت نحو مدار حيث واصلت عمليات نهب المطامير.¹

وقد شاركت فرسان الدواير والزمالة بقيادة الجنرال ليتان في معركة شعبة اللحم ضد القوات الوطنية²، كان الأمير عبدالقادر يسعى للقضاء على المنشقين الذين خدموا الجيش الفرنسي وعملوا على فرض توسعته وسلطته فحرص للقضاء على الأغا مصطفى بن اسماعيل والمازاري³ وقد

E. Daumas, *Correspondances du capitaine Daumas consul à Mascara, 1837-1839, op.cit.*, p. 4.
¹ - W. Estirasy, *Notice historique sur le maghzen d'Oran, typographie de Berrier, op.cit.*, p. 75-76.

² - *Ibid.*, *id.*, p. 78.

³ - إبراهيم باي: أصله بوسني، كان في ميليشيا وهران التركية إثر احتلال فرنسا للجزائر ثم انضم إلى فرنسا من نوفمبر 1831 حتى جويلية 1833 انظر:

T. Changarnier, *Mémoire du général Changarnier, op.cit.*, p. 15.

أدرك الأمير عبد القادر أن فرنسا لن تفرط في الأشخاص الذين يقدمون لها يد العون والذين يخدمون التوسع الفرنسي بالجزائر، ومنحت هؤلاء الفرسان أجورا ثابتة¹.

يوم 1 جوان 1841م خرج الجيش الشعبي الوطني بقيادة الأمير عبد القادر من البرج وهاجم قوات جيش الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال بيجو فتصدت لهم مجموعة من القوم بقيادة مصطفى بن اسماعيل فانسحبت القوات الوطنية نحو معسكر، بعدما خسرت بالمعركة بعض الفرسان أهمهم الحاج محمد بن شاعة، من عائلة من قبائل الزمالة بينما خسروا فرسان القوم بقيادة مصطفى بن اسماعيل بعض الفرسان ومن أسباب تراجع القوات الوطنية العدة والعناد التي كانت بقيادة الجيش الفرنسي، وانضمام مصطفى بن اسماعيل مع فرسان القوم لمساعدتهم².

في جويلية 1841م قام المقدم لاموسير بتعزيز قوات الاحتلال الفرنسي بمدينة معسكر خوفا من استيلاء القوات الوطنية على المدينة، حيث كان الجنود الفرنسيين وحلفاؤهم من القبائل الجزائرية يقومون بجني المحاصيل والإستفادة من المؤونة والموارد لبعض القبائل، بينما قام الجيش الوطني الشعبي بقيادة الأمير عبد القادر بمراقبة بعض القبائل بمنطقة شلف حيث قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال بيجو بعد خروجه من مدينة مستغانم متوجها نحو مدينة الجزائر بتلقي الدعوة من طرف قبائل شلف التي كانت تريد الخضوع للسلطات الفرنسية توجهت القوات الفرنسية نحو سور كلميتو بينما كانت القوات الوطنية تراقب تحركات جيش الاحتلال الفرنسي بسهل مينة.

لقد أفضل الجيش الوطني الشعبي بقيادة الأمير عبد القادر مشروع انضمام قبائل شلف للمعسكر الفرنسي ومنع هذه الإتصالات، بعد معارك ضد قوات الاحتلال الفرنسي، اتصلت هذه القبائل بالمعسكر الفرنسي من 7 الى 8 جويلية 1841م³ قام الأمير عبد القادر بترك بعض قوات الجيش الشعبي الوطني بالقرب من شلف لمراقبة قبائل مجاهر الذين كانوا يحاولون اعلان الخضوع للقوات الفرنسية وبمجرد مغادرة القوات الوطنية من المنطقة أعلنت بعض القبائل تمردا بزعامة أحمد بن كرداخ زعيم صباحة، أولاد بوكامل، العمارنة، في جويلية 1841م قام العقيد تمبور "Tampoure" على رأس كتيبة عسكرية الى جانب مجموعة من فرسان القوم لاختضاع بعض القبائل بمنطقة مستغانم حاولت قوات الجيش الوطني الشعبي التصدي للقوات الفرنسية لكن فرسان القوم طاردوهم حتى منطقة واد شلف، استشهد العديد منهم أمام تحركات الجيش الفرنسي، وأقيمت خيام أحمد بن

¹ - W. Estirasy, Notice historique sur le maghzen d'Oran, typographie de Berrier, op.cit., p. 97-98.

² - Ibid., id., p. 122-124.

³ - W. Estirasy, Notice historique sur le maghzen d'Oran, typographie de Berrier, op.cit., p. 126-127.

كرداخ وجماعته حول أسوار مستغانم ، وطلب الشرفه وحشم الدروع¹، حضور القوات الفرنسية لتأمين هجرتهم نحو مستغانم، ولقد حاولت قوات الجيش الوطني الشعبي بقيادة الأمير عبدالقادر استرجاع هذه القبائل، لكنهم لم يستطيعوا نظرا لتواجد القوات الفرنسية المتمركزة بالمنطقة، خلف واد الشلف بينما كانت القوات الوطنية على الضفة الأخرى من الوادي² .

في جويلية 1841م تم خضوع قبائل الفليطة للجنرال بيجو وفي هذه الفترة قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال بيجو والمقدم لامورسيير بمهاجمة قبائل الحشم الشراقة والغرابة بما أنهما القوة الضاربة في صفوف الجيش الوطني الشعبي بقيادة الأمير عبدالقادر والغرض من هذا الهجوم تموين حامية معسكر حيث عمل الجنرال بيجو على تقسيم القوات الى قسمين أحدهما بقيادته والآخر بقيادة المقدم لامورسيير، وأخذ قيادة الفرسان مصطفى بن اسماعيل وفرقة أخرى بقيادة المازاري، لقد خطط المقدم لامورسيير لعدم ملاقاته الجيش الوطني الشعبي فاتخذ طريق يلل مرورا بعين الكبيرة، نشبت معارك في البرج بين قوات الجيش الشعبي الوطني وقوات الفرسان الموالية للمخزن العثماني بقيادة مصطفى بن اسماعيل واستطاعت قوات الجيش الشعبي الوطني بقيادة الأمير عبدالقادر من السيطرة على الوضع ووصلت المجموعة الفرنسية التي كانت بقيادة المقدم لامورسيير من البرج حتى تارنفين ولقد قامت بإنقاذ المجموعة الفرنسية التي كانت بقيادة الجنرال بيجو، حيث تكبدت القوات الفرنسية خسائر جسيمة قامت السلطات الفرنسية في كل من مدينتي مستغانم ومعسكر بتعيين الباي الحاج مصطفى بن الحاج عصمان في 9 أوت 1841م وعين المازاري كأغا للباي وبعد تعيين الباي غادر المقدم لامورسيير مستغانم، لقد أعلنت بعض القبائل الطاعة والولاء للسلطات الفرنسية أهمها أولاد حمدان³ أولاد مالف، أولاد سيدي عبدالله، أولاد بوكامل وبهذا الخضوع كل قبائل مجاهر خضعت للقوات الفرنسية.

وفي شهر سبتمبر 1841م قام بعض المتحالفين مع القوات الفرنسية بوهران بالاتصال مع مصطفى بن إسماعيل بمستغانم وأخبروه بمخيم قوات الجيش الشعبي الوطني بقيادة الخليفة البوحميدي رفقة القبائل المنطوية تحت قيادته بواد المالح وضريح سيدي عبد الله بركان هؤلاء القادة المتحالفين مع القوات الفرنسية هم الحاج الشيخ البوعلاوي العودية، سي الحبيب الزاوي،

¹ - حشم الدروع: قبيلة من أغاليك مجاهر فيهم حشم دروع لفاقا وحشم دروع تونين أنظر :

E. Daumas, *Correspondances du capitaine Daumas consul à Mascara, 1837-1839, op.cit.*, p. 59.

² - W. Estirasy, *Notice historique sur le maghzen d'Oran, typographie de Berrier, op.cit.*, p. 127 -129.

³ - أولاد حمدان: قبيلة من أغاليك مجاهر، كانت تقيم بسهل سيرات كانت ملكا لأتراك مستغانم وكر اغلة مزغران وكانت ينظر:

E. Daumas, *Correspondances du capitaine Daumas consul à Mascara, 1837-1839, op.cit.*, p. 98.

إبراهيم ولد سيدي عدة ولما وصل بن إسماعيل وقواته إلى تلك الخيم قام بمحاربة القبائل المساندة للمقاومة الشعبية الوطنية بقيادة البوحميدي أهم القادة الذين قتلوا خلال هذه المواجهات هم الميلود ولد حساسنة قائد بن كردة وبلوفة الحاج وفر أربعة آخرون ،سي سليمان بن طراري ،الحاج الشيخ البوعلاوي، محمد بن خليفة بن حنصالي¹، كانت فرسان الدواير والزمالة تكن العداء للخليفة البوحميدي وأهم قادة قبائلها هم الأغا مولاي الشيخ بن علي ولما أحس بكثرة الاضطرابات التي كانت تعيشها المقاومة الوطنية من جراء تعدد الحملات العسكرية الفرنسية اعتبر الفرصة سانحة للقضاء على الخليفة البوحميدي أما فيما يخص محمد بن عبد الله من قبيلة أولاد سيدي الشيخ أراد الحماية الفرنسية ضد قوات الجيش الوطني الشعبي فطلب الوساطة من الأغا مصطفى بن اسماعيل للانضمام الى صفوف الجيش الفرنسي حيث التقى بالعقيد تمبور بمنطقة البريج قرب وهران وعينه قائدا في خدمة المصالح الفرنسية بضواحي تلمسان وخصص له راتبا 18000 فرنك فرنسي²، عمل على اثارة القبائل الجزائرية ضد حكم البوحميدي و لما كانت تطارده القوات الوطنية بقيادة البوحميدي كان يهرب مختبئا عند قبائل طرارة أو عند قبائل بني حميان³ وكان يتصل بمصطفى بن اسماعيل لدعمه ضد القوات الوطنية بقيادة البوحميدي بتلمسان⁴، في 4 فيفري 1842م أرسل مصطفى بن اسماعيل رفقة القوم لملاقاة القوات الشعبية الوطنية بأولاد سيدي مجاهر، خلال المشادات استشهد الكثير من فرسان الجيش الشعبي الوطني وغنموا 30 فرسا الى جانب بعض الأسرى، ولقد وصلت القوات الفرنسية بقيادة الجنرال بيجو الى سبدو يوم 7 فيفري وتم تحطيمها ومن جراء الحملات الفرنسية بمنطقة تلمسان أغلب قبائلها اعترفت بسلطة محمد بن عبدالله المتحالف مع القوات الفرنسية⁵ وفي شهر ديسمبر 1842م قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال لامورسيير، بسهل غريس من تقليص نفوذ قبائل الحشم وقامت بمهاجمة بني شقران وأولاد سيدي دحو⁶ الذين أجبرتهم قوات الاحتلال الفرنسي للخضوع .

¹ - W. Estirasy, *Notice historique sur le maghzen d'Oran*, typographie de Berrier, op.cit., p. 138-139.

² - De Mintimpry, *Souvenirs d'un officier d'état major histoire de l'établissement de la domination française dans la Province d'Oran*, op.cit., p. 135-136.

³ - حميان شرافة:كونفدراليين الرجل خيمت بالهضاب العليا لاقليم وهران،وهي ولاد زياد،الدرافة،عكرمة شرافة،ولادعبدالكريم،ولاد سروروالرزانية ينظر:

E. Daumas, *Correspondances du capitaine Daumas consul à Mascara ,1837-1839*, op.cit., p. 219.

⁴ - W. Estirasy, *Notice historique sur le maghzen d'Oran*, typographie de Berrier, op.cit., p. 145-146.

⁵ - Ibid., id., p. 150-151.

⁶ - ولاد سيدي دحو: قبيلة تعيش حول ضريح سيدي دحوبين شعبة الريح شمالا وهضبة غريس شرقا ومدينة معسكر جنوبا أغاليك غرابة أنظر:

E. Daumas, *Correspondances du capitaine Daumas consul à Mascara ,1837-1839*, op.cit., p. 130.

يوم 8 ديسمبر 1842م عين الجنرال بيدو "Bedeau"¹ لقيادة منطقة مستغانم، وهذا بعدما توجهت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة العقيد لامورسيير الى معسكر حيث هاجمت قبيلة البرجية بغابات الهبرة وسببت لهم خسائر فادحة، من نتائج الحملات الفرنسية خلال شهري جانفي وفيفري 1843م ان جميع القبائل التي كانت تسكن من شلف الى معسكر ومن معسكر الى أرزيو اما خاضعة للقوات الفرنسية أو تم تقليص نفوذها حتى قبائل الغرابة الذين كانوا أشد خطرا على قوات الاحتلال الفرنسي، أضعفت جهودهم بعد سقوط قبيلة البرجية تحت سلطة الاحتلال الفرنسي وفي شهر فيفري 1843م قامت القوات الفرنسية رفقة القوم، بقيادة الجنرال بيدو بمهاجمة قرية الكاف حيث حاول السكان الدفاع عن قريتهم ، لكن الفرسان الموالية للمخزن العثماني بقيادة الأغا مصطفى بن اسماعيل قضت عليهم أما باقي القرى بالمنطقة أعلنت خضوعها طواعية بينما قام محمد بن عبد الله باستجماع قواه وأقام مركزا بالحناية² ولما علمت قوات الجيش الشعبي الوطني بقيادة الأمير عبدالقادر بتواجد القوات المتحالفة مع السلطات الفرنسية بقيادة محمد بن عبدالله بمنطقة الحناية أرادت مهاجمتهم حيث توجهت القوات الوطنية من منطقة الكاف مرورا بقبائل بني سنوس³ لكن قوات محمد بن عبدالله لمأحست بالخطر فرت الى قرية عين الحوت، لقد تلقت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال داربوفيل "D'Arbouville" شهر فيفري 1843م خضوع القبائل من منطقة واد مينة حتى أولاد خويدم وأولاد عباس، كما قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال لامورسيير بعد صراع طويل من تقليص قوات الحشم والفليتة وصدامة⁴ والخلافة والعوارد وجزء كبير من اليعقوبية⁵ شرقا⁶، قامت القوات الفرنسية بعدة حملات ضد القبائل لإنهاء القوى الوطنية وارغامها على الخضوع وفي 14 أفريل 1843م خرجت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال لامورسيير من مدينة معسكر بعدما تركت قيادة الحامية العسكرية للجنرال داربوفيل اتجهت هذه

¹ - الجنرال بيدو : ولد في فارتو بتاريخ 09 أوت 1804، تخرج من مدرسة سان سير العسكرية في 1820، كلف بإعداد الفرقة الأجنبية، التي كانت بقيادته في الجزائر سنة 1837 شارك في معركة قسنطينة، وحملتي المدينة ومليانة، رقي جنرا لا في 1841 ثم عاد إلى فرنسا في 1845 وفي نوفمبر 1847 عاد إلى فرنسا في 03 أكتوبر 1863. أنظر:

T. Changarnier, *Mémoire du général Changarnier*, op.cit., p. 116.

² - E. Daumas, *Correspondances du capitaine Daumas consul à Mascara, 1837-1839*, op.cit., p. 152-153.

³ - بني سنوس: قبيلة بربرية سكنت سهل تافنة 40 كم جنوب مغنية، احتل الفرنسيون أراضيهم في 1842 وفي 1846 أنظر:

E. Daumas, *Correspondances du capitaine Daumas consul à Mascara, 1837-1839*, op.cit., p. 192.

⁴ - صدامة : أغاليك يحدها شمالا أغاليك الفليتة وحشم شرقا تضم 16 قبيلة وضيعتان فرندة وتورزورت أنظر:

E. Daumas, *Correspondances du capitaine Daumas consul à Mascara, 1837-1839*, op.cit., p. 104.

⁵ - اليعقوبية: تقع بين معسكر وحشم الغرابة غربا وبني عامر في الشمال الغربي، الشط الشرقي جنوبا وحرار الشراقة وصدامة شرقا وفيها مجموعتان يعقوبية الشراقة فيها سبع قبائل ويعقوبية الغرابة فيها 13 قبيلة كانت تابعة لأغاليك حشم الغرابة ينظر:

E. Daumas, *Correspondances du capitaine Daumas consul à Mascara, 1837-1839*, op.cit., p. 111.

⁶ - W. Estirasy, *Notice historique sur le maghzen d'Oran*, typographie de Berrier, op.cit., p. 156-157.

القوات الفرنسية جنوبا نحو شلف لإخضاع قبائل ضفتي واد شلف أما قوات الاحتلال الفرنسي التي كانت بقيادة الجنرال شونقارني اتجهت من مليانة لتلتحق بالحملة حتى وصلت واد الروينة حيث التقت القوتان الفرنسيتان بالمنطقة، انطلقت القوات الفرنسية التي كانت بقيادة الجنرال لامورسيير رفقة مصطفى بن اسماعيل وفرقة القوم من وهران انضم اليهم فرسان القبائل الصحراوية أهمهم بني مطار، أولاد بالغ، وتتييرة، وداية الخالة، كرسوط بالجنوب الغربي مرورا بالوهابية وأولاد سيدي يحي ، ودوي ثابت، وبني منارين¹، كل هذه القبائل انضمت للصف الفرنسي ضد قوات الجيش الشعبي الوطني بقيادة الأمير عبد القادر .

في 15 ماي 1843م غادرت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال لامورسيير مدينة معسكر عبر هضاب منداس وصلت تاقدمت، حاولت مجموعة من قبائل الفليطة والقبائل الصحراوية بقيادة الخليفة بن عبد الباقي اعتراض سير هذه القوات الفرنسية لكنها استطاعت تجاوزهم بعدما شنت شملهم وقامت بحرق خيامهم وعبرت بعدها الكاف ثم الهضاب العليا وصلت حتى عين توندة قرب شلف وخيمت بها حتى 27 ماي، وكانت قبائل أولاد شريف ، وأولاد لكرد² حرار الشراقة وحلوية تربطها علاقات مع القوات الفرنسية ودخلوا تحت طاعتهم قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال لامورسيير في 5 جويلية 1842م بنهب المحاصيل الزراعية لقبائل الفليطة والحشم اللتان رفضتا الخضوع، بينما اعلنت قبائل الحرار ولاءها للقوات الفرنسية³، بينما قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال داربوفيل بإخضاع عدة قبائل من قبائل الفليطة بعد معارك بأعالي واد رهيو، وفي خرنق القطع وملاعب قربوسة وبلاد الشرفة والعنصر والعمامرة كان هذا من 30 - 31 أوت الى غاية 04 - 05 سبتمبر 1842م .

التحقت الفرسان الموالية للمخزن العثماني بقيادة مصطفى بن اسماعيل⁴ بقوات الاحتلال الفرنسي التي كانت بقيادة الجنرال لامورسيير في 16 سبتمبر 1842م بعين الكريمة عبرت الكتيبة الفرنسية، طريش، عين تودة، واد سوسلم، قصر بني حماد حتى رأس العين بطاقين، خلال تحركات القوات الفرنسية التي كان هدفها إخضاع بعض القبائل الصحراوية بينما اتجهت قوات

¹ - بني منيارين: قبيلة من أغاليك حشم الغرابية، تنقسم إلى قسمين بني منيارين لفاق سوق برباطة وبني منيارين تحاتا دزيرت، واد حونت وسعيدة أنظر:

E. Daumas, *Correspondances du capitaine Daumas consul à Mascara, 1837-1839, op.cit.*, p. 45.

² - W. Estirasy, *Notice historique sur le maghzen d'Oran, typographie de Berrier, op.cit.*, p. 158 - 159.

³ - *Ibid.*, id., p. 159 - 160.

⁴ - مصطفى بن اسماعيل (1769 - 1843): من قبيلة بن عفان، كان آغا للدواير والزمالة خلال العهد العثماني، وشارك في حملات الجنرالات: بيريقو على شلف، ودار لانج على تافنة وفي حملات بيجو 1836 - 1837، توفي في 23 ماي 1843 ينظر:

E. Daumas, *Correspondances du capitaine Daumas consul à Mascara, 1837-1839, op.cit.*, p. 78.

الجيش الشعبي الوطني بقيادة الأمير عبد القادر نحو القبائل التالية لإخضاعها مرت القوات الوطنية نحو الضفة اليسرى لواد رهيو ثم شلف عند أولاد خويدم وأولاد عباس واتجهت شرقا لإخضاع بعض القبائل التي كانت قد أعلنت ولاءها للقوات الفرنسية وبعد إخضاع هذه المناطق اتجهت القوات الوطنية نحو مدينة معسكر ولما وصلت الكتيبة الفرنسية طاقين من 29-30 سبتمبر 1842م وصلت القوات الوطنية بقيادة الأمير عبد القادر قرية البرج وتم إخضاعها في 8 أكتوبر 1842م، ولما علمت قوات الجيش الوطني الشعبي بقيادة الأمير عبد القادر، أن قافلة من الحرار في 8 أكتوبر قامت بتحرير من الجنرال لامورسيير بنهب مطامير قمح أولاد شريف الذين أعلنوا رفضهم الخضوع لقوات الاحتلال الفرنسي توجهت القوات الوطنية لإخضاع هذه القبائل التي كانت تخدم مصالح قوات الاحتلال الفرنسي ولقد تمركزت الكتيبة الفرنسية رفقة فرسان الدواير والزمالة بمنطقة طريش بعد عودتها من منطقة طاقين وقامت بمباغطة القوات الوطنية وتمكنت من الحاق عدة خسائر: 100 شهيد و50 أسيرا و208 فرسا وكان لفرسان الدواير والزمالة دورا فعالا بالمعركة حيث عادت هذه القوات الفرنسية الى وهران في 22 أكتوبر 1842م وواصلت قوات الاحتلال الفرنسي تحركاتها نحو جنوب معسكر عند الفليطة بمنداس، بينما كانت قوات الجيش الوطني الشعبي بقيادة الأمير عبد القادر جنوب الفليطة تعمل لإخضاع الشكالة، العلوية، الكرايش، بني مسلم شهري من جانفي - فيفري 1843م استفادت القوات الوطنية من عودة القوات الفرنسية الى مدينة الجزائر لذا قامت بإخضاع قبائل جبال الونشريس، سهل شلف، منطقة الظهرة لكن هذه المناطق بعد عودة جيش الاحتلال الفرنسي أعلنت خضوعها التام¹.

في شهر جانفي 1843، لقد لقيت قوات الاحتلال الفرنسي خلال هذه الفترة صعوبات أجبرتهم للبقاء بمنطقة شلف وبعض المناطق التالية وهذا مايعكس جدية المقاومة الشعبية الوطنية ضد قوات الاحتلال الفرنسي ورفضها لتوسعاتهم رغم التفاوت التجهيزي بين الجيشين الى جانب سياسة الاحتلال الفرنسي التي كانت تعمل من أجل إبادة الشعب الجزائري والقضاء على مصادر تموين المقاومة الوطنية².

1- W. Estirasy, Notice historique sur le maghzen d'Oran, typographie de Berrier, op.cit., p. 161 -164.

2- Ibid., id., p. 167.

في شهر أبريل اتجهت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال بيجو نحو الجفرة وصولاً إلى أولاد إبراهيم ومنها إلى قبائل اليعقوبية ثم اتجهت بعدها نحو سهل غريس على رأس 1800 فارس استولت على أراضي واسعة تابعة لقبائل الحشم.

وفي 19 أبريل 1843 قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة العقيد جيري رفقة مجموعة من القوم بقيادة مصطفى بن اسماعيل لحماية قبائل جنوب معسكر لكن قوات الجيش الوطني الشعبي بقيادة الأمير عبد القادر قامت بمهاجمتهم، لقد غادرت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال لامورسيير سهل غريس¹ وتركت حامية عسكرية بقيادة العقيد جيري وقبائل المخزن في اليعقوبية عند أولاد خالد والحساسنة وواصلت قوات الاحتلال الفرنسي طريقها نحو تيارت التي وصلت في 21 أبريل بقيت بفرندة، لقد حاول الجيش الوطني الشعبي خلال هذه الفترة الإقتراب من مدروسة لكن قبائل المنطقة حاربتهم قبيلتي صدمة وخلافة بعد الدخول في المشادات وقد استشهد 50 فارساً فانسحبت القوات الوطنية نحو أعالي مينة، وسارت عبر سهل المنافسة بسهول منداس ولكنهم تلقوا هجومات من طرف بعض القبائل أهمها الفليطة تحت تحريض حامية عسكرية فرنسية بتيارت وأظهرت هذه القبائل رفضهم للمشاركة في المقاومة الوطنية حيث قامت قواتها بمهاجمة القوات الوطنية حيث استشهد 30 فارساً وتم نهب 56 فارساً.

في 7 ماي 1843م غادرت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال لامورسيير منطقة سيدي الجيلالي بن عمر، التقت بمنطقة مينة بقبائل الحرار الذين يشكلون صدمة وخلافة واتجهت جنوباً لإستهداف الزمالة، قامت قوات الاحتلال الفرنسي رفقة فرسان القوم بمهاجمة مجموعة من قبائل الحشم المهاجرة والمتجهة نحو الكرايش عبر واد وسال تمت مباغتتها بمنطقة الخميس ونهبوا إبلها وقطعانها ومؤونها وذخيرتها بعد أن نصبت خيامها بعين التريد² في 23 ماي 1843م انتقلت كتيبة عسكرية فرنسية من تليلات وانقسمت إلى مجموعتين أحدهما تقود الأسرى نحو مدينة معسكر أما القوات الفرنسية التي كانت بقيادة الجنرال لامورسيير توجهت نحو تيارت بينما قرر الأغا مصطفى بن اسماعيل رفقة الفرسان الموالية للمخزن التوجه نحو قبائل الفليطة ووصلت هذه القوات سهل مينة عبر سهل المناسفة، وعندما وصلت واد تامدة رفقة مجموعة من الدواب تحمل السلع التي تم نهبها

¹ - غريس: سهل تحيط به الجبال جنوب معسكر، طوله من 13 إلى 14 فرسخاً من الشرق إلى الغرب وعرضه من 4 إلى 5 فرسخاً من الجنوب إلى الشمال أنظر:

E. Daumas, *Correspondances du capitaine Daumas consul à Mascara, 1837-1839, op.cit.*, p. 9.
W. Estirasy, *Notice historique sur le maghzen d'Oran, typographie de Berrier, op.cit.*, p. 169 -170. ²

بعد ابادة مجموعة من قبائل الحشم هاجمتها قوات الجيش الشعبي الوطني وتم القضاء على الآغا مصطفى بن اسماعيل وبعض الفرسان الموالية للمخزن واعتبرت السلطات الفرنسية مقتل مصطفى بن اسماعيل أمرا سلبيا لا يخدم المصالح الفرنسية¹.

تواصلت جهود قوات الجيش الشعبي الوطني في توحيد القبائل الجزائرية ضد قوات الاحتلال الفرنسي، حيث قام الأمير عبد القادر يوم 8 جوان 1843م بحملات ضد قبائل الحرار قرب تيارت لإخضاعهم فتمت مطاردتهم من قبل فرسان الدواير والزمالة ولحقوا به بالمناسفة رفقة الآغا المازاري حيث انسحبت قوات الجيش الوطني الشعبي بقيادة الأمير عبد القادر غرب المقاطعة بينما توجهت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال لامورسيير نحو أعالي وادي رهيو لإخضاع القبائل المهاجرة باتجاه جبال الكرايش، وبعد معارك ضدهم استطاعت قوات الاحتلال الفرنسي بمساعدة فرسان الدواير والزمالة من القبض على اثنين من قادتهم وتم نهب خيولهم وقطعانهم وكميات من البارود، وخيمت بعدها الكتيبة العسكرية الفرنسية في 4 جويلية بحامية تيارت وعملت الكتيبة الفرنسية على نهب مطامير القبائل الخاضعة بضواحي تيارت فانطلق القوم رفقة فرسان الدواير والزمالة ضد قوات الجيش الشعبي الوطني فاندلعت معركة قرب اللوحة استولت فيها قوات الاحتلال الفرنسي على 119 حصانا² ثم انتقلت هذه القوات الفرنسية الى قبائل حلوية في 27 جويلية 1843م واتصل الجنرال لامورسيير بالجنرال بيجو الذي كانت قواته تعسكر منذ شهر عند بني وراق لإخضاعهم بسلسلة الونشريس حيث تلقى خضوع عدة قبائل أهمها بني مسلم، شكاله حلوية ، الكرايش، الغزلية، قاطعة الطريق أمام تحركات قوات الجيش الشعبي الوطني التي انسحبت نحو واد رهيو وحاولت الوصول الى جنوب اقليم وهران معتمدة في الشرق على قبائل الفليطة³ وغربا على قبائل الجفرة وجنوبا على القبائل الصحراوية الغربية وقامت الحامية الفرنسية بمستغانم بعدة عمليات بواد رهيو في 10 جانفي 1843م وواصلت تحركاتها نحو منطقة الظهرة وسهول مينة وشلف وملاحقتها لقبائل الفليطة في 14 ماي 1843م بقيادة الجنرال جونتيل "Gentil" قامت هذه الكتيبة العسكرية بمفاجأة قبائل الفليطة ويوم 4 جويلية 1843م تم اخضاعهم، بينما هاجمت

¹ - Ibid., id., p. 171-173.

² - Ibid., id., p. 179-180.

³ - الفليطة : أغاليك يحدها شمالا أغاليك الغرابية والمجاهر وشرقا أغاليك الشرق، وجنوبا وغربا أغاليك حشم الشراقة، وهم من أصول بربرية زمورة، الفليطة المحل زمورة، مينة، الشرفة ولاد سيدي بن يحي الشريف مينة الحرار تسة زمورة ينظر:

E. Dumas, *Correspondances du capitaine Dumas consul à Mascara ,1837-1839, op.cit.*, p. 104.

قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال بوجولي "Bourjolli" بزمورة بينما قامت فرسان الدواير الزمالة بمحاصرة قبائل الشرفة وأولاد سيدي يحي وأولاد سيدي لزرق في 20 جويلية .

في 21 جويلية قامت قوات الجيش الشعبي الوطني بقيادة الأمير عبدالقادر باخضاع قبائل الحرار واتجهت غربا ولما وصلت بعين البرانس قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال جيرى "Gerry" بحملة ضد القوات الوطنية حيث استشهد 250 فارسا وتم أسر 140 جندي ونهب 121 حصانا وخياما وكميات من ذخيرة ومتاع¹، بعدما علمت فرسان الدواير والزمالة بتواجد الجيش الوطني الشعبي بقيادة الأمير عبدالقادر بأعالي مكرة أقاموا مخيما بجرف الحمار لحماية أراضيهم، في 16 أوت تلقوا أمرا بالذهاب الى سيدي بلعباس والإلتحاق بالجيش الفرنسي بقيادة الجنرال بيجو الذي كان مخيما منذ شهر أفريل بمنطقة الجفرة وبلاد بني عامر² ، وصل الجيش الفرنسي واد سفيون وهاجم قبائل الجفرة في 30 أفريل وتم أسر القائد الزيتوني³.

¹ W. Estirasy, *Notice historique sur le maghzen d'Oran*, typographie de Berrier, op.cit., p. 181-183.

² - بني عامر: أغاليك تابعة لخليفة الغرب يحدها شمالا البحر وجنوبا الصحراء، وغربا بلاد ولهاسة الغسل وبلاد تلمسان شرقا بأغاليك الغرابة وأراضي وهران، كانت تضم إلى جانب بني عامر حميان الصحراء، أنجاد الشراقة وبعض أنجاد الغرابة يشكل بني عامر كونفدرالية من 15 قبيلة ينظر:

E. Daumas, *Correspondances du capitaine Daumas consul à Mascara, 1837-1839*, op.cit., p. 15.

³ - W. Estirasy, *Notice historique sur le maghzen d'Oran*, typographie de Berrier, op.cit., p. 184-186.

في 17 سبتمبر 1843م قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال لامورسيير بالتحرك نحو اليعقوبية حيث وصلت يوم 20 سبتمبر الى عين زبدو، ولما علم الأمير عبد القادر بهذه التحركات الفرنسية انتظر هذه القوات بأضرحة سيدي يوسف وهاجمها قتل عددا كبيرا من الرماة وأسر عدد منهم وبعد اعادة الهجوم من طرف القوات الفرنسية انسحب الأمير عبد القادر حيث استشهد جنديين بالمعركة هما الخليفة بن عبد الباقي¹ وبوزيان ولد بسيط من قادة حشم الغرابية وفي 13 ديسمبر قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال تمبور بمنطقة سيدي خليفة بالشط الشرقي من أجل القضاء على بقية قبائل الجفرة بينما قام جيش الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال بيدو بفرض عقوبات على قبائل التافنة، وتم استدعاء مشاة الفرسان الموالية للمخزن العثماني للمشاركة في الحملة ضد قبائل التافنة وقبائل ولهاصة، تحركت الفرقتان احدهما من تلمسان وأخرى بعين تيموشنت رفقة 600 فارس من القوم نحو أراضي ولهاصة وفي 25 ديسمبر تم مضايقتهم بمنطقة التافنة بمضيق بورويبة وأخضعوا للإستسلام لقد كان للفرسان الموالية للمخزن العثماني الدور الكبير في تحقيق عدة انتصارات ضد قوات الجيش الشعبي الوطني باقليم الغرب الجزائري² بينما قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال بيجو شهر مارس 1844م بإخضاع قبائل جرجرة ومن منطقة يسر الى الصفصاف.³

كانت وضعية اقليم وهران مضطربة، حيث كان الجيش الوطني الشعبي بأغللال يهدد سهول ملاتة بينما تلقت فرسان المخزن الأمر يوم 26 سبتمبر 1845م للتحرك غرب السبخة الكبرى لمنع تحركات القوات الشعبية الوطنية للتوغل نحو وهران⁴ لقد اعترف الجنرال لامورسيير باعمال

¹ - W. Estirasy, Notice historique sur le maghzen d'Oran, typographie de Berrier, op.cit., p. 187.

² - Ibid., id., p. 189 -191.

³ - Ibid., id., p. 193.

⁴ - Ibid., id., p. 218-220.

فرسان الدواير والزمالة في خدمة توطيد الاحتلال الفرنسي بالجزائر يوم 4 أكتوبر 1845م بعث تقريراً لوزير الحرب يشيد فيه دور المخزن لتوطيد الإستعمار الفرنسي بالجزائر¹.

2- الأساليب التي استخدمتها فرنسا مع بعض الزوايا لمواجهة الوحدة الجزائرية في عين ماضي² "تموجاً":

لماذا قام الأمير عبد القادر بمحاربة الطريقة التيجانية وشيخها ولم يحارب الطريقة الشيعية؟ ولماذا رفضت الطريقة التيجانية مساندة قوات الجيش الشعبي الوطني ضد قوات الاحتلال الفرنسي؟ حارب الأمير عبد القادر التيجانية ولم يحارب الشيعية رغم أنه اتصل بهم في نفس الفترة 1836م ولم يحارب الطريقتين في فترة واحدة لأن حربه لم تكن ضد هؤلاء المنشقين فحسب بل كانت ضد الاحتلال الفرنسي وتوسعاته، ولم يرد فتح عدة جبهات قتالية تنهك قواه وتضر بقواته، ولنقص الوعي السياسي والبعد الوطني لدى بعض رؤساء الطرق الصوفية بالجزائر التي ارتدت عن الجهاد، رغم أن المصير كان واحداً والدين الإسلامي يحث على الجهاد ضد الكافر المغتصب لأراضي المسلمين؟ ولكن الشيخ التيجاني بعد الاحتلال الفرنسي للأراضي الجزائرية يردد عن طاعة أمير المؤمنين ويقف ضد الوحدة الوطنية في مجابهة الكافر المسيحي المغتصب لأراضيه وحرمان النساء، والمساجد وإلى جانب عمليات الإبادة والأرض المحروقة الممارسة ضد الشعب الجزائري إلا أنه فضل الأمان للفرنسيين والخضوع لهم والإستكانة للعدو.

قام الأمير عبد القادر بأجراء عدة اتصالات مع شيخ التيجانية محمد التيجاني بحصن عين ماضي، منذ سنة 1836م يطلب فيها المساعدة، والمعونة ضد قوات الاحتلال الفرنسي، ولم يقرر الهجوم على حصن عين ماضي إلا بعدما تبين له خطر الاتصالات التي يجريها شيخ التيجانية مع قادة

¹ - Ibid., id., p. 223-225.

² - عين ماضي: قصر في جبل عمور 87 كم غرب الأغواط و 48 كم جنوب آفلو، أسسها مرابط مغربي سيدي محمد في القرن 17م أسس فيها أحمد بن محمد المختار التيجاني الزاوية التيجانية حاصرها الأمير في 1838، دخلها الفرنسيون أول مرة في 22 ماي 1844 أنظر: E. Daumas, *Correspondances du capitaine Daumas consul à Mascara, 1837-1839, op.cit.*, p. 15.

الجيش الفرنسي من خلال مراسلة التيجاني للجنرال فالي يقول فيها : " أشغل أنت الأمير عبد القادر من جهة البحر وأنا سأشغله من جهة الصحراء ".¹

ويؤكد لوي رين "Louis -Rinn" : أصر التيجاني والحاج علي التماسيني على عدم الانضمام والمشاركة في المقاومة الشعبية الوطنية بقيادة الأمير عبد القادر ضد قوات الإحتلال الفرنسي وهذا دليل على تواطؤ الشيخ التيجاني² صاحب الطريقة التيجانية مع قوات الإستعمار الفرنسي ولكن السؤال الذي يطرح نفسه لماذا كان موقف الطريقة التيجانية معارضا للمقاومة الشعبية الوطنية ضد قوات الإحتلال الفرنسي بالجزائر ؟.

رفض التيجاني الخضوع الى الصف الوطني وذلك بعد مراسلات أجراها الأمير عبد القادر معه، وخيم الأمير عبد القادر بمنطقة قصر رأس العيون تحضيراً للحملة ضد التيجاني رغم العروض التي أبداه التيجاني في مقابل تخلي الأمير عبد القادر عن الحملة لكنه رفض بدافع وطني وديني لقد قرر الأمير عبد القادر اعلان الحرب ضد شيخ الطريقة التيجانية وأتباعه بعد شهرين من المراسلات بين جوان وجويلية 1838م للتفاوض وحققا لدماء المسلمين وعملا لإرساء الوحدة الوطنية لمقاومة قوات الإحتلال الفرنسي³.

لقد أرسل الجنرال فالي شهر أوت 1839م الى وزير الحرب الفرنسي يخبره فيها أنه التقى مع التيجاني وأنه سيتعامل معه بحذر.⁴ توضح الرسالة تجاوب التيجاني مع القوات الفرنسية وهذه الرسالة كانت بعد تحطيم حصن عين ماضي، تصريحاته تدل على عدم وعيه بالمهمة التي يتحمل عاتقها الجيش الوطني الشعبي بقيادة الأمير عبد القادر ليس باسم الدين فحسب بل بدافع وطني لأن الأمير عبد القادر لم يدافع عن مدينة معسكر أو اقليم وهران فحسب وانما حاول بكل مجهوداته ورغم انشغالاته الحربية في توفير المؤن والذخيرة الحربية وصك صفقات تموينية، وبناء المدن والتحصينات العسكرية بل ظل يدافع عن دينه ووطنه والسؤال الذي يطرح نفسه كيف يستطيع تقديم الزكاة والعشور للقوات الفرنسية ويساعد بها أعداء الدين الإسلامي الذين حولوا المساجد الى كنائس واصطبلات ومستشفيات هل هذا هو الشيخ الذي يمثل زاوية دينية تعاليمها اسلامية أم أن شعاراتها

¹ - أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي 1830- 1954 ، ج. 4 ، ط. 1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص. 197 - 198.

² - L. Rinn, *Marabouts et khouan étude sur l'Islam en Algérie avec une carte indiquant la marche la situation et l'importance des ordres religieux musulmans*, éd. Jourdan, Alger, 1884, p. 427 ; M. Emrit, *l'Algérie à l'époque d'Abd elkader*, op.cit., p 234.

³ - Arnaud, *Siège d'Ain Mahdi par elhadj Abdelkader ben Mohiedin*, *Revue Africaine*, t. 8, 1864, p. 367 -368.

⁴ - M. Emrit, *l'Algérie à l'époque d'Abd elkader*, op.cit., p. 234.

بلا مبادئ ؟ هذه التصرفات هي نقص في الوعي الوطني، فالدين الإسلامي يحث على قتال المشركين والجهاد ضد أعداء الدين، فلا يجب الإستكانة اليهم لأنهم استحلوا النساء، وانتهكوا حرمتهم ومقدسات الشعب الجزائري وأعرافه وتقاليده وأراضيه، هل يمثل هذه الهمجية الفرنسية في اباداة الشعب الجزائري يمكن الإستكانة اليهم وقبول العيش تحت رايتهم ؟

لقد قام الأمير عبدالقادر بالإتصال بأهل فقيق 5 فيفري 1836م طالبا منهم العون والمساندة للمشاركة في الجهاد ضد قوات الإحتلال الفرنسي لكن أهل هذه المنطقة بقوا على حيادهم وعدم مشاركتهم في القضية الوطنية ، لم يشارك سكان فقيق في المقاومة الجزائرية بعد ماطالبهم الأمير عبدالقادر بالمشاركة في الحرب ضد القوات الفرنسية ولكنه لم يحاربهم بينما حارب الطريقة التيجانية فالى ماذا يرجع ذلك ؟ لقد كانت رسالة الأمير عبد القادر الى أهل فقيق تحث على الوحدة الوطنية لمواجهة العدو المشترك بعد سقوط مدينة تلمسان تحت حكم قوات الإحتلال الفرنسي، ويستشهد في رسالته بآيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة تدعو للتضامن لمقاومة قوات الاحتلال الفرنسي بعدما علم أن المعركة طويلة الأمد وستحتاج الى المزيد من الرجال والمجهودات والتضحيات، ولكن رغم عدم اجابتهم لدعوة المقاومة، لم يضطر الأمير عبدالقادر لإخضاعهم بالقوة فهل يعتبر ذلك تخوفا منهم أم أنهم في اقليم خارج نطاقه ؟ لم يواجه الأمير عبدالقادر قبائل الصحراء وأهل فقيق بالحدود المغربية ليس تخوفا وانما لم يكن يريد فتح عدة جبهات تضعف قوات الجيش الشعبي الوطني التي كانت مهمتهم مقاومة قوات الاحتلال الفرنسي¹

لقد التحق الأمير عبدالقادر بأولاد سيدي الشيخ بالجنوب الغربي لوهرا ن شهر جويلية 1846م بعد العودة من بلاد القبائل فأكرموا وفادته لكنهم طلبوا منه الرحيل عنهم مخافة من الجيش الفرنسي لماذا كان تصرف أولاد سيدي الشيخ وموقفهم المتخوف من القوات الفرنسية؟ و لماذا لم تساند أولاد سيدي الشيخ القضية الوطنية ولم تحتضن المقاومة الجزائرية للدفاع عن الوطن وطرد القوات الفرنسية من الأراضي الجزائرية رغم أنهم ينتمون الى الطريقة الشيعية ذات التعاليم الإسلامية؟ فما هو موقف شيوخ هذه الزاوية من المقاومة الجزائرية والإنتهاكات الفرنسية بأرض الجزائر بتحويل مساجدها الى كنائس و اباداة الشعب الجزائري بالمحارق، وسياسة الأرض المحروقة ؟ الا يدعوا الدين الإسلامي لمجابهة العدو ونصرة المسلمين ؟ السؤال الذي يطرح لماذا لم تساعد قبائل

¹ - تكور فضيلة وآخرون ، تعليق حول نداء الأمير عبدالقادر لاهل فقيق مع وثيقة النداء، مجلة التاريخ، عدد خاص بالذكرى المئوية لوفاة الأمير عبد القادر ، الجزائر، 1983، ص. 97 - 100.

أولاد سيدي الشيخ المقاومة الجزائرية بقيادة الأمير عبد القادر بينما بعد انتهاء القتال من طرف المقاومة الجزائرية بقيادة الأمير عبد القادر في 23 ديسمبر 1847م قاومت أولاد سيدي الشيخ قوات الاحتلال الفرنسي، وهذا مايفسر لنا أنها كان بإمكانها مساندة المقاومة الجزائرية حيث كانت تمتلك من القوات والذخيرة والمؤونة مايمكنها من مواجهة القوات الفرنسية، وهذا دليل على عدم تواجد الوعي والإحساس بالبعد الوطني الذي نادى به الأمير عبد القادر فالزواية الشيخية و قبائل أولاد سيدي الشيخ لم يكن لهم نفس الشعور والوعي الذي كان يحارب من أجله الأمير عبد القادر طوال تلك السنوات مدة 15 سنة من الجهود والمآسي والضحايا والمعارك ضد قوات الاحتلال الفرنسي التي أصرت على بقائها بالجزائر لذا جندت كل طاقاتها للإطاحة بالدولة والهوية الجزائرية التي ناضل من أجلها الأمير عبد القادر .

- نص الفتوى لتحريم الجهاد ضد قوات الاحتلال الفرنسي 1842:

طلب الجنرال بيجو من ليون روش الحصول على فتوى تجعل المسلمين يتراجعون وينسحبون عن المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي، لقد سمى ليون نفسه باسم عمر عبد الله وأرفق معه عددا من الأتباع على رأسهم محمد التيجاني والمازاري آغا الدواير وميلود بن سالم الأغواطي، توجه الركب نحو القيروان ثم الأزهر وتوجهوا بعدها نحو الحرم المكي، حصل على نص الفتوى من علماء القيروان والأزهر ثم صادق عليها علماء الحرم المكي مفادها يجوز للمسلم وقف الجهاد لقد أيدها وصادق عليها علماء القيروان والقاهرة، ودمشق وبغداد" كما صادق على نص الفتوى الأمير الشريف عون و جعل الجنرال بيجو نص هذه الفتوى منشورا يقرأ في الأسواق¹ تعتبر هذه الفتوى حربا نفسية استعملتها السياسة الفرنسية للقضاء على المقاومة الشعبية الوطنية، وعملت من أجل التفرقة بين أفراد الشعب الجزائري واستعملت الدين كوسيلة للقضاء على وحدة الشعب الجزائري في احتضانه للمقاومة الوطنية والعمل على تشتيت شملهم، ورغم هذه النصوص والفتاوي والحروب النفسية المعنوية والتدميرية التي استعملتها السلطات الفرنسية بالجزائر إلا أن

¹ - L. Roche, *Dix ans à travers l'Islam 1834-1844*, op.cit., t. 1, p. 241.

الشعب الجزائري بقيادة الأمير عبد القادر ظل صامدا أمام الهجمات المتكررة والمتواصلة والمتزايدة عدة وعددا بأساليب وحشية وترهيبية .

3- تأسيس فرق عسكرية من المرتزقة الخونة الجزائريين ضد قوات الجيش الشعبي الوطني:

أ- فرقة الزواف:

كانت السياسة الفرنسية تستهدف جزارة الحرب بالجزائر وذلك بكسب مؤيدين لها بالبلاد يعملون لخدمتها ومصالحها الاستعمارية، لذا عملت على مبدأ التفرقة بين الشعب الجزائري حتى تقضي على المقاومة الشعبية وتستفيد من هؤلاء المنشقين نظرا لمعرفتهم بتضاريس المنطقة التي يعملون بها، ويتم تجنيد هذه القوات الجزائرية الى الصف الفرنسي لخدمة مصالح الاحتلال الفرنسي وذلك من أجل المحافظة على ميزانية الدولة الفرنسية وتخفيض نفقاتها الحربية، لذا قام الجنرال كلوزال بإنشاء قوات عسكرية تعمل على حرق المحاصيل والمنازل وتقوم بقطع الاشجار تدعى كتيبة الزواف من السكان الجزائريين بمنطقة القبائل¹ وفق قانون 10 أكتوبر 1830 يتكون أغلبهم من الزواوة الذين يعيشون شرق الجزائر بـجبال جرجرة².

قامت فرقة الزواف المتكونة من 2000 جندي بالانخراط في جيش الاحتلال الفرنسي بالجزائر حسب ما صرح به الماريشال دييورمون لوزير الحرب في أوت 1830م حيث كانت هذه القوات تتشكل في بادئ الأمر من أجانب وسكان القبائل وفرنسيين وأجانب كونوا فيلقان من الزواف في شهر مارس 1833م واثرت تعليمية 1835م تم تجنيد فيلقان من الزواف ، ولقد أنشئ فيلقا آخر في 20 مارس 1837م وقد تم جمع جميع الفيالق في 11 نوفمبر 1837م لتشكيل جيش وفي 10 فيفري 1840م تم انشاء جيش مختلط من أبناء الشعب الجزائري باقليم الجزائر به مجموعة من الصبايحية غير النظاميين و 4 مجموعات من القناصين أغلبيتهم من البليدة والقلعة، أما في مايخص عنابة وقسنطينة فتم تجنيد أبناء الشعب الجزائري بنفس الطريقة تكون أغلبهم من العثمانيين وصار اسم الفيلق توركس "Turcos" وفي شهر فيفري 1840م تشكل نصف فيلق من الدواير والزمالة باقليم وهران³، ومن أهم الأعمال التي قامت بها فرقة الزواف خلال الفترة الممتدة من 1830-1842م شاركت في الحملة الأولى على مدينة المدية في شهر نوفمبر 1830م، والحملة الثانية على المدية،

¹ - J. Ladmir, *Les guerres d'Afrique*, op. cit., p. 52.

² - S. Josef, *Histoire du deuxième régiment de zouavres*, éd. Lacheseet, Paris, 1898, p. 5.

³ - V. Duruy, *Le premier régiment de tirailleurs algériens histoire et campagne*, éd. Hachette, Paris, 1899, p. 3-4.

جوان جويلية 1831م حيث خسر فيها الزواف قائد مؤخرتهم¹، لقد أصبح المقدم لامورسيير القائد العام لفرقة الزواف في 31 ديسمبر 1833م حيث خاضت هذه الفرقة معركة ضد الجيش الشعبي الوطني بقيادة الأمير عبد القادر بمنطقة الهبرة بمعسكر.

تم تشكيل فرقة الزواف من فيلقان اثر قانون 1835م توجهت أربع فرق من الزواف تحت قيادة المقدم لامورسيير شهر جانفي 1836م الى مدينة تلمسان لفك حصارها حيث كان بها الكراغلة محاصرين من طرف قوات الجيش الشعبي الوطني تحت قيادة الأمير عبد القادر، وبعدها عادت هذه الفرقة الى وهران ثم توجهوا بعدها نحو مدينة المدية في حملتهم الثالثة لها شهر مارس، أفريل 1836م² كما شاركت هذه الفرقة في الحملة الثانية على قسنطينة سنة 1837م وحققوا عدة انتصارات خدمة لفرنسا ومصالحها بالجزائر وقد أعجب المقدم لامورسيير بأعمالهم وخدماتهم، نظرا للجهود المبذولة من طرف فرق الزواف في تثبيت قواعد الإحتلال الفرنسي بالجزائر والعمل على تفكيك وحدة الشعب الجزائري، لقد حاول الجنرال فالي حل هذه الفرقة نظرا لتزايد النفقات الحربية، لكن المقدم لامورسيير رفض هذا الإجراء، وقام بتكثيف عدد المجندين الفرنسيين في هذه الفرقة لتغطية العجز³، وتم تقسيم فرقة الزواف الى 3 كتائب في 4 أوت 1839م⁴، لقد أنشئت الحكومة الفرنسية مشروع حملة ضد قوات الجيش الشعبي الوطني تحت قيادة الأمير عبد القادر تنص على مايلي ابعاد قبائل حجوط⁵ والإستحواذ على شرشال واحتلال مدينة المدية ومليانة والتوغل نحو شلف لمساندة القوات الفرنسية بوهران، لقد تم احتلال مدينة شرشال من 16 الى 18 مارس سنة 1840م من طرف المقدم لامورسيير بمساعدة فرقة الزواف وتوجهوا بعدها نحو مدينة المدية لكن الأمير عبد القادر واجههم رفقة الجيش الشعبي الوطني بتحصيناته بهضبة موزاية كمركز دفاع لمواجهة قوات الإحتلال الفرنسي وبعد معارك ومشادات بين الطرفين سقطت مدينة المدية في يد القوات الفرنسية في 17 ماي ومن 30 ماي الى غاية 02 جويلية سقطت مدينة مليانة⁶.

¹- S. Josef, *Histoire du deuxième régiment de zouavres*, op.cit., p. 5 -7.

²- Ibid., id., p. 11.

³- S. Josef, *Histoire du deuxième régiment de zouavres*, op.cit., p. 18 -19.

⁴- Ch.-A. Julien, *Histoire de l'Algérie contemporaine conquête et colonisation (1827- 1871)*, op.cit., p. 275 - 278.

⁵ - حجوط: حجوط السهول وسواحلية، كانوا مجموعة من وادي السبت وبني خليل، من الشفة والأطلس حتى سبخة هلولة، قاوموا منذ سنة 1830-1841 ضد الجيش الفرنسي ينظر:

E. Daumas, *Correspondances du capitaine Daumas consul à Mascara, 1837-1839*, op.cit., p. 350.

⁶- S. Josef, *Histoire du deuxième régiment de zouavres*, op.cit., p. 21.

فرقة الزواف سنة 1842م أصبحت فرقة مشكلة من أبناء الشعب الجزائري الذين جندتهم قوات الإحتلال الفرنسي خدمة للمصالح الفرنسية بأراضي الجزائر، أصبح هؤلاء مشكلين من أبناء الشعب الجزائري وحدهم دون أن يختلطوا مع قوات الإحتلال الفرنسي وأصبحت هذه الفرقة في شهر مارس 1842م تتكون من 3 فيالق توجه الفيلق الأول نحو مدينة المدية والفيلق الثاني نحو مدينة تلمسان والفيلق الثالث نحو مدينة عنابة، لقد هاجمت قوات الزواف رفقة الجنرال دومال العاصمة الجزائرية المتنقلة الزمالة ، وتم القضاء على 300 شخص وأسر 3000 شخص ونهب عددا هائلا من الماشية¹، كماشاركت فرقة الزواف في الحملة الفرنسية لإخضاع منطقة دلس في 8 ماي 1844م، وبعد معارك بمنطقة القبائل أخضعت عدة قبائل بالمنطقة في 31 ماي 1844م كما شارك الفيلق الثاني من فرقة الزواف بمعركة ايسلي شهر أوت 1844م، سقط منهم 17 قتيلًا وشاركت فرقة الزواف في معارك قادها العقيد كافنيك² ضد قوات الجيش الشعبي الوطني بواد التافنة في 23 سبتمبر 1845م وعملوا للقضاء على مقاومة بومعزة سنة 1846م والقبائل التي ساندته باستعمال حرب الإبادة ضد الشعب الجزائري³ .

لقد زاد تعداد الجيش الفرنسي بالجزائر في 1 جانفي 1842م ب 83154 جنديا و 15974 فارسا حيث أصبح الصراع أكثر تطورا وعنفا ضد قوات الجيش الشعبي الوطني بقيادة الأمير عبدالقادر بعودة الجنرال بيجو الى الجزائر سنة 1841م، لقد قام القائد فارجي "Vergé" بحملة بعد شهرين من انشائه لفيلق القناصة الجزائريين وكان الهدف من انشاء هذا الفيلق هو تشتيت القبائل التي ساندت الخليفة بن سالم وتم استدعاء فيلق مكون من أبناء الشعب الجزائري تعدده 452 جندي شارك في هذه الحملة، وفي 05 أكتوبر 1842م هاجمت قوات الجيش الشعبي الوطني بمنطقة القبائل، مؤخرة الفيلق فقامت قيادة الجيش الفرنسي بارسال فيلق من القناصين المشكلين من أبناء الشعب الجزائري لمساندتهم، فوصل هؤلاء القناصة بقيادة العقيد لوبلون "Leblone" فقاموا بتشتيت قوات الجيش الشعبي الوطني وتم أسر البعض من القوات الوطنية وفي 13 أكتوبر 1842م أحرق القناصون الجزائريون عدة قرى لقبائل أولاد عزيز وفي 20 أكتوبر 1842م اتجهوا نحو جبال وارسنيس

¹ - Ibid., id., p. 26-27.

² - كافنيك Cavaignac : ولد في 15 أكتوبر 1802، بباريس. دخل المدرسة العسكرية الميكانيكية في 1820، ارسل للعمل في الجزائر سنة 1832، شارك في الحملة على تلمسان ليعين بعدها حاكما عاما للجزائر سنة 1848، توفي في 28 أكتوبر 1857 أنظر:

T. Changarnier, *Mémoire du général Changarnier*, op.cit., p. 164.

³ - S. Josef, *Histoire du deuxième régiment de zouavres*, op.cit., p. 28 -30.

مشكلين من 415 جنديا ثم نحو مليانة حيث تم أسر بعض الجنود من الجيش الشعبي الوطني بسوق الحد من طرف الجنرال شونقارني وتم نهب بعض الأمتعة والأنعام في الحملة على وارسنيس بعد شهرين تم استدعاء فيلق القناصين وفي 21 فيفري 1843م اتجه 700 جندي نحو مدينة المدية حيث كان يتواجد الجنرال دومال بالمدينة لقد تم الالتحاق بجيش الحاكم العام 16 أفريل ب 18 ضابطا و554 جنديا للتحضير لإحتلال "Orléanville" شلف عاد الفيلق يوم 10 جويلية الى بئر خادم للإستراحة لكن القائد فارجي تم جمع 400 جندي يوم 20 جويلية للتوجه نحو مدينة المدية للالتحاق بالجنرال يوسف¹، قررت قيادة الجيش الفرنسي تجنيد رجال من أبناء الشعب الجزائري في 15 سبتمبر 1839م المجموعة الأولى بمليانة، والثانية المدية، والثالثة البليدة والرابعة بوفاريك، والخامسة والسادسة بميزون كاري "Maison- carré" ورأس عودا وتم انشاء المجموعة السابعة والثامنة من فرقة الزواف حيث التحق 589 قناصا جزائريا بقوات الجيش الفرنسي بمنطقة دلس في 8 ماي 1844م وهاجموا في 17 ماي قبائل وراز الدين وتم ملاحقتهم في 19 ماي وقد خضعوا لقوات الإحتلال الفرنسي² بينما قامت قبائل فليسة بقبول خليفة وبعض الآغوات تم تعيينهم لخدمة فرنسا والقيام بجباية الضرائب وقد انتقلت المجموعة الخامسة المتكونة من 120 جنديا في 30 أفريل 1845م نحو بجاية بقيادة الملازم الأول جونتي "Genty" وقامت بمعارك في أيام 2، 3، 7 جوان فخرج بعض الجنود وقتل البعض منهم بعد هذه المعارك بمنطقة بجاية ضد قوات الخليفة بن سالم وفي 17 أكتوبر 1845م غادرت مجموعة من قوات الزواف باتجاه بجاية لتقديم الدعم للنقيب ميشال "Michel" والذي دعمته ب 120 قناصا، قاموا بنهب 200 رأس ماشية وغادروا المنطقة في 22 ماي 1847م وتمت حملة الارسنيس والظهرة في شهر ماي، جويلية وجبل ديرة، وجبل عمور في سبتمبر 1845م ، وفي جوان 1846م لقد دامت مقاومة محمد بن عبد الله، المدعو بومعزة 18 شهرا في مواجهة القوات الفرنسية حاول العقيد لادميرو "Ladmirault" في 12 جوان من القضاء على هذه المقاومة لكنه فشل وقتل من القناصة خمسة قام فيلق القناصين بعدة معارك بين المدية وجرجرة ، وجبل ديرة وولاد دريس، وبوعزيز من 10 الى 12 أكتوبر جرح الكثير وقتل العديد منهم وسلب القناصة شهر جانفي 25000 رأس ماشية و 1000 ناقة.

¹- V. Duruy, *Le premier régiment de tirailleurs algériens histoire et campagne*, op.cit., p. 13 -16.

²- Ibid., id., p. 19 -20.

وفي جانفي 1846¹ طالب القناصة الجزائريون من سكان القليعة بأجورهم مقابل مايقدمونه من خدمات وفي 5 جويلية تم تنظيم فرسان من الجزائريين من مدينة الجزائر تحت قانون الجنرال فالي قناصي الجزائر كانت مدة الخدمة 3 سنوات كان عدد المجندين في جانفي سنة 1841: 5600 جندي و 2500 فارس، وفي أفريل 1840م مجموعة من القناصة مشكلين من 100 قناص جزائري أختيروا لمحاربة قبائل حجوط وفي 27 أفريل قاموا بمعارك بواد جر وبورومي، وتم محاصرة شرشال وهضبة ثنية ووصلوا مدينة المدية في 17 ماي 1840م².

لقد نص القانون الملكي في 7 ديسمبر 1841م انشاء 3 فيالق من القناصين الجزائريين مشكلين من 700 شخص لايوجد سوى 200 جندي قادرين على الحرب أما البقية معظمهم شيوخ وأطفال، ويتم قبول أبناء الشعب الجزائري في فرقة القناصة دون الزام، كان أجر هؤلاء القناصة فرنك ونصف يوميا، للترتيب ، والعريف فرنك و 15 سنتيم والقناص نفس الثمن³.

أعطت قوات الزواف والقناصة دفعا قويا في الحملات العسكرية الفرنسية الى جانب قوات الاحتلال الفرنسي بالجزائر والعمل على التفرقة بين أبناء الشعب الجزائري لتوطيد الاستعمار الفرنسي والعمل على تحطيم وافشال كل سبل المقاومة الجزائرية باستعمال كل الطرق التي يمكنها القضاء عليها وتجنيد جزائريين ضد اخوانهم خدمة للمصلحة الفرنسية ونظرا لمعرفتهم للمنطقة وتضاريسها ومواردها يمكن الاستفادة منهم كمرشدين وجنود في صفوف الجيش الفرنسي تجسيدا للمشروع الاستيطاني الفرنسي الذي عملت الدولة الفرنسية على انجازه بجميع الطرق وكل الوسائل اللاانسانية من أجل البقاء بالجزائر وانتهاكا لحقوق الشعب الجزائري وتحطيمها لوحدة وتعاليمه وافشالا لمشروع الدولة الجزائرية الحديثة وتوحيد الشعب الجزائري الذي سعى الأمير عبدالقادر لتحقيقه

ب- فرقة الصبايحية : تشكلت فرقة الصبايحية في العهد العثماني من بعض أبناء الشعب الجزائري ينتمون للعائلات الكبيرة يجندون لخدمة آغا العرب يوفر الصبايحي حصانه، وبندقيته من حسابه ويدفع حوالي 100 بوجو لكي يقبل الآغا خدمته ، يدمج في فرسان المخزن وبعض من الرسوم وأعمال السخرة، أهم القبائل التي كانت تجند الصبايحية بدار السلطان مقاطعة الجزائر بني

¹ - Ibid., id., p. 21-24.

² - Ibid., id., p. 5 -6

³ - V. Duruy, *Le premier régiment de tirailleurs algériens histoire et campagne*, op.cit., p. 8 -11.

سليمان وقبيلة أولاد ديار، وقبيلة أولاد عثمان، قبيلة أولاد بو عيش التي جندت سنة 1825م 400 صبايحي هذه القبائل من إقليم التطيري أما قبائل بايلك الشرق قبيلة أولاد عبد النور ألف صبايحي والتلازمة 100 صبايحي، أما بايلك الغرب قبيلة ذوي حسن وصبايحية الشلف¹ وقد صدر أمر ملكي في 07 ديسمبر 1841م يقضي بتحويل هذه الفرقة إلى فرقة منتظمة تخضع للجيش الفرنسي وتعمل في صفوفه فتم ترسيم الفيلق الأول بمقاطعة الجزائر والفيلق الثاني بوهران والفيلق الثالث بقسنطينة² وقامت السلطات الفرنسية بتجنيد فرقة من الفرسان من جنسيات مختلفة فرنسية وجزائرية وتونسية ومغربية تحت قيادة ضباط فرنسيين وقادة جزائريين، وتمت التجارب الأولى لإنشاء هذه القوات في ديسمبر 1842م في عنابة، وبعد خمسة أشهر ظهرت فرقة صغيرة منهم سميت "صبايحية الفحص" بقيادة فوارول، "Voiral" وكانت مهمتها مراقبة الأرياف، ولقد ساهمت هذه القوات في معارك الفرنسيين ضد قوات الجيش الشعبي الوطني بقيادة الأمير عبد القادر، حيث جعلهم يبجو يتمركزون في منطقة مسرغين³ ويشرح دوطوكفيل فوائد الصبايحية في مساندة الجيش الفرنسي في حملاته العسكرية ضد القوات الوطنية⁴ "ان تشكيل فرق من الصبايحية غير النظاميين، وفر لنا هؤلاء عددا كبيرا لخدمة فرنسا في مقاطعة قسنطينة 1500 فارس⁵ كانت فرقة الصبايحية في خدمة الجيش الفرنسي والتوسعات الفرنسية على الأراضي الجزائرية فقد استفادت السلطات الفرنسية في جميع المقاطعات الجزائرية على مساندين يخدمون مصالحهم ضد اخوانهم الجزائريين فقد تمكنت قوات الجيش الفرنسي من تجنيد عدة فرق من الصبايحية يعملون تحت قيادتهم سعيا منهم للقضاء على المقاومة الشعبية الوطنية ومصادر تموينها والعمل على التفرقة بين أبناء الشعب الجزائري حتى لا يتسنى للأمير عبد القادر تجنيد عددا كبيرا من الجزائريين ضد قوات الاحتلال الفرنسي فالمشاريع الفرنسية كانت تقضي بانهاك قوى المقاومة الشعبية الوطنية والعمل على إضعافها حتى تتمكن من القضاء عليها و تحقيق مشروعها الاحتلالي وأفكارها الاستيطانية بالحق الجزائري بالدولة الفرنسية تخدم مصالح الشعب الفرنسي .

4- المكاتب العربية للجيش الفرنسي ودورها في تفكيك وحدة الشعب الجزائري:

¹ - عباد صالح ، الجزائر خلال الحكم العثماني 1514 - 1830 ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2004، ص. 318.

² - V. De Paradis, *Alger au 18^{ème} siècle*, éd. Fagnan, Alger, 1898, p. 75 - 76.

³ - Ch.-A. Julien, *Histoire de l'Algérie contemporaine conquête et colonisation (1827- 1871)*, op.cit., p. 274.

⁴ - الكسي دوطوكفيل، نصوص عن الجزائر في فلسفة الاحتلال والاستيطان ،تر ابراهيم صحراوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008، ص. 182.

⁵ - الأشرف مصطفى، الجزائر الدولة والامة، تر حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1983، ص. 323.

قامت السلطات الفرنسية بالجزائر لتحقيق نفوذها الإستعماري، بالعمل على التقرب من الشخصيات المحلية وكلفتهم بمراقبة السكان، ويتم اختيار هذه الشخصيات حسب نفوذ قوات الإحتلال الفرنسي بالمنطقة ويتم تعيين آغا للعرب، أحدث الجنرال روفيقو الحاكم العام بالجزائر سنة 1833م فرعا سماه المكتب العربي يطلق عليه مصلحة الشؤون العربية¹ كانت هذه الهيئة الفرنسية تعمل من أجل اخضاع القبائل الجزائرية للنفوذ الفرنسي بالجزائر ومهدت لإدارة الشعب الجزائري، كان هدف الجنرال روفيقو من انشاء الديوان العربي بالإعتماد على مترجمين مختصين في الشؤون العربية² الإتصال برؤساء القبائل في جميع انحاء البلاد وطمأنتهم بأن الإدارة العسكرية الفرنسية لاتتوي ان تلحق الضرر بهم اذا ماتعاونوا معها وساعدوها ضد المقاومة الشعبية الوطنية، أول شخصية عينت لهذا المنصب النقيب لامورسيير الذي كان يتقن اللغة العربية، حيث أعطى هذا الضابط دفعا كبيرا لهذه المصلحة للدعاية من أجل سياسة التوسع الإستعماري³

شهر أفريل 1837م تم اعادة تأسيس ادارة الشؤون العربية بقيادة الرائد بليسي " Pellissier"، كلف بمراقبة تحركات الجيش الوطني الشعبي بقيادة الأمير عبدالقادر، لقد قدم بليسي استقالته وخلفه النقيب ألونفيل "Allanville"، كما قام الجنرال فالي بمقاطعة قسنطينة بتنصيب بعض شيوخ قبائل المنطقة مثل سي حمودة ولد سيدي الشيخ تحت وصاية السلطة الفرنسية، الهدف من هذا النظام الاداري الفرنسي خدمة المصالح الفرنسية بالجزائر والتعرف على بنية المجتمع الجزائري والعمل على كيفية تفكيكه واخضاع شعبه⁴، كانت ادارة الشؤون العربية 1837م مسؤولة عن عملية الإتصال برؤساء القبائل والتفاوض معهم واقناعهم بالتعاون مع قوات الإحتلال الفرنسي مقابل احترامها لأساليب عملهم وتقاليدهم وتوفير الأمن والإستقرار بمناطقهم وحماية مصالحهم⁵.

استغل الجنرال بيجو نفوذ رؤساء القبائل وخاصة بالناحية الشرقية من البلاد وتم تأسيس ادارة الشؤون العربية في 16 أوت 1841م، وعين الضابط دوما رئيسا لها، أنشئت ادارة المكاتب العربية

¹ - X. Yacono, *Les bureaux arabes et l'évolution des genres de vie indigènes dans l'ouest du Tell Algérois Dahra Chélif* - Ouarsenis Sarsou, éd. Larousse, Paris, 1953, t. 1, p. 10-11.

² - R. Germain, *La politique indigène de Bugeaud*, op.cit., t. 2, p. 194.

³ - E. De Reynaud Pillissier, *Annales Algériennes*, op.cit., t. 1, p. 291 -300.

⁴ - Ch.-A. Julien, *Histoire de l'Algérie contemporaine conquête et colonisation (1827- 1871)*, op.cit., p. 334 -335.

⁵ - X. Yacono, *Les bureaux arabes et l'évolution des genres de vie indigènes dans l'ouest du Tell Algérois Dahra Chélif* - Ouarsenis Sarsou, op. cit., t. 1, p. 13 -14.

بمقتضى مرسوم وزاري 1 فيفري 1844م، لقد أدخل الجنرال دوما "Daumas" تعديلات على إدارة الشؤون العربية بوضع سلم اداري للمؤسسة¹.

تعريف المكتب العربي: حسب هيغونيت "Hugonet" هوحلة وصل بين الجنس الأوربي الذي استوطن بالقطر الجزائري منذ 1830م والجزائريين الذين يقطنون البلاد².

قررالجنرال بيجو شهر فيفري 1844م تأسيس وبصفة رسمية المكاتب العربية بوضع هياكل ادارية تعمل من أجل اخضاع الجزائريين وتم تقسيم المكاتب العربية لإدارة الشؤون العربية على مستوى القيادة العسكرية بتقسيمها الى ادارت فرعية بالمقطعات الثلاث الموجودة بالجزائر لكل مقاطعة وحدات من الدرجة الأولى وأخرى ثانوية من درجة ثانية وحسب هذا القرار الوزاري تم انشاء المكاتب العربية يعمل بها اداريون بكل مقاطعة³.

وحسب تصريحات دوطوكيفيل عن المكاتب العربية⁴.

كانت سياسة المكاتب العربية، تعمل من أجل معرفة وضعية المجتمع الجزائري واخضاع القبائل الجزائرية لخدمة مصالح الإستعمار الفرنسي بالجزائر، والعمل على مراقبة القادة التي تعينهم السلطات الفرنسية الذين يسعون لتحصيل الضرائب، وعمليات الجوسسة ودعم قوات الإحتلال الفرنسي لإخضاع البلاد الجزائرية والقضاء على المقاومة الشعبية الوطنية ماديا ومعنويا بالقضاء على مصادر تموينهم الحربي والعمل على فرض عقوبات للذين ينضمون لصفوف الجيش الشعبي الوطني لمقاومة قوات الإحتلال الفرنسي

لقد فرض القرار الوزاري في فيفري 1844م المتعلق بالمكاتب العربية تمهيدا لعملية التوسع الإستعماري ولإستيضان وازدهار التجارة والأمن ولايتم ذلك الا بقمع المقاومة الشعبية الوطنية وكانت التعليمات الرسمية الفرنسية تحرص على المكاتب العربية بجعل السكان الجزائريين يقتنعون بسياسة الإحتلال الفرنسي وقبول مؤسساته الحكومية⁵.

الادارة الفرنسية بالجزائر من خلال تشكيل المكاتب العربية هدفها، التعرف على بنية المجتمع الجزائري عاداته وتقاليده، ومواطن قوته وضعفه لضرب وحدة الشعب الجزائري والعمل على

¹ - Ch.-A. Julien, *Histoire de l'Algérie contemporaine conquête et colonisation (1827- 1871)*, op.cit., p. 334 -335.

² - F. Hugonet, *Souvenirs d'un chef de bureaux Arabe*, éd. Levry, Paris, 1858, p. 5-6.

³ - Ch.-A. Julien, *Histoire de l'Algérie contemporaine conquête et colonisation (1827- 1871)*, op.cit., p. 334 -335.

⁴ - الكسي دوطوكيفيل، المصدر السابق، ص. 123.

⁵ - X. Yacono, *Les bureaux arabes et l'évolution des genres de vie indigènes dans l'ouest du Tell Algérois Dahra Chéelif* - Ouarsenis Sarsou, op. cit., t. 1, p. 15.

احياء الخلافات القبلية بتشكيل الأغوات في خدمة المصالح الفرنسية وانهاك القوى الوطنية ماديا ومعنويا باستعمال الحرب النفسية في أوساط المجتمع الجزائري للتخلي عن المقاومة الشعبية الوطنية ، و اظهار القوة والعنف الفرنسي بالتدخل في شؤون المجتمع الجزائري وكسب رؤساء القبائل لصالح القوات الفرنسية التي تعمل على مراقبة تحركات الجيش الشعبي الوطني واعلام قوات الاحتلال الفرنسي بقواته، وتمركزاته للقضاء عليه وتحطيم مصادر تموينه .

كانت مهمة المكاتب العربية جمع المعلومات التي تهم جيش الاحتلال الفرنسي لتقوية نفوذه من خلال احصاء الأراضي الزراعية والتعرف على مجاري المياه والتنظيمات الاجتماعية وتحديد نوعية المداخل المالية ، لكي يتمكن الضابط الفرنسي من جمع كميات هائلة من الأموال عن طريق جباية الضرائب ¹.

دراسة المجتمع الجزائري من قبل ضباط فرنسيين ومصادر تموينيه وأراضيه الزراعية وتنظيماته الاجتماعية والإقتصادية والثقافية، ذات أهمية قصوى للإستعمار الفرنسي وذلك من أجل تحقيق النفوذ الفرنسي وتوسعاته، والعمل على تفكيك المجتمع وتشتيت قواته والقضاء على وحدته التي كان يسعى الأمير عبدالقادر الى تحقيقها لكن المساعي الفرنسية والدراسات الأنثروبولوجية عن طريق عدة ضباط فرنسيين يتقنون اللغة العربية، لهم اطلاع على عادات العرب وتشكيلاتهم الاجتماعية استطاعوا كسب عدة رؤساء قبائل الى صفهم، خدمة لمصالح قوات الاحتلال الفرنسي، حاولت السلطات الفرنسية إستغلال جميع الطرق السياسية التي لاتكلف الخزينة الفرنسية² والسعي لتفريقه كيان المجتمع الجزائري وتحطيم نظمه الاجتماعية لتحقيق عملية التوسع الاستعماري الفرنسي، فهذه المكاتب العربية كان مخططا لها قبل تنفيذها من أجل القضاء على مقاومة الشعب الجزائري وانجاح عملية الاستيطان والتوسع الفرنسي على حساب الأراضي الجزائرية وكانت السياسة الفرنسية تهدف لقطع الصلة بين القبائل الجزائرية والمقاومة الشعبية الوطنية لإنجاح عملية الإستيطان، وكان الأمير عبدالقادر يعتبر خطرا بالنسبة لسياسة التوسع الفرنسي يقول ريشار : اذا ما توصلنا من تقسيم السكان الى معسكرين متحاربين ومتعادين اذن نستطيع وضع حد فاصل بين مجموعتين من السكان هي متوحدة ومتضامنة لمحاربتنا ³.

¹ - F. Hugonet, *Souvenirs d'un chef de bureaux Arabe*, op.cit., p. 8 -10.

² - P. Azan, *Les grands soldats de l'Algérie*, op.cit., p. 14.

³ - Ch. Richard, *Étude sur l'instruction du Dahra 1845-1846*, op.cit., p. 185-186.

تفطنت الإدارة الفرنسية لمساعي ومشاريع الأمير عبد القادر لتحقيق وحدة الشعب الجزائري وفق أسس وطنية تعمل على طرد قوات الإحتلال الفرنسي من البلاد الجزائرية، وسعت للقضاء على هذا المشروع الوطني باستخدام مبدأ فرق تسد لتحطيم بنية الشعب الجزائري، البرنامج الذي سطره الجنرال بيجو لتشكيل هيئة المكاتب العربية التي تعطي دفعا قويا لعملية الإحتلال الفرنسي، لازاحة الأرستقراطية الدينية والعسكرية من تسيير البلاد ووضع عائلات جديدة بدلها لإيجاد تأثيرات تكون من صنعنا نحن لقد فشلنا تقريبا في جهود من هذا القبيل في الواقع أن الجهود كهذه مازالت مبكرة¹.

استفادات السلطات الفرنسية من دراسة وضعية المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني حيث استعمل الحكام العثمانيون بالجزائر أمام تزايد ثروات الشعب مبدأ التفركة بين القبائل الجزائرية، يجعلونهم يدمرون أنفسهم بأنفسهم وكانت القبائل المجاورة للمدن حليفة لقوات الإحتلال الفرنسي، اعتمد النظام العثماني على قادة ومحاربين من المدن وضواحيها ونشأت علاقات عداوة بين قبائل المخزن والقبائل الداخلية² وتمت دراسة المجتمع الجزائري وعملت لإخضاعه بجميع الطرق والوسائل للقضاء على المقاومة الجزائرية، وقد تفطنت لخدمات قبائل المخزن في العهد العثماني واسهاماتها في الإبقاء على النفوذ العثماني بالجزائر لذا اعتمدت على هؤلاء الفرسان لمساعدتها وتثبيت نفوذها بالبلاد نظرا لمعرفتهم للبلاد، وامتيازاتهم التي كانوا يحظون بها خلال العهد العثماني لذا أرادت استمالتهم لتحقيق غايتها الإستعمارية، واعتمدت في إدارتها الشعب الجزائري نفس النظام الذي اعتمده الأمير عبد القادر في تسيير شؤون الدولة الجزائرية بتعين الخلفاء والآغاوات والقياد والشيوخ، كل مقاطعة كانت تسيير من قبل مقدم فرنسي وكل مقاطعة مقسمة لقسمات وكل قسمة الى خلافات وأغاليك وقيادات كانت تلك القيادات تعمل بالتنسيق مع المكاتب العربية، كان لكل مكتب عربي مركزا اداري فرنسي به ضباط معينون على رأس المكاتب العربية يتقنون اللغة العربية ويعرفون عادات وتقاليد الشعب الجزائري، الذين سوف يحكمون وفق التسيير الإداري الفرنسي من خلال حكم هؤلاء الضباط الفرنسيون، الذين كان عليهم التصرف بحذر مع

¹ - الكسي دوطوكفيل، المصدر السابق، ص. 123-124.

² - E. Cavignac, *La régence d'Alger note sur l'occupation*, op.cit., p. 56.

القضايا التي يواجهونها، والإهتمام بالعدالة التي لها مكانة خاصة عند الجزائريين فهم أساس التواجد الفرنسي بالجزائر، ومن أهم الشروط التي يجب أن تتوفر فيهم معرفتهم للغة العربية¹.

سعت الإدارة الفرنسية بالجزائر إلى ضرورة مشاركة الجزائريين في خدمة المصالح الفرنسية وخاصة الشخصيات ذات النفوذ مثل الأشراف لكسبهم الى الصف الفرنسي ومراقبة هؤلاء القادة المعنيين، وجعلهم يمارسون نشاطاتهم في حدود معينة ولمدة محدودة واتبعت بمنطقة الغرب الجزائري عدة سياسات متباينة نظرا لمقتل العديد من الآغاوات والقياد والخلفاء الذين قاموا بخدمة المصلحة الفرنسية على حساب المقاومة الشعبية الوطنية بينما كانت ادارة مقاطعة قسنطينة أسهل من ادارة مقاطعة وهران لتواجد عدة تشكيلات اجتماعية²

المقاومة بمنطقة الغرب الجزائري كانت أكثر تنظيما ورفضاً للاحتلال الفرنسي، لذا حاولت قوات الاحتلال الفرنسي القضاء على المقاومة الشعبية الوطنية بالمنطقة والتخلص من الجيش الوطني الشعبي بقيادة الأمير عبد القادر الذي كان يشكل خطراً على توسعاتهم، بينما سكان منطقة الشرق الجزائري بالرغم من عدم توغل قوات الاحتلال الفرنسي بأقليمها عكس ما كانت تشهده منطقة الغرب الجزائري التي تركز بها أكبر عدد من قوات الاحتلال الفرنسي الا ان سكانها قاوموا هذه القوات الفرنسية المنتهكة والمغتصبة للأراضي الجزائرية والمرتكبة لأبشع الابادات في حق الشعب الجزائري، بينما بقي سكان منطقة الشرق الجزائري لنقص وعيهم الوطني وعدم شعورهم بالمسؤولية أمام ما تقترفه القوات الفرنسية المحتلة ضد اخوانهم في الدين وأبناء وطنهم حتى سنة 1836م بأي مواجهات لمساعدة الجيش الوطني الشعبي وما يتكبده من خسائر وتضحيات في سبيل هذا الوطن وقد نادى الأمير عبد القادر بالحس الوطني لمقاومة قوات الاحتلال الفرنسي لادراكه للمهمة والمسؤولية الموكلة اليه لحماية الشعب الجزائري وتوطيد البلاد ومقاومة الاحتلال الفرنسي، وحسب ما صرح به دوطوكفيل³ يبين الفرق بين المقاومة الشعبية الوطنية بالغرب الجزائري والمقاومة بالشرق الجزائري منطقة الغرب الجزائري أشد مقاومة وإيمانا بالمقاومة وأخطر المعارك شهدتها هذه المنطقة لأنها رفضت الاحتلال الفرنسي، حيث وصل عدد الجيش الفرنسي الى 106 آلاف جندي لمواجهة قوات الجيش الوطني الشعبي المتكونة من 800 فارس بقيادة الأمير عبد القادر والتي تريد المواجهة والدفاع عن النفس والأرض والدين الاسلامي كما فضلت هذه

¹ - J. Poujoulat, *Études Africaines*, Paris, 1847, t. 2, p. 139 -140.

² - *Ibid.*, id., p. 141 -143.

³ - الكسي دو طوكفيل، المصدر السابق، ص. 115.

القوات الشعبية الوطنية الموت في سبيل الوطن على الحياة في ظل الاحتلال الفرنسي الذي حول المساجد الإسلامية الى كنائس مسيحية، فروح المقاومة التي غرسها الأمير عبدالقادر في أبناء الشعب الجزائري بإمكانات ضئيلة وجيش من المتطوعين أقل تنظيمًا وتدريبًا وتجهيزًا بمؤونة قليلة وذخيرة غير مضمونة لمواجهة قوات فرنسية أكثر انضباطًا وتدريبًا من خريجي المدارس العسكرية الفرنسية، مثل سان سير وعتاد حربي أكثر فاعلية وذخيرة مضمونة وموّن متوفرة أثرت هذه القوات الشعبية الوطنية مواصلة الحرب والمقاومة بمجهودات كبيرة ترفض السيطرة والاستعباد وتفضل الحرية للأرض الجزائرية

- **التنظيم الإداري الفرنسي :** قام الجنرال بيجو بدراسة النظام المتبع من طرف الأمير عبدالقادر وعمل على تطبيقه للقضاء على مقومات الشعب الجزائري والإستيلاء على البلاد لذا قامت الإدارة الفرنسية بتجزئة المناطق الخاضعة لها ووضعها تحت تصرف الخليفة بحيث لاتحدد مهامه

- **الضابط المكلف بالشؤون الجزائرية :** عين بجميع الأقاليم ضابط فرنسي مكلف بتسيير الشؤون الجزائرية يمثل القائد الأعلى، دوره في الإطلاع على الحوادث ودراسة الدفاتر والمراسلات ويقوم بزيارة القبائل والدواوير، وكان فريقًا منهم يقوم بأعمال الترجمة وفهم أفكار الشعب الجزائري والمساهمة بالضرائب وتسجيل دافعيها بدفاتر والمساهمة بالضرائب من قبل الشعب الجزائري والإهتمام للبحث عن أملاك الباليك وكسب بعض القادة الجزائريين لخدمة المصالح الفرنسية والإستعلاء حول العائلات الجزائرية والرجال العسكريين¹ وكانت السياسة الفرنسية بالجزائر من خلال تنظيمها لهذه المكاتب العربية تهدف إلى العمل على إخضاع الشعب الجزائري والتفرقة بين فئات المجتمع بعد دراسة بنيتهم الاجتماعية وتشكيلاتهم القبلية ومواطن الضعف ومكامن القوة في المجتمع الجزائري واستغلالها لضرب وحدة الشعب الجزائري التي كان يسعى الأمير عبدالقادر لتحقيقها، واستغلال الأحقاد القبلية وتفكيك المجتمع وتشتيت قواته من أجل القضاء على المقاومة الشعبية الوطنية وحسب تصريحات دوطوكفيل: " .. يجب العمل على تفكيك وحدة الشعب الجزائري بعدم تعريض القوات الفرنسية لخطر وحدة الشعب الجزائري ضد هذه القوات الغازية... " ²

¹ - T.-R.Bugeaud, Exposé de l'état actuel de la société arabe du gouvernement et de législation qui la régit, op.cit., p. 71 - 78.

² - الكسي دوطوكفيل، المصدر السابق ، ص. 25 - 27.

نجاح وحدة الشعب الجزائري بالنسبة لقوات الاحتلال الفرنسي معناه القضاء على تواجدهم لذا عمل الأمير عبدالقادر على مواجهته لقوات الاحتلال الفرنسي على ارساء فكرة توحيد الصف الوطني ضد قوات الاحتلال الفرنسي المغتصبة للأراضي الجزائرية والمنتهكة لحرماته ومساجده وتعاليمه الاسلامية والثقافية وتفتن للمساعي الفرنسية واصرارها على البقاء بالجزائر من جراء تزايد القوات الفرنسية والنفقات المبدولة والابادات المرتكبة ضد شعب أعزل، لذا سعى لافشال هذه المشاريع الفرنسية التي كانت تريد ابادته والاستيلاء على أراضيه واستغلالها خدمة للمصلحة الفرنسية وتطويرا لاقتصادها

نظرا لصعوبة الأوضاع التي شهدتها قوات الاحتلال الفرنسي بالجزائر ومحدودية التوسع الفرنسي اتخذت سياسة تعتمد على الخبرة العسكرية لإخضاع الشعب الجزائري¹.
لم تشكل مقاطعة قسنطينة عائقا لقوات الاحتلال الفرنسي بالرغم من عدم السيطرة عليها كلية لأنها كانت أقل تنظيما ومقاومة للجيش الفرنسي ، حيث قامت بعض القبائل المتحالفة مع قوات الاحتلال الفرنسي بجباية الضرائب خدمة لمصالح فرنسا بالمنطقة، التي ارتفعت نسبتها ما بين سنتي 1841م الى 1843م حسب الجنرال بيجو فالوضع بالمنطقة كان أقل صعوبة مما هو عليه بمناطق أخرى من التراب الجزائري²، أما فيما يخص مقاطعة وهران فالسياسة الفرنسية اتجاه الشعب الجزائري كانت فاشلة عكس ما كانت عليه بمقاطعتي الجزائر وقسنطينة، حيث قامت بهذه المقاطعة قوات الجيش الوطني الشعبي بقيادة الأمير عبدالقادر بمواجهة التوسع الفرنسي وكان يتوجب على الإدارة الفرنسية لفرض وجودها ونفوذها بالجزائر أن تولي اهتمامها ومضاعفة جهودها وقواها للقضاء على المقاومة الشعبية الوطنية وتحطيم مقوماتها³. وحسب دوطوكفيل: اذا تم القضاء على عبد القادر فان ذلك لن يتم أبدا الا بمساعدة بعض القبائل الخاضعة له، ستتحل شبكة سيطرته بدل أن تتحطم ولإحداث الإنشقاق بين العرب علينا استمالة القادة المهمين بوعود أو بهبات سخية ودفع القبائل لليأس من الحرب⁴.

الأمير عبدالقادر بالنسبة للسلطات الفرنسية مشكل عويص يصعب قهره من خلال تحركاته ومعاركه المتواصلة، وطول أمد المقاومة الشعبية الوطنية رغم قلة مصادر تموين قوات الجيش

¹ - R. Germain, *La politique indigène de Bugeaud*, op.cit., t. 2, p. 4.

² - Ibid., id., p. 9.

³ - R. Germain, *La politique indigène de Bugeaud*, op.cit., t. 2, p. 13.

⁴ - الكسي دوطوكفيل، المصدر السابق ، ص. 44.

الشعبي الوطني وقلة تعداد جيشها وعدتها الا أنها كانت تشكل خطرا كبيرا أمام قوات الاحتلال الفرنسي المهيأة والمجهزة تجهيزا محكما، وبعناد حربي أكثر فعالية لكن الأمير وجيشه قاوموا المحتلين وبددوا قواهم وسببوا لهم خسائر مادية ومعنوية وظلوا عائقا طيلة 15 سنة من المقاومة في وجه الدولة الفرنسية وحكوماتها وأعداء بالنسبة للجنرالات الذين واجهوهم في المعارك .

وحسب ما صرح به الجنرال بيجو : " ان كل همومي هو أن يخضع الأهالي لسلطتنا هكذا نستطيع انهاء الحرب"¹، وقام وزير الحربية الماريشال سولت لتسطير برنامج يقضي باخضاع سكان الجزائر للإدارة الفرنسية يضمن تجنيد شباب جزائريين في الخدمة العسكرية ، وتنظيم العائلات والأسر الجزائرية بالمدن المحتلة وتسليم الرهائن من قبل القبائل وكانت أهداف الجنرال بيجو اخضاع القبائل بصفة نهائية يقول بيجو : " تحاورت مع سيدي قدور آغا بني مناصر وأوضحت له أنني لأريد نصف خضوع، أريد إما أصدقاء أو أعداء معنا أوضدنا " ² كان هدف السياسة الفرنسية في إخضاع السكان الجزائريين كسب عدائهم لمحاربة قوات الجيش الشعبي الوطني الى جانب قوات الاحتلال الفرنسي لتحطيم وحدة الشعب الجزائري وإرغامهم على عدم تلبية فرض الجهاد ضد قوات الاحتلال الفرنسي المغتصبة للأراضي الجزائرية، حيث أجبر الجنرال بيجو الجزائريين على تزويده بالمؤن وتحطيم المقاومة الشعبية والقضاء عليها وكسب القبائل للصف الفرنسي تعمل على محاربة قوات الجيش الوطني الشعبي دون ابقاء هذه القبائل على حياد والعمل على ازالتها ومحاربتها هدفه هو تحطيم البنية الاجتماعية لكي لاتتحد لتلبية فرض الجهاد والمقاومة ضد القوات الفرنسية الغازية والمستهدفة للأراضي الجزائرية، المنتهكة لجميع حقوق الشعب الجزائري دون مراعاة لأدنى القيم الإنسانية أو الأخلاقية، لقد بقيت بعض القبائل الجزائرية مشبثة بالمقاومة الجزائرية ضد قوات الاحتلال الفرنسي.

أجبر الجنرال بيجو القبائل الجزائرية على تزويد قوات الاحتلال الفرنسي بجميع الموارد من مواد غذائية ، كما فرض عليهم ضرائب اذا يقول بيجو: " لا يكون لخضوع الأهالي أي معنى ان لم يدفعوا الضرائب "³، كما اعتمدت الإدارة الفرنسية على رؤساء قبائل يعملون على اخضاع قبائل أخرى تساند المقاومة الشعبية الوطنية خدمة للمصالح الفرنسية وتعمل على مراقبتهم ⁴

¹ - R. Germain, *La politique indigène de Bugeaud*, op.cit., t. 2, p. 16.

² - Ibid., id., t. 2, p. 19-20.

³ - R. Germain, *La politique indigène de Bugeaud*, op.cit., t. 2, p. 23.

⁴ - Ibid., id., p. 26.

يقول لامورسيير: "كل قبيلة تخضع لنا هي قبيلة لم تعد قادرة على مواصلة الحرب لكنها سوف تعود اليها ماإن رأت منا فرصة ضعف"¹ لاقت عملية إخضاع القبائل الجزائرية لخدمة المصالح الفرنسية وفرض الهيمنة الفرنسية عدة صعوبات وعقبات وقفت في وجه قوات الاحتلال الفرنسي ونظرا للصعوبات التي واجهتها هذه القوات في إخضاعهم وبسط سلطتها عليهم بالرغم من عمليات الإبادة وسياسة الأرض المحروقة والمجازر المتخذة ضد الشعب الجزائري الا ان بعض القبائل الجزائرية ظلت مقتنعة ومصرة على مقاومة الاحتلال الفرنسي وفهمت مشاريعه ومخططاته الإستعمارية ومعاملاته للشعب الجزائري الرفض لتواجده ونفوذ

اتخذت السياسة الفرنسية تسهيلات لعملية التوسع وفرض سيطرتها والعمل على جباية الضرائب لتفجير الشعب وارغامه على الخضوع حتى لا يقوم بمساندة قوات الجيش الشعبي الوطني ومراقبة تحركاتهم والعمل على محاصرتهم والقضاء على موارد تموينه وتم انشاء عدة مراكز عسكرية بها حاميات في كل من تلمسان، معسكر، المدية، مليانة، سطيف، قسنطينة، قالمة وجنوب هذا الخط سبدو، سعيدة، تيارت، ثنية الحد، بوغار، باتنة وذلك من أجل السيطرة على قبائل ماوراء التل، منذ سنتي 1841م - 1843م اتخذت السلطات الفرنسية جميع الوسائل لإخضاع الجزائريين والقضاء على المقاومة الشعبية الجزائرية بتسليط العقوبات وفرض الغرامات وتهجير الشعب من أراضيهم وباداتهم، وانتهاك حرمة حيث يرى الجنرال بيجو عمليات الإبادة المتمثلة في نهب الممتلكات والمحاصيل الزراعية والمواشي، وليس احراق المحاصيل فحسب بل حتى البيوت مع اختطاف النساء وهو السبيل الوحيد لإخضاع القبائل وهل هناك سياسة أخرى ستفي بهذا الغرض ؟ ولقد بين الجنرال بيجو أن قصف المدن بالقنابل وتعريض الناس للجوع بحرق محاصيلهم التي كانت تشكل مصدر رزقهم الوحيد كان عملا انسانيا وكان يرى وزير الحربية أن هذه السياسة الحربية المتبعة ضرورة لامفر منها.² ان 17 حملة عسكرية منذ سنة 1841م - 1847م لاختضاع الجزائريين من خلال هذه الحملات العسكرية الفرنسية بين أن سياسة الحرب أكثر مناسبة³.

عانى الشعب الجزائري في دفاعه من أجل الوطن الجزائري من الإضطهاد من قبل قوات الاحتلال الفرنسي التي سعت إلى سحق المقاومة الجزائرية واستئصال أي مبادرة للمطالبة بالحرية وعدم قبول الآخر وفكرة رفض الأجنبي التي رسخها الأمير عبد القادر في فكر الشعب الجزائري

¹ - Ibid., id., p. 33.

² - R. Germain, *La politique indigène de Bugeaud*, op.cit., t. 2, p. 35 -37.

³ - Ibid., id., p. 39.

بعدم قبوله للمستعمر الفرنسي المغتصب لأراضيه والعابث بمقدساته ومقوماته الثقافية وهويته العربية الإسلامية، لذا فضل الجهاد ومقاومة قوات الإحتلال الفرنسي وجرائمها ضد الشعب الرافض للعبث بحرياته ، بتضحيات ومجهودات كبيرة في مواجهة جيش فرنسي فاقت الألف جندي وتحدث استراتيجية حربية عالية بفرسان ومشاة متطوعين بقيادة الأمير عبدالقادر بعتاد حربي وتجهيزات غير مكتملة، لكن بمعنويات مرتفعة وإيمان قوي استطاعوا الصمود مدة 15 سنة كلها معارك ومشادات حربية مع نقص في المؤونة والذخيرة، والرجال الذين يتم تجنيدهم والخيول والأسلحة والسروج كل هذه الأعباء تحملها الأمير عبدالقادر وخلفاؤه، الى جانب عمليات الإبادة والمحارق وسياسة الأرض المحروقة التي تحملها الشعب الجزائري، فهل تستطيع قوات الإحتلال الفرنسي اتخاذ طريقة أقل فضاغة من هذه الطرق لتتمكن من قوات الجيش الوطني الشعبي بقيادة الأمير عبد القادر ؟

يصرح دوطوكفيل: "الخوف كل الخوف من أن يكون عبدالقادر بصدد انشاء سلطة مركزية لدى العرب المحيطين بنا سلطة خفيفة الحركة أكثر تجربة وانتظاما من كل تلك التي توالى على هذه النقطة من العالم على مر العصور ينبغي ان حمل النفس على عدم تركه يكمل هذا العمل المخيف"¹ تفتنت السلطات الفرنسية لمشروع الأمير عبدالقادر الذي كان يسعى به إلى توحيد الشعب الجزائري لمقاومة قوات الإحتلال الفرنسي والعمل على اجهاض هذا المشروع الخطير بالنسبة لهم، حيث استطاع مجابهتهم بثلاث قبائل من منطقة الغرب الجزائري خلال تكوينه لدولة جزائرية بامكانيات ضئيلة، لم تكن له الوسائل اللازمة لإنشاء هذه الدولة الفتية لأنه مع مرور الوقت استطاع تكوينها ومجابهة القوات الفرنسية لمدة 15 سنة.

استفادت أقاليم الجزائر الثلاث من هيئة القضايا العربية ومكاتب من الدرجة الأولى والثانية بالقسمات والدوائر باقليم قسنطينة أنشئت مكاتب في كل من القالة ،عنابة، قالمة، سكيكدة، سطيف، باتنة أما اقليم الجزائر، دلس، سورالغزلان، البليدة، المدية، مليانة، شرشال، تنس، شلف، بوغار، ثنية الحد، وباقليم وهران، مستغانم، معسكر، تيارت، سعيدة، سيدي بلعباس، تلمسان، مغنية خلال فترة حكم الجنرال بيجو تعمل هذه المكاتب العربية بالتنسيق مع المكتب المركزي بالإقليم والمكتب المركزي بالجزائر الذي تكون سلطته بيد الحاكم العام، بكل مكتب من مكاتب الإقليم رئيس

¹ - الكسي دوطوكفيل، المصدر السابق، ص. 241.

وضابط مساعد، ضابط صحة ، ضابط محاسب يدفع أجور المخزن ويوجد مترجمان وكاتب وقاضي أوقاضيان وسكرتير من العرب، ووكيل الضياف ومجموعة شواش .

- **المكتب المركزي :** فيه سكرتير الى جانب سكرتير العرب يهتم بالأرشفة والمكاتب الفرعية في الدوائر بها ضابط مهتم بالقضايا العربية و كاتب مترجم وشاوش تمنح لهم منح بسيطة باستثناء المكتب المركزي¹، ومن أهم ضباط المكاتب العربية الذين برزوا في مهامهم النقيب شارا "Charras"، في مكتب معسكر والقائد بوسكي "Bousqué" رئيس مكتب مستغانم والنقيب لاباسي "Lapasset" في مكتب تنس، لقد كانت مهمة ضباط المكاتب العربية جمع المعلومات حول القبائل الخاضعة لقوات الاحتلال الفرنسي سيتعلمون عن عادات القبائل وطريقة عيشهم وأسواقهم ومبادلاتهم التجارية وحدودهم الجغرافية والوساطة بين القبائل وزعمائهم والقيادة العسكرية الفرنسية ويحرصون على تسديد أجور المخزن الذين يخدمون المصالح الفرنسية ويفصلون في المنازعات بين الفرنسيين والسكان المحليين كما يراجعون أحكام القائد والآغا والخليفة ويسهرون على الجباية وتسجيل الغرامات منذ 1845م ومؤن الحرب².

استعمل الجنرال بيجو عدة طرق من أجل القضاء على الدولة الجزائرية وإخضاع القبائل للوقوف ضد المقاومة الشعبية الوطنية باستمالة بعض زعماء القبائل وتخصيص لهم مبالغ مالية مرتفعة³ وحسب الماريشال سولت القضاء عليها لا يتم إلا بالقضاء على الأمير عبدالقادر شخصيا وزرع الهوة بينه وبين خلفائه هذه التفرقة وإن لم تدمره كلية فإنها سوف تحطمه مع مرور الوقت وتفكيك وحدته وإنشاء حكم فرنسي واتفق الجنرال بيجو ووزير الحرب على هاتين النقطتين وحسب تصريحاته: "إن أصل الداء كله هو عبدالقادر إن قتله أو القضاء عليه يعني إزالة الداء "

ويقول بيجو 1841م : " لولم نحظ به شخصيا لعانينا طويلا في حربنا ضده انه رجل مميز لقد استخدم ما تبقى من قوته بحزم، تماما كما فعل نابوليون في حملته الفرنسية ويجب أن نتوقع

¹ - R. Germain, *La politique indigène de Bugeaud*, op.cit., t. 2, p. 260 -261.

² - Ibid., id., p. 263 -265.

³ - Ibid., id., p. 42.

مبادرات عديدة من جهته قبل أن يموت في معركة أو غيرها، عبد القادر رغم آلامه الكبيرة لم يتخل عن مسعاه"، يعتبر الأمير عبد القادر بالنسبة للسلطات الفرنسية بالجزائر محرك المقاومة الجزائرية لذا كانت تسعى للقضاء عليه، وكانت مشاريعه تهدد نجاح المشروع الاستعماري الفرنسي والنفقات والجهود الفرنسية المبذولة من أجل الاحتفاظ بالجزائر

يؤكد الجنرال بيجو من خلال تصريحاته مدى خطورة المقاومة الشعبية الجزائرية بقيادة الأمير عبد القادر ومشروعه المتمثل في تشييد دولة جزائرية حديثة تعمل على طرد قوات الاحتلال الفرنسي من الأراضي الجزائرية ويصرح قائلاً : " نحن نخطئ عندما نعتقد أننا في مواجهة قائد واحد رفقة 700 أو 800 من فرسانه ولكننا في مواجهة دولة بأكملها إن قوة الأمير تكمن في تأثيره على الجزائريين، لم تقدر على مقاومته قبيلة واحدة إنه أمير حكيم ويحاول الحفاظ على امارته"¹، كما إتخذ الجنرال بيجو سياسة تقضي على الأمير عبد القادر وهي تخصيص مبالغ مالية للقبض عليه حياً أو ميتاً، وبما أن أي إتفاق معه بدا مستحيلاً لم يبق إلا محاربته للقبض عليه أونفيه من البلاد .

لقد كلف الجنرال بيجو سنة 1841م ليون روش² بالحصول على فتوى من علماء المسلمين تدين الجهاد الذي يقوده الأمير عبد القادر ذكرت هذه الفتوى سنة 1842م بعدما أقرها علماء الزوايا، القيروان، القاهرة، ومكة وبعد نشرها شكلت هذه الفتوى خطوة هامة نحو السلم في الجزائر³، كانت للحرب النفسية أثارتمثلت في عرقلة مواصلة المقاومة الوطنية ضد قوات الاحتلال الفرنسي لذا استخدمت السلطات الفرنسية جميع الطرق للقضاء عليها، وتبين الفتوى نقص وعي العلماء المسلمين ومصادقتهم على نص الفتوى التي تحرم الجهاد على الجزائريين الذين انتهكت حرمانهم واستبدلت مساجدهم بكنائس مسيحية وأبيد شعبهم فهل يحق للشعب الجزائري الاستكانة لقوات الاحتلال الفرنسي في ظل هذه الأعمال التعسفية؟

بعدما لجأت قوات الجيش الشعبي الوطني إلى المغرب سنة 1843م عرض الجنرال بيجو على الأمير عبد القادر أن يجعل بقية حياته لامة ومشرفة إن هو طلب العفو من فرنسا ولم ير أي مانع من إجراء ليون روش "L- Roche" مفاوضات سرية معه وكتب روش للأمير عبد القادر قائلاً : " لقد

¹ - R. Germain, *La politique indigène de Bugeaud*, op.cit., t. 2, p. 47-49.

² - ليون روش: ولد في قرونبل في 1810، كان مترجماً في 1835 رافق الجنرال كلوزل في حملته على المديّة ، صار إلى صف الأمير بعد معاهدة تافنة أرسله الجنرال بيجو إلى القيروان ليأتي بفتوى تحريم الجهاد ، وشارك في 1845 بلجنة مناقشة الحدود المغربية، توفي سنة 1901 أنظر :

E. Daumas, *Correspondances du capitaine Daumas consul à Mascara, 1837-1839*, op.cit., p. 52.

³ - R. Germain, *La politique indigène de Bugeaud*, op.cit., t. 2, p. 53.

قلت لي بأنك تستقبل أي إقتراح على أن لايعارض الدين أعلم جيدا أنك تفكر في السلم، لقد أراد بيجو أن يجعلك تعيش حياة شريفة وإقتراح عليك الذهاب إلى مكة هناك يمكنك العيش مع عائلتك ومئة ممن تختارهم أما رجالك الذين لايتبعونك فعليهم الأمان وستقبض كل سنة مبلغا ماليا تقضي به حاجاتك " كان رد الأمير عبد القادر الى ليون روش قائلاً "إن إقتراحاتكم بعيدة عن المعقول كيف تريدونني أن أذهب إلى منفى أستطع الذهاب إليه بقواتي"¹

رفض الأمير عبدالقادر سنة 1844م التفاوض وقبول مقترحات الجنرال بيجو عن طريق ليون روش، لأن وضعيته كانت تسمح له بالذهاب إلى بلاد المشرق عن طريق الصحراء التي لم تكن تحت الحكم الفرنسي² ولم يكن يرغب في التخلي عن الجزائر لأن مهمته أصبحت أكثر تعقيدا مما كانت عليه بعد تحطيم العاصمة المتنقلة الزمالة ولجوء قوات الجيش الشعبي الوطني الى المغرب، كانت السلطات الفرنسية بعد القضاء على معظم مناطق نفوذه بالجزائر تحاول استمالاته للتخلص منه وحتى لا يتمكن من جمع قواه وتجديد المقاومة بأكثر حدة وصلابة على ما كانت عليه لذا لجأت للطرق الدبلوماسية التفاوضية والاعرائية رغم علمها أن الامير عبدالقادر في مركز ضعف بعد استنزاف قواته وقدراته الحربية، ولكنه رفض هذه الاعراءات الفرنسية لأنه كان يدرك أن المعركة لم تنته رغم المآسي والمعاناة الا أن تلك القوات الوطنية ظلت وفية للقضية الوطنية .

¹ - Ibid., id., p. 58.

² - L. Roche, *Trente deux ans à travers l'Islam 1832-1864*, éd. Didot, Paris, 1887, t. 2, p. 380-381.

- التفاوض الفرنسي لاغراء خلفاء الأمير عبدالقادر للتخلي عن المقاومة الوطنية:

لم تكن نية الجنرال بيجو إجراء الحوار بمقاطعة وهران بل الحرب والعمل للقضاء على العاصمة تاقدمت والإستقرار بمدينة معسكر، أما فيما يخص إقليم الجزائر والتيطري كان الأمر مختلفا رغم أن قبائل المنطقة أظهرت مقاومة، وفي أوائل سنة 1841م صعب على جيش الاحتلال الفرنسي مطاردة قوات الجيش الشعبي الوطني نظرا لصعوبة الجبال المحيطة بالمتيجة، كان هناك 3 خلفاء أقوياء يشكلون خطرا عليهم وهم خليفة مليانة بن علال وخليفة المدية البركاني وخليفة سباو بن سالم¹، لذا كاتبت السلطات الفرنسية سيدي مبارك عن طريق المقدم لامورسيير والمقدم بليسي كان الجنرال بيجو يرجو فقط حياد الخلفاء لأن ظروف الحرب لاتسمح بإملاء مثل هذه الشروط المقترحة من وزير الحرب سولت والتي تنوي السلطات الفرنسية تحقيقها في تحالفها مع زعماء القبائل يقول الوزير : " تعترف لهم السلطات الفرنسية بأحقيتهم في أراضي محددة ويمكنهم الحصول على هبات ومنحات سنوية ونشترط عليهم الخدمة العسكرية والجزية القانونية ،وأن تعيش عائلاتهم في مدينة محمية ويتم تسليم الرهائن " في أواخر فيفري 1842م من العروض التي عرضها الجنرال بيجو على الخليفة بن علال وهو أكثر أعوان الأمير عبدالقادر مبلغ مالي قدره 500,000 فرنك وإعادة أملاكه الواسعة ومعاشا قدره 50,000 فرنك سنويا على شرط تسليم نفسه لفرنسا والإقامة بمدينة الجزائر أو القليعة، وصل جواب بن علال في 12 مارس 1842م : " ليكن في علمك أنني أحكم وأقاتل وأعفو ضمن منطقة تمتد من جبل الدخلة إلى وادي الفضة وماذا أراك

¹ - R. Germain, *La politique indigène de Bugeaud, op.cit.*, t. 2, p. 79.

تعرض علي مقابل الحكم الذي أمارسه لإعلاء كلمة الله وفي خدمة سيدي الأمير عبدالقادر ؟ أراك تعرض علي أملاكي تلك التي سوف أستعيدها بالبارود، مثلما فقدتها بالبارود وتعرض علي المال والخيانة¹، حاول الجنرال بيجو استمالة واغراء خلفاء الدولة الجزائرية للتخلي عن المقاومة الوطنية والالتحاق بالصف الفرنسي مقابل مبالغ مالية وأراضي تمنحها لهم السلطات الفرنسية خدمة للمصالح الفرنسية وحتى يتسنى للقوات الفرنسية الذهاب بأكبر عدد من قواتها الى منطقة الغرب الجزائري للقضاء على المقاومة الشعبية الوطنية بقيادة الأمير عبدالقادر، ولم تحاول فتح مجالات للتفاوض مع خلفاء الجهة الغربية لأنها كانت تعرف نواياهم مسبقا لذا حاولت غلق جبهة من جبهات الحرب للاستفادة من هذه القوات الفرنسية بالجهة الغربية لأن الجهة الشرقية لم تسبب لقوات الاحتلال الفرنسي أي قلق، أرادت التخلص من الجبهة الوسطى حتى تتمكن من القضاء على المقاومة الجزائرية بالجهة الغربية التي كانت أكثر شدة واصرارا على مقاومة قوات الاحتلال الفرنسي وطردها من الأرض الجزائرية.

¹ - E.Daumas, *La grande Kabylie, étude historique*, éd. Hachette, Paris, 1847, p. 219.

الفصل الرابع

الأساليب الاستعمارية الفرنسية لاستئصال مقاومة الشعب الجزائري
وابادة هويتهم الوطنية

1- سياسة الأرض المحروقة وعمليات الإبادة والاختضاع :

أ - سياسة الأرض المحروقة: بعدما اشتد الصراع بين قوات الجيش الوطني الشعبي بقيادة الأمير عبدالقادر وقوات الاحتلال الفرنسي اتخذت السلطات الفرنسية اجراءات جديدة لمجابهة المقاومة الشعبية الوطنية والقضاء عليها وعلى مصادر تموينها باستعمال سياسة الأرض المحروقة لانهاك الاقتصاد الوطني وتفقير الشعب والعمل على تجويعه وابعاده عن المساهمة في المقاومة الشعبية الوطنية فقد قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال بوايي يوم 05 ماي 1831م بحرق أكواخ رأس العين بوهران¹ بينما قامت القوات التي كانت بقيادة الجنرال ديميشال بالاعتداء على قبيلة الزمالة بالقرب من طفراوي، كانت تامة ورهيبية عاد الجنود يدفعون أمامهم النساء والأطفال والأغنام عندما قام الأهالي بالدفاع عن أعراضهم² خرجت حامية عسكرية مكونة من 3000 جندي بقيادة المقدم لامورسيير من مدينة الجزائر يوم 04 جانفي 1835م مروراً بالدويرة وبوفاريك وصلت الى الشفة ثم عبرت السهول الى غاية بورومي ثم الى مستنقع حلولة حدود

¹ - I. Derrien, *Les Français à Oran depuis 1830 jusqu'à nos jours*, op.cit., p. 33.

² - Ibid., id., p. 52.

المتيجة، رحنا نحرق كل هذه الدواوير دون رحمة ولا شفقة ونقتل الرجال الذين نلتقي بهم ثم نعود الى الجزائر فرحين بما قمنا به نصدر بيانا يرفع شأننا من هذه العملية الرهيبة"¹.

في 7 أفريل 1836م قام الجنرال دارلانج رفقة 2400 جندي فرنسي في حملاته بمنطقة واد حيمر قرب سهل ملاتة وصولا الى زناتة ثم الى قبائل بني عامر استطاع جيش الاحتلال الفرنسي اخضاعهم ونهب مطامرهم وبعد 5 أيام من الحملة، انسحبوا من واد حيمر تخوفا من قوات الجيش الشعبي الوطني بقيادة الأمير عبد القادر²

شهر جويلية 1836م قام الجنرال ليتان في حملاته عابرا قبائل تليلات ثم جنان المسكين وصولا الى جرف الحمار، قامت قوات الاحتلال الفرنسي باخلاء مطامير بني عامر في مقدرة لتصل بعدها هذه القوات الفرنسية الى مقره عبر ثنية أولاد علي³، حيث قامت بتخويف جميع المناطق التي مرت بها بأعمالها التعسفية ضد الشعب الجزائري⁴، وفي 2 أكتوبر 1836م قام الجنرال ليتان على رأس جيش قوامه 6 آلاف جندي و500 فارس من قبائل الدواوير والزمالة رفقة مصطفى بن اسماعيل فاتجعت القوات شرق سهل سيق عبر أضرحة مسرة التابعة لقبائل مجاهر، قام بافراغ مطامرهم التي كانت تمتلكها أولاد سيدي عبدالله ومن مسرة اتجه نحو مدار واصل عملياته المتمثلة في افراغ المطامير⁵.

يصرح الجنرال بيجو حول سياسة الأرض المحروقة :

«ان عبور الجبال ومحاربة سكانها والقضاء عليهم أمرا ضروري لذا يجب تدمير مصالحهم ففي كل قبيلة ضروري تحطيم القرى، وقطع الأشجار المثمرة، وحرق وقلع المحاصيل الزراعية، وافراغ المخازن، وتفتيش الأودية والصخور والكهوف من أجل اختطاف النساء والأطفال والشيوخ والمواشي والأثاث المنقول، انها الطريقة الوحيدة لاستسلامهم لنا»⁶ أراد الجنرال بيجو ترويع السكان وتفقيرهم والاستيلاء على المحاصيل وتدميرها ونهب الأنعام والمواشي والأملأك واذا قاومه السكان يقوم ببادتهم دون رحمة هذا الأسلوب طبقوه حيثما حلوا، هذا هو أسلوب الحرب والتي يبررها

¹ - E. Kaller, *Le général De La Moricière sa vie militaire, politique et religieuse*, éd. Haton, Paris, 1874, t. 1, p. 112.

² - W. Estirasy, *Notice historique sur le maghzen d'Oran*, typographie de Berrier, op.cit., p. 123 -124.

³ - أ أولاد علي: قبيلة من أغاليك بني عامر انقسمت إلى ثلاث أقبليات: ولاد سيدي غالم، ولاد سيدي معشو والعزج في الغرب، ولاد سليمان، القطارنية والمهاجرة في الجنوب، الغرابية في الشرق والأراضي التابعة لفرنسا شمالا. ينظر:

E. Daumas, *Correspondances du capitaine Daumas consul à Mascara, 1837-1839*, op.cit., p. 2.

⁴ - W. Estirasy, *Notice historique sur le maghzen d'Oran*, typographie de Berrier, op.cit., p. 73 - 75.

⁵ - Ibid., id., p. 75 -76.

⁶ - A. Toqueville, *Travail sur l'Algérie 1841 de colonisation en Algérie*, éd. Complexe, Bruxelles, 1988, p. 30.

على أنها ضرورية في بلد تبتعد فيه كل الفوائد أمام المنهزم ولا توجد سوى فائدة الزراعة في هذا البلد لذا يجب أخذ قطعان المواشي ومتابعة سكان يفرون وعندما ييأسون من الحرب يسهل الانتصار عليهم.¹

كما نهبت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال بيجو 30 أوت 1836م قمح بني ورنيد²، وقام المعمرون بمنطقة سيدي موسى بضواحي البليدة في 20 نوفمبر 1839م باحتلال المنطقة والإستحواذ على منازلها وحرقت المحاصيل الزراعية وبعمليات السطو والنهب³، اتبع الجنرال بيجو تطبيق سياسة الإحتلال الشامل فقام بتنظيم قوات الاحتلال الفرنسي المتحركة والمكونة من 5000 جندي بمعداتهم الحربية يقومون خلال كل سنة من شهر جوان بالتوغل داخل البلاد غير الخاضعة للفرنسيين ويقومون بحرق محاصيلهم وتنهب أرزاقهم وبعد 3 سنوات من تطبيق هذه السياسة، بغزوات صارمة سوف تخضع القبائل طوعا للفرنسيين أوتهاجر البلاد،⁴ كل يوم تقوم فيالق من الجيش الفرنسي بقطع الحلفاء بسهل الأندلسيات بغية تقديمها كعلف للخيول مكان التبن وكان هذا تمويها فقط يقوم به الجيش الفرنسي للتعرف على العرب، وفي 26 نوفمبر 1840م قامت قوات بقيادة المقدم لامورسيير بالسير ليلا لتصل صباحا عند مقطع وادي المالح ففر السكان تاركين بهائمهم 700 ثورا و 1200 من الغنم فذبحت على الفور لصالح القوات الفرنسية⁵ لم تترك فترة الراحة للقبائل التي تدعم الأمير عبد القادر، فتوجه المقدم لامورسيير مع قواته نحو قبائل الحشم بمنطقة معسكر فأخذ يبحث عن الحبوب المخزنة في المطامير فلم يترك لها شيئا واستولى على البهائم وقتل سكان القبيلة.⁶ أراد الجنرال بيجو من خلال هذه السياسة المنتهجة إخضاع القبائل الجزائرية للسلطات الفرنسية بعد تفجيرها وضمان عدم مشاركتها ودعمها لقوات الجيش الوطني الشعبي في مقاومتها ضد قوات الاحتلال الفرنسي في 20 أوت 1840م قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة المقدم لامورسيير بنهب مطامير أولاد علي وأولاد جبارة، وأولاد خليفة ومدة ثلاثة أشهر منذ شهر أكتوبر حتى ديسمبر تم القضاء على هذه القبائل ونهب ماشيتهم وذخيرتهم ومؤونهم⁷

¹ P. Azan, *Bugeaud et l'Algérie*, éd. Maginot, Paris, 1930, p. 69, 117 -118.

² De Mintimpry, *Souvenirs d'un officier d'état major histoire de l'établissement de la domination française dans la Province d'Oran*, op.cit., p. 42-43.

³ R. Demont, *Histoire de la conquête de l'Algérie de 1830-1847*, op.cit., t. 2, p. 7.

⁴ Ibid., id., t. 2, p. 76.

⁵ I. Derrien, *Les Français à Oran depuis 1830 jusqu'à nos jours*, op.cit., p. 141 -142.

⁶ Ibid., id., p. 156.

¹ وقد اعتمد المقدم لامورسيير على جلول من قبيلة الحشم كدليل يخبرهم بتحركات قوات الجيش الشعبي والوطني ومصادر تموينه ويطلعهم على مطامير القبائل حيث قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة النقيب ولسن "Walssin" بالاستيلاء على مطامير معسكر بمساعدة جلول، وتم شحن حمولات القمح عن طريق استخدام الحمير عوض الأحصنة والبغال لتحملها حيث يستطيع قيادتها عدد قليل من الجند الذي كان مهما في قيادة الحملات ضد الشعب الجزائري عوض نقل المؤونة². في 11 أكتوبر قام المقدم لامورسيير بحملة ضد بني عامر تم نهب مطاميرهم لتموين الحامية الفرنسية بوهرا³ توجهت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة المقدم لامورسيير في 8 نوفمبر 1840م لنهب مطامير القمح بمنطقة بوشويشة على الضفة اليمنى من واد تليلات شرق مقبرة على بعد 40 كلم من وهران يوم 9 نوفمبر على الساعة السادسة مساء مرت عبر تليلات، وعلى الساعة التاسعة صباحا في 10 نوفمبر قامت فرقة الصبايحية بمساعدة القوات الفرنسية بتفريغ المطامير من الساعة التاسعة حتى الثالثة مساء تمت العملية بشحن 200 حمولة قمح و 200 حمولة شعير تم تحميلها على بغال وتم تصديرها من ميناء وهران للدول الأوروبية⁴ وفي 9 نوفمبر تم تخريب عدة قرى ونهبت عدة مطامير ومطاحن للقمح بضواحي قبيلة ريغة ونهب علف الحيوانات بناحية مليانة بقيادة "الجنرال فالي" ونظرا لهذه الأعمال التعسفية أعلنت قبيلة سومطة خضوعها طلبا للأمان من القوات الفرنسية في 18 نوفمبر 1840م.

في 7 مارس 1841م قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال بيجو بحرق وتحطيم القبائل التي وجدها في طريقه جنوب مليانة حيث رفضت قبيلة بني زقزق من وضع قوات الجيش الوطني الشعبي تحصيناتهم بالمنطقة خوفا من قوات الاحتلال الفرنسي، وبقي من هذه القبيلة 184 شخصا بعدما نهبت كميات كبيرة من غنائمهم من مواشي وعدة مختطفين من بينهم 182 امرأة وعدة قادة انضموا الى قوات الاحتلال الفرنسي طواعية⁵ كانت المساعي الفرنسية بالجزائر تفقير الشعب الجزائري وابعاده عن احتضان المقاومة الشعبية الوطنية باستعمال أساليب ترهيبية لاختضاع القبائل الجزائرية والعمل على كسب قادة القبائل الى صفها حتى تتمكن من فرض سيطرتها وبسط نفوذها

¹ - W. Estirasy, *Notice historique sur le maghzen d'Oran*, typographie de Berrier, op.cit., p. 117.

² - De Mintimpry, *Souvenirs d'un officier d'état major histoire de l'établissement de la domination française dans la Province d'Oran*, op.cit., p. 126.

³ - I. Derrien, *Les Français à Oran depuis 1830 jusqu'à nos jours*, op.cit., p. 141-142.

⁴ - J. Ladmir, *Les guerres d'Afrique*, op. cit. , p. 240.

⁵ - R. Demont, *Histoire de la conquête de l'Algérie de 1830-1847*, op.cit., t. 2, p. 82.

من خلال قادة تعينهم لخدمة مصالح الاستعمار الفرنسي وحتى تتمكن من ضمان مساعدين يوفرون لها عدم مساندة قبائلهم للمقاومة الوطنية الشعبية وتم حرق جميع المزارع ونهب المطامير والمواشي بضواحي مدينة الجزائر¹

تواصلت عمليات الحرق واستنزاف خيرات الشعب الجزائري قصد تجويعهم وابعادهم عن المساهمة في المقاومة الشعبية الوطنية، قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال فالي في⁶ ماي بحرق البيوت ونهب المواشي من قبيلة سومطة وساقوها نحو مدينة البليدة وعملت قوات الاحتلال الفرنسي على تضيق الخناق ضد قوات الجيش الشعبي الوطني بقيادة الأمير عبد القادر والعمل على تحطيم جميع القرى والمدن التي كانت تمون القوات الوطنية وتساندها في حربها ضدهم، أراد الجنرال فالي من خلال عمليات الحرق والنهب تحطيم الروح المعنوية لدى الشعب الجزائري ومنع عمليات تموين الجيش الشعبي الوطني بجميع الطرق لقتل روح المبادرة والمساهمة في الابقاء على المقاومة الشعبية الوطنية² وفي 25 ماي قام جيش الاحتلال الفرنسي بقيادة العقيد لامورسيير والدوق دونومور³. "Duc- Nemours" باخضاع عدة مدن وتخريب وحرق عدة بيوت⁴، كما تم تطبيق سياسة الأرض المحروقة بمقاطعة الجزائر وضواحيها، حيث حرقت المزارع ونهبت المطامير والمواشي هذه السياسة المنتهجة المتمثلة في سياسة التجويع والتفكير كان هدفها الزيادة من معاناة الشعب الجزائري من أجل اخضاع البلاد⁵ وانهاك روح المقاومة الشعبية الوطنية ماديا ومعنويا من خلال هذه الاجراءات المتخذة في حق الشعب الجزائري ، كما صودرت الأراضي الخصبة لقبائل الحشم بمنطقة غريس وتم نهب حقول القمح وشحنت نحو أسوار مدينة معسكر، وقتل بعض الأشخاص بقطع رؤوسهم وبعضهم سجنوا ونهبت خيولهم⁶ وما بين 10 الى 20 جوان تم تحطيم وتخريب محاصيل قبائل الحشم الزراعية بسهول غريس⁷ وفي شهر جويلية قامت قوات

¹ - Ibid., id., t. 2, p. 82 -84.

² - Ibid., id., t. 2, p. 83.

³ - الدوق دونومور: ولد في 25 أكتوبر 1814 في باريس، و أصبح جنرالاً في 11 نوفمبر 1837 ولقد شارك في حملتي قسنطينة في سنة 1836 - 1837، و في فيري 1841، شارك في العمليات في تدمير ناقمت، و في 03 جوان 1841 عاد إلى فرنسا، توفي في 26 جوان 1896، ينظر:

T. Changargnier, *Mémoire du général Changargnier*, op.cit., p. 21.

⁴ - Ibid., id., p. 86.

⁵ - Ibid., id., p. 84.

⁶ - Ibid., id., p.87.

⁷ - W. Estirasy, *Notice historique sur le maghzen d'Oran*, typographie de Berrier, op.cit., p. 117.

الاحتلال الفرنسي بقيادة العقيد لامورسيير بنهب مطامير القمح من قبائل الحشم¹ وتكررت عمليات الحرق والنهب بمنطقة غريس نظرا لأهمية المنطقة التي كانت تمون قوات الجيش الشعبي الوطني بالموئونة لمواصلة المقاومة ضد قوات الاحتلال الفرنسي.² في 19 جوان 1841م قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال بيجو وهي في طريقها لتموين حامية معسكر تم حصاد حقول القبائل المناهضة والرافضة للاحتلال الفرنسي نظمت هذه الفيلق من حصادين ودراسين وهم يعملون والبنديقية في أيديهم وفي ظرف ثمانية أيام جمعت 2500 قنطارا من الحبوب مونت بها الحامية وهذه أفضل طريقة اعتبرها الجنرال بيجو للتخفيف من حدة المعارك وضمان استسلام القبائل³

في 8 أكتوبر قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال بيجو بمطاردة قبائل الفليقة واخترقت سهول غريس لقبائل الحشم ونهبت جميع مطاميرهم المملوءة بالقمح وتوجهت بها نحو معسكر وتم تحطيم زاوية القيطنة التي كان يشرف عليها سيدي السعيد أخ الأمير عبدالقادر حيث حطمت بيوت هذه القرية وأحرقت الزاوية⁴، وفي 29 نوفمبر قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة العقيد لامورسيير بمساعدة الباي عصمان وفرسان المخزن بحملة عسكرية انطلاقا من مدينة مستغانم نحو مدينة معسكر رفقة 4 آلاف جندي بنهب القمح والبقرة من المنطقة كما قامت خلال شهر ديسمبر بمساعدة بعض المنشقين الجزائريين من نهب مطامير القمح ويعتبر القمح الجزائري صحيا بالنسبة للجيش الفرنسي أحسن من القمح الأوروبي⁵ كما تم بسهول غريس نهب مطامير القمح بمساعدة الأغا مصطفى بن اسماعيل، تم شحن حمولات القمح نحو مدينة معسكر⁶، كانت عمليات نهب المطامير والأحصنة والماشية من أجل إخضاع الشعب الجزائري وتحطيم قدراته في المقاومة، حيث تمت عدة انتهاكات وسرقات واباتات ضد الشعب الجزائري بنهب مطاميرهم وتدمير قراهم واباتهم هذه العمليات الابادية المتكررة أدت الى تحطيم قوات الجيش الشعبي الوطني بقيادة الأمير

1- الحشم : تنقسم الى قسمين هما : حشم الشراقة قبيلة تسكن المنطقة الشرقية من سهل شراقة، الجبال الواقعة بين البرج والقلعة، على ضفاف واد الحداد وواد العبد، سهل فرطاسة أراضي كاشرو يتكون حشم الشراقة من 5 مجموعات: حيوشة، ولاد عباس، أهل غريس، محاميد وولاد عيسى بن عباس، وقد اختار الأمير من بينهم أنصاره ورجاله الأوفياء أما حشم الغراية، فكانوا يسكنون المنطقة الغربية من معسكر وينقسمون بدورهم إلى 5 قبائل.

E. Dumas, *Correspondances du capitaine Dumas consul à Mascara, 1837-1839, op.cit.*, p. 9.

2- R. Demont, *Histoire de la conquête de l'Algérie de 1830-1847, op.cit.*, t. 2, p. 91.

3- P. Azan, *Bugeaud et l'Algérie, op. cit.*, p. 62.

4- R. Demont, *Histoire de la conquête de l'Algérie de 1830-1847, op.cit.*, t. 2, p. 98-99.

5- *Ibid.*, id., t. 2, p. 105-106.

6- De Mintimpry, *Souvenirs d'un officier d'état major histoire de l'établissement de la domination française dans la Province d'Oran, op.cit.*, p. 118.

عبدالقادر وقلة مناصريه بعد الإنتهاكات الجسيمة في حق هذا الشعب¹ وفي 31 ديسمبر قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة العقيد تمبور رفقة الآغا مصطفى بن اسماعيل بنهب ماشية القبائل الساكنة بضواحي مدينة تلمسان وتمت مطاردتهم نحو الجبال المملوءة بالثلوج، ونظرا للوضعية الصعبة التي كانت تعيشها النساء والأطفال بتلك الجبال توفي أغلبهم من شدة برودة الطقس². قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال لامورسيير شهر جانفي 1842م بنهب مطامير لبيوض شرق كاشرو بسهول غريس بعدما أرشدتهم جلول على أماكنها³ كما نهبت بمستغانم مجموعة من الماشية ومطامير مملوءة بالقمح، وتمت إبادة أولاد سيدي دحو ونهبت ماشيتهم ومطامير قمحهم وقامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة المقدم رونو "Renault"⁴ بنهب مطامير النواصر وسجن قائدهم بن عيسى⁵، وقامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة العقيد لامورسيير رفقة الآغا مصطفى بن اسماعيل شهر جانفي 1842م بنهب مطامير قبائل الحشم بعد حملاتهم المتتالية على هذه القبائل، وسهلت عمليات شحن كميات كبيرة من القمح لتموين جيش الاحتلال الفرنسي بمقاطعة وهران لمدة 3 أسابيع كما وفرت عملية الإبادة بعد نهب غنم هذه القبائل⁶ وما بين 6 إلى 7 فيفري سيطرت على 19 دوار بضواحي معسكر ونهبت عددا من الماشية وفي طريق عودتها إلى مستغانم نهبت المطامير التي صادفتها في طريقها⁷. وفي 25 فيفري قامت بضواحي مدروسة غرب تاقدمت بنهب 12 ألف رأس غنم والإستحواذ على عدة غنائم،⁸ وفي 31 مارس تم إخضاع أغلب قبائل الحشم بسهول غريس بعد دفعهم لضريبة تقدر ب 350 حصانا⁹ استهدفت قوات الاحتلال الفرنسي الفرنسي جميع المناطق التي كانت تمون الجيش الشعبي الوطني هدفها من ذلك القضاء على المقاومة الشعبية الوطنية، وتفقير الشعب وبادته حتى لا يتسنى له مساندة ومساعدة قوات المقاومة الوطنية، وخلال شهر أفريل قامت قوات الاحتلال الفرنسي في طريقها بين وهران ومستغانم بحرق جميع الحقول الزراعية والمؤن التي يمكن لقوات الجيش الشعبي الوطني الاستفادة منها

¹ Ibid., id., p. 130-131.

² R. Demont, *Histoire de la conquête de l'Algérie de 1830-1847*, op.cit., t. 2, p. 124.

³ De Mintimpry, *Souvenirs d'un officier d'état major histoire de l'établissement de la domination française dans la Province d'Oran*, op.cit., p. 132.

⁴ رونو 1807-1870: برز في إفريقيا برتبة، عقيد في 1845 ثم ماريشال فرقة في 1847 وضابط في 1851، برز أيضا في 1857 بحملة القبائل ينظر:

T. Changarnier, *Mémoire du général Changarnier*, op.cit., p. 176.

⁵ Ibid., id., p. 133.

⁶ I. Derrien, *Les Français à Oran depuis 1830 jusqu'à nos jours*, op.cit., p. 155.

⁷ R. Demont, *Histoire de la conquête de l'Algérie de 1830-1847*, op.cit., t. 2, p. 111.

⁸ Ibid., id., t. 2, p. 114.

⁹ Ibid., id., t. 2, p. 117.

بالمنطقة الممتدة بين وهران ومستغانم¹ ويصف الرائد ليو "Lioux" في الحملة الفرنسية بسهل شلف شلف التي شارك فيها متحدثا: "منذ انطلاق الحملة الى يومنا هذا أي من 4 ماي الى غاية 20 ماي خربت الكثير من القرى الآمنة وكمية هائلة من المحاصيل الزراعية وأناي متأسف لهذا العمل العسكري المحتم، وهذه الوسيلة القاسية التي كرهتها كرها شديدا وحينما مررت لم أر في تلك المنطقة الرائعة سوى حقول زرعها العرب" الجزائريون" بمنتهى العناية " ² قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الرائد بيسون " Bisson " رفقة 500 جندي فرنسي في 6 - 7 جوان بمنطقة مليانة ضد قبيلة محل الدواير بحرق أهم حقول بني مناصر وحرق ضيعات مجاورة لها وتخريب تلك الحقول ونهب الماشية، حوالي 18 ألف رأس بقر وخروف من مجموعة تلك القبائل وتم أخذها الى الحامية العسكرية الفرنسية بمليانة كما تم تخريب حقول القبائل المجاورة لجبال وضواحي بني مناصر، وبعدما حاولت هذه القبائل الدفاع عن ممتلكاتها قام جيش الاحتلال الفرنسي بقتل 200 شخص بهذه المناطق وفي 9 جوان قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال بيجو في طريقها من شلف نحو قبائل بني مناد بحرق جميع المزارع والبيوت وتم قتل جميع الذين يجدوهم في طريقهم ونهب جميع المؤن والذخائر التي يصادفونها في حملتهم³

كتب نائب مدير مقاطعة قسنطينة دوسير "Dessert" في جوان قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال هيللي "Hillier" باتلاف مايزيد عن 5000 من أشجار الزيتون، واذا كنا نعمل على افقار البلاد فماذا سنفعل بها حينما نحتلها على فرض أننا سننجح في احتلالها" كما قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة العقيد لامورسيير بنهب مطامير الفليطة وأولاد شريف⁴ ويؤكد الضابط بوتايو "Bouteilloux" أنه منذ شهر ديسمبر تقوم قوات الاحتلال الفرنسي بحملات منظمة بضواحي البلدية وهذه الحملات كانت أكثر دقة وتنظيما خربت البلاد وعندما حل شهر مارس أنلفت المحاصيل الزراعية وجعلت مؤونة للدواب التي أخذتها معها، لقد ألحقنا بأولئك الفلاحين أضرار فادحة⁵ وفي 5 جويلية قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة العقيد لامورسيير بنهب المحاصيل الزراعية لقبائل الفليطة والحشم الذين رفضوا الخضوع لقوات الاحتلال الفرنسي،⁶ وفي 14 جويلية

¹ - Ibid., id., t. 2, p. 132.

² - الأشرف مصطفى، المرجع السابق، ص. 110.

³ - R. Demont, *Histoire de la conquête de l'Algérie de 1830-1847*, op.cit., t. 2, p. 188-191.

⁴ - Ibid., id., t. 2, p. 152-153.

⁵ - W. Estirasy, *Notice historique sur le maghzen d'Oran*, typographie de Berrier, op.cit., p. 170.

⁶ - Ibid., id., p. 117.

بمنطقة قوجيلية تم نهب 300 خيمة ونهبت المحاصيل الزراعية وأفرغت مطامير قبيلة أولاد كرليف¹ وفي شهر سبتمبر تم نهب مطامير وعدة غنائم بمنطقة اللوحة² ونهبت مطامير الطرايش بمنطقة تيارت في 22 سبتمبر،³ وفي 8 أكتوبر قامت قوات الاحتلال الفرنسي بمساعدة قبائل الحرار⁴ من نهب مطامير القمح لقبيلة أولاد الشريف التي رفضت الخضوع لقوات الاحتلال الفرنسي⁵، ان المساعي الفرنسية من هذه الأعمال الاجرامية في حق الشعب الجزائري كانت من أجل تفقيره وابعاده عن المساهمة في المقاومة الوطنية بتخريب حقول القمح وقطع أشجار الزيتون والتين وحرق بيوتهم، ومن جراء هذه العمليات التخريبية طلب سكان منطقة سبدو الأمان من قوات الاحتلال الفرنسي وتم اخضاعهم شهر أكتوبر⁶ قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة العقيد سانت أرنو يوم 03 أكتوبر 1842 باحتلال وادي الفضة⁷ بعدما حرقت و دمرت فرق "براز" و "سنجاس" ونهبت مطامير الحبوب⁸ ووصلت الى قبائل "براز" التي لم تخضع لها وقبائل "الأطلس" وقبائل "سنجاس" فتم تدمير الدواوير و نهبت مخازن الحبوب كما قتل قائدا من "سنجاس" واستولي على سلاحه وفرسه وطردت القبائل بكل قوة وشحنت كمية هامة من الشعير الى مخازن مليانة وسوف تليها بكمية هامة أكثر في 20 أكتوبر 1842م⁹ وفي الحملة ضد "أولاد عياد" من يوم 26 أكتوبر الى يوم 02 نوفمبر من سنة 1842م عسكرت القوات الفرنسية بثنية الحد وحاربت القبائل في معركة عنيفة حيث دمرت على آخرها واختطفت النساء وسلبت قطعان البهائم وقد أخذ كل واحد من العساكر نصيبه من الغنائم.¹⁰ وفي 5 ديسمبر تم نهب مجموعة من المطامير جنوب قبائل الحشم وقتل آغا الحشم والفرسان الذين كانوا معه،¹¹ كما قامت القوات الفرنسية بقيادة العقيد كورت في 10 ديسمبر بحرق عدة قرى وقبائل هرديقل وكرنيشل بالمدينة¹² في 18 جانفي 1843م

¹ - R. Demont, *Histoire de la conquête de l'Algérie de 1830-1847*, op.cit., t. 2, p. 144.

² - Ibid., id., t. 2, p. 154.

³ - T. Changarnier, *Mémoire du général Changarnier*, op.cit., p. 268-269.

⁴ - الحرار: كوندالية قبائل تقيم في أراضي ولاد سيدي خالد وكانوا مجموعتين: حرار الشراقة التابعون لأغاليك حشم الشراقة، وحرار الغرابية التابعون لأغاليك حشم الغرابية. كانوا يرتحلون في الهضاب العليا من البعقوية حتى جبل عمور أنظر:

E. Daumas, *Correspondances du capitaine Daumas consul à Mascara, 1837-1839*, op.cit., p. 98.

⁵ - W. Estirasy, *Notice historique sur le maghzen d'Oran*, typographie de Berrier, op.cit., p. 160-163.

⁶ - H. D'Estre, *Les conquérants de l'Algérie (1830-1852)*, op.cit., p. 109.

⁷ - وادي الفضة: ينبع من جبل الونشريس ويصب في شلف على بعد 23 كم غرب شلف ينظر:

E. Daumas, *Correspondances du capitaine Daumas consul à Mascara, 1837-1839*, op.cit., p. 244.

⁸ - Q. Lépine, *Le Maréchal Saint Arnaud d'après sa correspondance et inédits années de jeunesse la conquête de l'Algérie 1798-1850*, éd. Plon, Paris, 1928, p. 279.

⁹ - Ibid., id., p. 281.

¹⁰ - Ibid., id., p. 282.

¹¹ - R. Demont, *Histoire de la conquête de l'Algérie de 1830-1847*, op.cit., t. 2, p. 106.

¹² - Ibid., id., t. 2, p. 218-220.

أثناء الحملة على سنجاس لا تترك شجرة قائمة في البساتين، ويجب التخلص من هؤلاء العرب الشحاذين، أنها أوامر الجنرال شونقارني ويجب تنفيذها سيحرق كل شيء ويقطع كل شيء.¹ في 7 فيفري 1843م قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال بيجو بحرق أكواخ بني مناصر وبني فراض وقطع الأشجار المثمرة فقد تم قطع ما يزيد عن عشرين ألف شجرة،² وفي 02 جوان 1843م تم تدمير قبائل بني محابس و بني سليمان من طرف قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة العقيد سانت ارنو،³ وفي 19 ماي 1843م قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال لاموسير بنهب مجموعة من قبائل الحشم بمنطقة الخميس واستولوا على ماشيتها و سلعها وذخيرتها.⁴

كتب الضابط ليو 1843م بناحية شرشال " لقد هدمت الكثير من الدواوير وأزيلت من الوجود قرى بكاملها بعد اشعال النيران فيها، وقطعت عدة آلاف من أشجار التين والزيتون وغيرها، وأنا لا أرى مبررا لهذا النوع الأخير من التخريب، خاصة اذا كنا نريد حقا أن نحمل البلاد أو على الأقل أن نفرض على أهلها الضرائب".⁵

في 28 مارس 1844م بعث دي كاستيلان⁶ "De -Casllane" رسالة الى الجنرال بيجو يصف فيها منطقة الظهرة على أنها أرض خصبة وفيها الكثير من أشجار الفواكه ويصرح قائلا: " مكثنا عدة أيام في مخيمنا العسكري ونحن خلال تلك المدة نتلف أشجار التين والمحاصيل الزراعية، ولم نغادر المنطقة الا بعد أن خربناها تماما وبذلك أعطينا درسا قاسيا لهؤلاء السكان العرب الذين لا يخضعون الا بالقوة الغاشمة ".⁷

قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة العقيد فونهيقام "Vanheddegghem" شهر أفريل 1845م بمساعدة 100 فارس من أولاد سيدي العربي بمنطقة شلف بمنطقة سوركلमितو بنهب المطامير وكميات معتبرة من القمح قرب عقوب، كما نهبت عدة غنائم على ضفاف واد شلف

Q. Lépine, *Le Maréchal Saint Arnaud d'après sa correspondance et inédits années de jeunesse la conquête de l'Algérie* -¹ 1798-1850, op.cit., p. 297.

² Ibid., id., p. 300.

³ Ibid., id., p. 314.

⁴ W. Estirasy, *Notice historique sur le maghzen d'Oran, typographie de Berrier, op.cit., p. 170.*

⁵ -الأشرف مصطفى، المرجع السابق، ص. 110.

⁶ -بونيفاك دو كاستلان 1862-1788: ماريشال فرنسا في 1852 قائد صارم كان يعتني بالضباط الأكفاء اكتشف قدرات شانقارني الحربية و نجح في إرساله إلى حملة الجزائر 1830 أنظر:

T. Changargnier, *Mémoire du général Changargnier, op.cit., p. 9.*

⁷ -الأشرف مصطفى، المرجع السابق، ص. 108-109.

وأحرقت عدة قرى¹. وعملت القوات الفرنسية على تدمير الاقتصاد ومنع كل المبادلات التجارية لتموين الجيش الشعبي الوطني وتخريب البلاد وفي إعتقادهم أن الحرب ضرورية في تدمير البلاد سواء بإتلاف المحاصيل في أوقات الحصاد أوفي الأوقات التي تتطلب الغارات المباغثة والسريعة من أجل سجن السكان ونهب قطعان الغنم والبقر² واصلت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة العقيد سانت أرنو عملياتها الاجرامية في 17 أوت 1845م حيث قام باختطاف 250 شخصا من قبيلة صبيح ونهب 1000 رأس من الأنعام وحرق الأكواخ وقطع الأشجار وتدمير المنازل ونهب مخازن الحبوب³ وتمت مطاردتهم ومحاربتهم قبل حلول فصل الخريف⁴ وفي سنة 1846م قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال بيجو بمنطقة الونشريس بحرق الأكواخ والمحاصيل الزراعية وقطع الأشجار المثمرة بينما قامت القوات التي كانت بقيادة العقيد سانت أرنو بحرق الأكواخ والمنازل والمحاصيل الزراعية قرب شلف.⁵ كانت مساعي قوات الاحتلال الفرنسي القضاء على المقاومة الجزائرية وحسب تصريحات الجنرال بيجو: " يجب اخضاع عبدالقادر بل يجب أن نبينه لأنه من دون القضاء عليه لن نصل الى أهدافنا، فأنا أقول أننا لانعرف هذا الافريقي وامكانياته التي جعلته جد خطير ولذلك يجب أن نواجهه بحرب شرسة ومن أجل ذلك يجب أن يكون فكرنا متحرر لاستعمال جميع الوسائل"⁶ التوسع الفرنسي على حساب الأراضي الجزائرية كان أكثر همجية وتعسفا في حق الشعب الجزائري لتحطيم القوى التموينية للمقاومة الشعبية الوطنية بقيادة الامير عبدالقادر، فاتخذت قوات الاحتلال الفرنسي جميع الطرق والوسائل التخريبية والتدميرية كعمليات الحرق والنهب لاستنزاف روح المقاومة الجزائرية ومصادر تموينها وفق خطط أكثر شراسة وخطورة في تجويع الشعب الجزائري وابعاده عن المقاومة والدفاع عن ممتلكاته وأراضيه المسلوبة وحقوقه التي تم حرقها أونهبها هذه هي أوجه روح الحضارة وحقوق الانسان التي كانت تنادي بها الدولة الفرنسية أهذه هي مبادئ الثورة الفرنسية التي كانت تنادي بالعدل والمساواة !

¹ - R. Demont, *Histoire de la conquête de l'Algérie de 1830-1847*, op.cit., t. 2, p. 252-254.

² - A. Toqueville, *Travail sur l'Algérie 1841 de colonisation en Algérie*, op.cit., p. 62-63.

³ - Q. Lépine, *Le Maréchal Saint Arnaud d'après sa correspondance et inédits années de jeunesse la conquête de l'Algérie 1798-1850*, op.cit., p. 364.

⁴ - Ibid., id., p. 365.

⁵ - Ibid., id., p. 357.

⁶ - P. Azan, *Par l'épée par la chure écrits et discours de Bugeaud*, éd. P U F, Paris, 1948, p. 79.

ب- عمليات الإبادة والاختضاع:

- تعريف الإبادة :

تعتبر عملية الإبادة "Razzia" حسب النقيب لوبلو دوبريوا "Leblanc – de Prébois" "شيئاً دنيئاً ومعيباً للجيش الفرنسي وأمجاده حيث تقوم القوات الفرنسية بمهاجمة شعب أعزل ومحاصرته فتختطف النساء، ولكل امرأة برفقتها حوالي ثلاثة أطفال يمشون معاقبين ويتقدمون بالأمهم والشيوخ أيضاً وتنهب ماشيتهم من أبقارهم وحميرهم وأغنامهم وتترك بأراضيهم جثث القتلى ، ولتبرير هذه الجرائم قالوا ان كل الحروب تتطلب معاملة العدو بهذه الطريقة من أجل إخضاعه بدون مقاومة وبدون حرب ماذا علينا أن نفعل في مثل هذه الحالات لانستطيع أن نخضع هذا المجال من هذه الأراضي بدون مقاومة وحرب " ¹ هذه هي الحرب التي واجهها الشعب الجزائري ضد قوات فرنسية لاتحترم حقوق الإنسان ؟ وحسب تصريحات جونتي دوبيسي : " لابد من إبادة العرب أوحضارتهم حسبنا " .. ² وحسب تصريحات دوطوكفيل "لاتشغلوا بأمجادكم الشخصية وأن يؤدي كل منكم واجبه بإخلاص لوطنه إن فرصة الظهور لكل منكم تكمن في قيامه بأعمال وحشية ودموية " ³ يصرح الجنرال شونقارني بالأعمال التي كانت ترتكبها قوات الاحتلال الفرنسي بمنطقة المتيجة سنة 1830م:

«ظهرت وحشية الغزو الفرنسي على الجزائر منذ 1830م لانتترك أحدا انه الغزو الذي يمارسه الجيش على أكبر نطاق مصحوب بالنهب والمجازر، فتحول الجنود الى ذباحين لسكان عزل لايملكون السلاح كانت الفرق التي تقوم بالتدمير تتسلى خاصة في فصل الشتاء وما قامت به ضد القبائل من الحراش حتى البرواقية فكل المواشي بيعت لعون قنصلي من الدانمارك وما تبقى منها عرض في سوق باب عزون، كنا نشاهد أساور النساء التي كانت بالمعاصم و أقراط تتدلى من بقايا

¹ - J. Ladmir, *Les guerres d'Afrique*, op. cit., p. 272.

² - G. De Bussy, *De l'établissement des Français dans la Régence d'Alger*, op.cit., t. 1, p. 131.

³ - A. Toqueville, *Travail sur l'Algérie 1841 de colonisation en Algérie*, op.cit., p. 93.

اللحم، وما يقبض يقسم على الجنود الذباحين سفاكي الدماء وما يزيد الأمر ألما هو اجبار الأهالي على مشاهدة ما يجري في الأسواق.»

"الهجوم على البليدة و المدينة 1830 :

بالنسبة للجنرال كلوزال وبعد احتلال الجزائر العاصمة فانه لا يخشى شيئا هاجم البليدة والمدينة دون أخذ الاحتياطات فترك جنوده يقومون بالتجاوزات ويستولون على الغنائم من السكان أمر الجنرال كلوزال بحرق وتدمير هذه الأرياف بنواحي البليدة واستولى على المدينة في شهر نوفمبر 1830م فكانت مدينة البليدة مدمرة وتجتوا فيها الجثث من الشيوخ والنساء والأطفال¹...وفي عودتنا وجدنا مدينة البليدة كلها محاصرة أثناء الذهاب قتلنا كل من يحمل السلاح وعند كل طلقة تقوم الحامية العسكرية الموجودة في عين المكان بذبح النساء والأطفال، وعاد الفرنسيون ملعونين في بلد تدور فيه حرب ابادء، في نوفمبر 1831م.² يوم 30 جوان 1831م وصلنا الى المدينة دون عناء وبدأت المعركة يوم 01 جويلية وكنا عندما نريد تدمير القبائل المجاورة نشرع في تحطيم الأكواخ واتلاف المزارع والبساتين مثل الأقوام المتوحشة.³ وفي 8 أفريل 1832م قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال روفيقو بمجزرة ضد قبيلة العوفية حيث فوجئت القبيلة ليلا وتم ذبحهم بدون مقاومة تذكر، وكانت عملية الذبح دون تمييز بين صغير أو كبير، أوبين ذكر أو أنثى وحملت رؤوس الموتى على رماح بنادقتهم، ونهبوا كل ما وجدوه بالقبيلة من أساور النساء التي قطعت معاصمهن وأقراط أذانهن وقطع اللحم متدلية فيها تم بيع هذه الغنائم بباب عزون⁴

تأسست اللجنة الإفريقية بتاريخ 7 جويلية ووصلت هذه اللجنة إلى الجزائر في 2 سبتمبر 1832م رئيسها الجنرال بوفي "Bovey" تنقلت اللجنة عبر مدينة الجزائر ووهران وعنابة وأرزيو وبجاية لجمع المعلومات عن وضعية الجزائر ومستقبلها وبعد عودتها الى فرنسا في 9 نوفمبر 1833م وضعت تقاريرها ورأت هذه اللجنة ضرورة إحتفاظ فرنسا بالجزائر⁵.

تقرير اللجنة الإفريقية التي عملت على التشبث بمشروع فرنسا الإستعماري والبقاء بالأراضي الجزائرية يوضح لنا مدى إصرار الدولة الفرنسية بعدم التخلي عن الجزائر بإعتبارها بوابة إفريقيا

¹ - Ch.-A. Julien, *Histoire de l'Algérie contemporaine conquête et colonisation (1827- 1871)*, op.cit., p. 66 -68.

² - E. Kaller, *Le général De La Moricière sa vie militaire, politique et religieuse*, op.cit., t. 1, p. 40.

³ - Ibid., id., t.1, p. 50.

⁴ - E. De Reynaud Pillissier, *Annales Algériennes*, op.cit., t. 1, p. 245-248.

⁵ - V. Dieuzede, *Histoire de l'Algérie 1830-1878*, op.cit., t. 1, p. 132 -134.

ومجال حيوي للتوسع والإستيطان، لذا عملت القوات الفرنسية جاهدة دون إعتبار لأي مقومات إنسانية أو حضارية للشعب الجزائري لم تحترم القوات الفرنسية وجنراتها العسكريين رغم وعيهم بمقدسات الشعب الجزائري وهويته وثقافته وأراضيه وشرفه، تجاوزت كل الحدود، هذه هي الهمجية الفرنسية التي عملت على إبادة الشعب الجزائري وإستبدال شعب بآخر مثلما فعل الإنجليز بالهنود في أمريكا، هذه هي السياسة الفرنسية التي عملت جاهدة للقضاء على الشخصية الجزائرية وتحطيم مقوماته، فهل هذه هي الحضارة التي إدعت فرنسا تطبيقها في الجزائر ؟.

إن الإستعمار الفرنسي بأساليبه التدميرية وإنهاك مصادر العيش للشعب الجزائري بسلب أراضيه ومصادرتها جعلته يقاوم هذه القوات الفرنسية المغتصبة لحريته ، وكيانه، لقد غرس الأمير عبد القادر في الشعب الجزائري فكرة رفض الإحتلال والظلم والدفاع عن النفس وعن الوطن وروح التحدي رغم الإنتهاكات والتهجمات المتواصلة وفضاعتها والتفاوت التجهيزي بين الجيشين.

وحسب الجنرال بيجو " يجب أن نقوم في إفريقيا بحملة كبيرة شبيهة بما كان يفعل الإفرنج وما كان يفعل القوط "،¹ أراد الجنرال إحياء أمجاد روما، وربط قوات الإحتلال الفرنسي بتراتها الأوروبي المسيحي، ومحاولة إرسائه ببلاد الجزائر الإستفادة من التاريخ لمواصلة مافعله أجدادهم من إنتهاكات على أرض الجزائر، لقد كلف المشروع الفرنسي العديد من الأموال والرجال ليس لهم سوى أسلوب واحد لقهر وتحطيم هذه الجهود والمنجزات التي كانت تقوم بها المقاومة الجزائرية ضد القوات الفرنسية التي حوصرت في بعض المناطق الساحلية هذه هي المقاومة الجزائرية التي رفضت الإنصياع والخضوع للأجنبي .

رغم العراقيل والصعوبات التي واجهتها، فقد لجأت السياسة الفرنسية إلى إستعمال هذه الأساليب الإجرامية لإجهاض القوى المادية والمعنوية لروح المقاومة الشعبية وتحطيم أسسها ومبادئها وإستعمال عمليات الإبادة التي كان لها أثر كبير على الأوساط الشعبية بإنهاك قدراتهم وقتل روح المبادرة والمواجهة بأساليب غير إنسانية وغير أخلاقية من أناس يدعون الحضارة والتمدن .

يقول بوجولا: "عندما تخوض الحضارة حربا بطريقة وحشية، فإنها مجبرة أحيانا وفي حرب أن تكون وحشية لكي لا تتعرض لحرب فيها أسلحة متكافئة أولكي لا تخسر ميزات مهمة هذا ما حدث لنا في حربنا مع إفريقيا " ² قامت قوات الإحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال ديميشال بقتل جميع السكان

¹ - A. Bernard, *L'Algérie histoire des colonies de la France dans le monde*, éd. Alcan, Paris, 1929, t. 2, p. 208.

² - J. Poujoulat, *Études Africaines*, op.cit., t. 2, p. 128.

بسبحة قدور دبي قرب وهران على الساعة الثامنة صباحا، وتم اختطاف النساء، ونهب 3000 رأس ماشية و 17 جملا وبعض الأحصنة والبغال وعلى الساعة العاشرة كان عدد الضحايا 800 شخص بين قتيل وجريح وقام الجنرال بتكريم منفذي العملية¹

في 5 أوت 1833م قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال ديميشال والعقيد ليتن بآبادة في منطقة وهران قرب تافراوي على الساعة السادسة مساء، اختطف 82 شخص بأمعتهم وذلك الى جانب النساء والأطفال ونهب 88 جملا و 442 بقرة و 3000 رأس غنم و 20 بغل وأربعة أحصنة و 50 حمرا².

قال المقدم لامورسيير سنة 1834م " ان الحرب عمل تبشيري ضد قوم لاينفع معهم الكلام المعقول الا اذا كان معززا بالحراب"³ كانت مساعي القادة الفرنسيين القضاء على المقاومة الشعبية الوطنية بأفكار وأساليب ابادية، وفي جويلية 1835م حسب تصريحات المقدم لامورسيير نتذكر الحملات الوحشية التي كنا نقوم بها انتقاما من قبيلة "حجوط" الأبرياء، حيث كنا ندمرونحرق، ونقتل بكل وحشية من نلتقي به وفي هذه الحرب الحماسية كنا لا نميز، فالجرحى كنا نقتلهم دون رحمة وكان جنودنا يحملون رؤوسا دامية لأموات كالغنائم على أطراف البنادق وقد قمنا بذبح رؤسائهم الذين أتوا للجزائر تحت الحماية.⁴

في 14 مارس 1836م قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال بريقو رفقة 600 جندي فرنسي و 600 فارس من القبائل الموالية للمخزن قاموا بمطاردة الحشم والغرابة الى جبال بني شقران وصلواحتى شلف ونهبوا 2000 رأس غنم ساقوها الى وهران⁵ وفي 19 أوت 1836م قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال ليتان بآبادة أولاد علي قرب عين تمونشت والذين أعلنوا خضوعهم للقوات الفرنسية بعد القيام بهذه العمليات الابادية ضد هذه القبائل⁶، وفي 18 جويلية دمرت جميع القبائل التي مرت بها وتمت ابادتهم⁷ يصرح الجنرال بيجو أمام مجلس النواب

¹ - I. Derrien, *Les Français à Oran depuis 1830 jusqu'à nos jours*, op.cit., p. 43-45.

² - Ibid., id., p. 141 -142.

³ - الأشرف مصطفى، المرجع السابق، ص. 265.

⁴ - E. Kaller, *Le général De La Moricière sa vie militaire, politique et religieuse*, op.cit., t. 1, p. 144.

⁵ - I. Derrien, *Les Français à Oran depuis 1830 jusqu'à nos jours*, op.cit., p. 104.

⁶ - Ibid., id., p. 114.

⁷ - W. Estirasy, *Notice historique sur le maghzen d'Oran*, typographie de Berrier, op.cit., p. 73-74.

الفرنسي شهرجانفي 1840م " أنه لمن العار أن نجر كل العتاد العسكري الثقيل وآلات القذف الفتاكة لنستعملها ضد عدو لا يملك مثلها".¹

قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال فالي شهر فيفري بنهب 80 ألف رأس غنم من قبائل الحراكته، وتمت الإبادة ضد قبائل المنطقة ونهبت ماشيتهم وأمتعتهم²

في 4 مارس قام الجنرال بيجو بحرق وتحطيم جميع القبائل جنوب مليانة، بينما رفضت قبائل بني زرقق وضع قوات الجيش الشعبي الوطني بقيادة الأمير عبد القادر تحصيناتهم بالمنطقة وقاموا بمحاربته حيث بقي من هذه القبائل جنوب مليانة سوى 184 شخصا واستحوذت القوات الفرنسية على غنائم كبيرة ومواشي³ كانت مساعي قوات الاحتلال الفرنسي اجهاض المقاومة الوطنية استعمال القوة العسكرية ضد القبائل الجزائرية التي كانت تساند المقاومة الوطنية وانهاكهم ماديا ومعنويا بنهب خيراتهم وابادتهم واختطاف نسائهم وأطفالهم حتى لا يتسنى لهم مساندة الجيش الشعبي الوطني وضمان خضوعهم للصف الفرنسي وخدمة مصالحه الاستعمارية، قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال بيجو في 7 - 8 مارس باحتلال مدينتي المدية ومليانة وفي 13-14 مارس تم تحطيم كل الدواوير بحجوط وإحتلت مدينة شرشال ومرفأها في 15 مارس 1840م⁴ وقامت قوات الأغا بن قانة بعد مهاجمتها لقوات الخليفة بن عزوز بمنطقة بسكرة في 24 مارس 1840م بقطع 500 أذن اليمنى وتم نهب 500 بندقية.⁵

يعتبر الجنرال شونقارني من أكبر منفذي عمليات الإبادة وكان يعتبرها عملية حضارية بالجزائر⁶ "ولابد على كل دولة من أجل فرض قوتها من إستعمالها عمليات الإبادة مثلما فعلوا بالهنود"⁷ كما قامت القوات الفرنسية في 8 ماي بقتل 2000 شخص من بينهم قائد بني مناصر أخ الخليفة البركاني⁸

في 26 جوان قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال شونقارني بقتل جميع السكان الذين حاولوا الدفاع عن أنفسهم وتم إختطاف النساء والأطفال والشيوخ، وحرقت جميع البيوت بضواحي

¹ - الأشرف مصطفى ، المرجع السابق ، ص. 293.

² - H. D'Estre, *Les conquérants de l'Algérie (1830-1852)*, op.cit., p. 93.

³ - R. Demont, *Histoire de la conquête de l'Algérie de 1830-1847*, op.cit., t. 2, p. 82-84.

⁴ - J. Ladmire, *Les guerres d'Afrique*, op. cit., p. 227.

⁵ - R. Demont, *Histoire de la conquête de l'Algérie de 1830-1847*, op.cit., t. 2, p. 56.

⁶ - H. D'Estre, *Les conquérants de l'Algérie (1830-1852)*, op.cit., p. 179.

⁷ - T. Changarnier, *Mémoire du général Changarnier*, op. cit., p 215.

⁸ - Ibid., id., p. 239.

المتيجة¹ وفي شهر أوت قامت القوات الفرنسية بقيادة المقدم لامورسيير بناحية وهران بابادة بعد الهجوم على قبائل الغرابة² وبني عامر وخلال شهر أكتوبر تم قتل أهم قادتهم واختطفت نساؤهم وبناتهم ونهبت مطاميرهم التي تم شحنها الى مدينة وهران³ وفي 11 أكتوبر قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة المقدم لامورسيير بحملة ضد بني عامر وقتلت 6 نساء وبعض الرجال ونهبت بعض الأبقار و 2000 خروف وفي 21 أكتوبر قرب حصن الكرمة قامت القوات الفرنسية تحت قيادة الجنرال بورجولي⁴ بمساعدة الآغا مصطفى بن إسماعيل مع الفرسان الموالية للمخزن بتشتيت السكان وقتل آغا الغرابة بن يعقوب و 10 أشخاص و 6 نساء بينما 22 شخصا سجنوا ونهبت 940 رأس بقرة و 2000 خروف، و 60 حصانا للحرب، و 30 جملا، و 40 بغلا، و 300 حمارا، و 90 سرجا وأسلحة وعدة غنائم بمنطقة وهران⁵ وحسب تصريحات المقدم لامورسيير في 21 أكتوبر قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقتل بعض الرجال الذين أرادوا المقاومة ومعهم ست نساء وفر الباقي تاركا وراءه ألف رأس من الأبقار وما يزيد عن ألفين من الغنم وفي المساء تم بيع الأنعام وقسم ثمنها بين الجنود وبعد عشرة أيام نهبت الحبوب المخزنة بعدما فر السكان⁶ وتمت اباداة بقيادة بقيادة المقدم لامورسيير ضد قبيلة مقادرة في 22 أكتوبر والتي نشرت الخوف بين جميع القبائل بمقاطعة وهران نظرا لضخامة وهول الفاجعة فقد بقيت قبائل المنطقة متخوفة من قوات الاحتلال الفرنسي الذي أصبحت سياسته تستهدف القبائل الجزائرية والقيام بابادتها ونهب خيراتها حتى لا تستطيع مد يد العون للمقاومة الشعبية الوطنية⁷.

قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة العقيد مونتبن "Montemban" في 26 نوفمبر رفقة فرقتين من الصبايحية من نهب القبائل الساكنة⁸ بمعبر واد المالح تم نهب 700 رأس من البقر وأكثر وأكثر من 1000 رأس من الغنم وعند عدم قدرتها على المشي ذبحت وأكلت من طرف

¹ - R. Demont, *Histoire de la conquête de l'Algérie de 1830-1847*, op.cit., t. 2, p. 32-33.

² - الغرابة: قبيلة تسكن جنوب الأراضي المخصصة لفرنسا حوالي وهران في منطقة من سهل تليالت، غابة مولاي اسماعيل وسهل سيق. كانت جزءا من المخزن، كانت تضم أغاليك الغرابة 15 قبيلة و 3 ضيعات، البرج، القلعة وتليوانت أنظر:

E. Daumas, *Correspondances du capitaine Daumas consul à Mascara, 1837-1839*, op.cit., p. 7.

³ - R. Demont, *Histoire de la conquête de l'Algérie de 1830-1847*, op.cit., t. 2, p. 51-52.

⁴ - لوباي دوبرجولي 1865-1791: أبرز ضباط الفرسان، جاء إلى الجزائر 1830 ولم يغادرها إلا في 1846 بصفته كجنرال أنظر:

T. Changarnier, *Mémoire du général Changarnier*, op.cit., p. 103.

⁵ - J. Ladmir, *Les guerres d'Afrique*, op. cit., p. 238-239.

⁶ - E. Kaller, *Le général De La Moricière sa vie militaire, politique et religieuse*, op.cit., t. 1, p. 228.

⁷ - De Mintimpry, *Souvenirs d'un officier d'état major histoire de l'établissement de la domination française dans la Province d'Oran*, op.cit., p. 87.

⁸ - I. Derrien, *Les Français à Oran depuis 1830 jusqu'à nos jours*, op.cit., p. 141-142.

العساكر الفرنسية¹ وتمكنت قوات عسكرية انطلقت من وهران بقيادة الجنرال "بيدو" وقوات عسكرية أخرى انطلقت من مستغانم قامت بتدمير وحرق كل شيء بمنطقة بني شقران ثم استولت على 600 ثور و700 رأس من الغنم.² وقامت القوات الفرنسية بقيادة المقدم لامورسيير في 28 نوفمبر بإبادة ضد قبيلة أولاد جبارة التي تبعد 92 كلم عن وهران، وفاجأت قبيلة أولاد خلفه من بطون بني عامر، فسجن شخصين و12 امرأة وطفل وتم نهب 600 رأس بين بقرة وعجل والآلاف من الغنم و15 حصانا، و31 جملا و10 بغال وأكثر من 200 حمارا و200 خيمة للسكان نهبت أملاكهم وحرقت خيمهم³

قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة المقدم لامورسيير في 12 جانفي 1841م بإبادة بمنطقة سيدي لخضر بمستغانم قتل حوالي 300 شخص كما تمت إبادة جماعية على قبائل الغرابية قرب وهران⁴ وخلال شهر ماي بمنطقة غريس قطعت عدة رؤوس للجزائريين وتم اختطاف آخرين ونهبت خيولهم⁵ وفي 14 ماي قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال بيجو بمنطقة شلف بمزيرة بنهب 1500 رأس غنم من هذه القبائل وفي 19 ماي قامت القوات الفرنسية بقيادة العقيد بليسي بشمال قبائل السبايس من نهب 1200 رأس غنم وفواكه بالمنطقة⁶ وتم نهب يوم 16 جوان بمنطقة بني زروال⁷ 2500 رأس غنم واختطاف 230 شخص⁸، أخضعت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال بيجو في 8 أوت قبائل مجاهر للصف الفرنسي وتمت تولية الباي الحاج مصطفى ولد عصمان حاكما على مدينتي معسكر ومستغانم

بعد إبادة سكان منطقة مينة ليلا تم اختطاف 329 شخص من نساء وأطفال و2000 رأس ماشية ساقوها الى مستغانم خلال شهر سبتمبر بقيادة الجنرال بيجو⁹ ، وفي 8 ديسمبر قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال بيدو بإبادة ضد قبيلة البرجية* قرب مستغانم تم نهب خيامهم

¹ - E. Kaller, *Le général De La Moricière sa vie militaire, politique et religieuse*, op.cit., t. 1, p. 230.

² - Ibid., id., t. 1, p. 250.

³ - J. Ladmir, *Les guerres d'Afrique*, op. cit., p. 240-241.

⁴ - I. Derrien, *Les Français à Oran depuis 1830 jusqu'à nos jours*, op.cit., p. 143.

⁵ - R. Demont, *Histoire de la conquête de l'Algérie de 1830-1847*, op.cit., t. 2, p. 87.

⁶ - Ibid., id., t. 2, p. 238.

⁷ - بني زروال: كونفدرالية من القبائل في أغاليك الشرق وتضم مجموعة من قبائل جبال الظهرة: بني زروال، ولاد الحفني، ولادعلي، ولاد بوتاخورة ولاد مزيان، ولاد سيدي ابراهيم مديونة وولاد رياح حاربوا فرنسا ولكنهم تخلو عن المقاومة الوطنية في 1836 خلال حملة بيريقو على شلف ينظر:

E. Dumas, *Correspondances du capitaine Dumas consul à Mascara, 1837-1839*, op.cit., p. 143.

⁸ - R. Demont, *Histoire de la conquête de l'Algérie de 1830-1847*, op.cit., t. 2, p. 182-183.

⁹ - Ibid., id., t. 2, p. 93-95.

* البرجية: قبيلة في أغاليك الغرابية تسكن منطقة سيرات بين سيق والهبرة خضعوا للجنرال بيريقو 1836 و قام الأمير بتشتيتهم في 1837 ينظر:

E. Dumas, *Correspondances du capitaine Dumas consul à Mascara, 1837-1839*, op.cit., p. 85.

وعائلاتهم وماشييتهم التي ساقوها الى مدينة مستغانم وصلت يوم 10 ديسمبر بهذه الغنائم التي تقرب 6000 رأس غنم و 1300 بقرة، و 150 جملا، و 300 حصان وبغل وأكثر من 800 حمار محملين بالقمح وبعد هذه الحملة أعلنت قبيلة البرجية خضوعها للقوات الفرنسية¹.

بعدما اجتازت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال بيجو شهر جانفي 1842م واد المالح قامت بنهب حوالي 500 جمل و 300 بغل محملة بالغنائم بمساعدة بعض الفرسان من أولاد سيدي الشيخ الذين التحقوا بقبائلهم بعد انتهاء الحملة² وقامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة العقيد مونتياك في 17 جانفي بنهب الحبوب والمواشي بنواحي معسكر واختطاف الأطفال والنساء بينما قامت القوات التي كانت بقيادة الجنرال بيدو بنواحي شلف بعمليات التقتيل ضد قبائل المنطقة واختطاف الأطفال والنساء وتم حرق المحاصيل ونهب المواشي بينما قامت القوات التي كانت بقيادة العقيد سانت أرنو بنواحي مليانة " ضد قبائل بني مناصر بتخريب محاصيلهم وأشجارهم المثمرة ويقول مصرحا : " لقد كانت حملتنا تدميرا أكثر منها عملا عسكريا ونحن اليوم في وسط جبال مليانة لانطلق الرصاص إلا قليلا وأنا نمضي وقتا في حرق جميع القرى والأكواخ ويفر منها الأهالي سائقين قطعانهم ".³ كما قامت القوات الفرنسية التي كانت بقيادة الجنرال بيدو من نفس الشهر بنهب إحدى المخازن للبارود بنواحي معسكر بمنطقة نصمود، وتمكنت قوات الاحتلال الفرنسي من إخضاع عدة قبائل أهمها الحساسنة والجعافرة، وبني شقران بعد إبادة أولاد دحو كما أخضعت المجاهر، البرجية وعبيد الشراقة وسيرات⁴ وما بين 15 الى 16 مارس 1842م قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال بيجو بمهاجمة منطقة حجوط وتم اختطاف 420 شخص ونهب و 1190 بقرة و 1800 خروف و 150 حصانا وبغلا ومجموعة من الأسلحة وسروج للأحصنة⁵، وفي الفاتح من شهر أفريل تم تحطيم قبيلة بني مناصر المساندة لقوات الجيش الشعبي الوطني بقيادة الخليفة البركاني وهدمت الأسوار، وبعد إخضاع عدة قبائل بالمنطقة رجعت القوات الفرنسية نحو مدينة شرشال وتم حرق عدة منازل قرب المتيجة وتم اختطاف عدة أشخاص وتدمير عدة قرى⁶ قامت قوات الاحتلال

¹ - J. Ladmir, *Les guerres d'Afrique*, op.cit., p. 264.

² - Ibid., id., p. 125.

³ - Arnaud (Saint), *Lettres du maréchal Saint Arnaud 1832-1854*, éd. Leroy, Paris, 1858, t. 1, p. 390 - 392.

⁴ - De Mintimpry, *Souvenirs d'un officier d'état major histoire de l'établissement de la domination française dans la Province d'Oran*, op.cit., p. 134.

⁵ - T. Changarnier, *Mémoire du général Changarnier*, op.cit., p. 220.

⁶ - R. Demont, *Histoire de la conquête de l'Algérie de 1830-1847*, op.cit., t. 2, p. 180 - 181.

الاحتلال الفرنسي بقيادة العقيد كافيناك رفقة الضابطين "Blangini" و "Tartas" ¹ وقائد الكتيبة "Comps" يوم 28 أفريل على الساعة الحادية عشر صباحا وقد اجتمعت الكتائب الفرنسية الأربعة بمنطقة المتيجة وقاموا باختطاف 486 شخص ونهب 65 جملا و 40 حصانا و 100 دابة و 600 رأس غنما ونهب 150 خيمة مصنوعة من وبر الجمال وغنيمة معتبرة ² وواصلت حملاتها بضواحي مدينة البليدة، كما هاجمت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة العقيد كافيناك رفقة الضابط بورجو "Borgou" يوم 29 أفريل سكان واد السبت ليلا وتم اختطاف مجموعة من الأشخاص وأحصنة ودواب و 4000 رأس غنم ³ وفي 14 ماي قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال بيجو بمنطقة شلف بمزيرة بفرض ضرائب على هذه الناحية ونهبت 1500 رأس غنم وتم نهب 2500 رأس غنم من قبيلة بني زروال لكنها لم تتمكن من اخضاعهم بينما قامت القوات التي كانت بقيادة الجنرال شونقارني بنهب عدد من الماشية لتموين قوات المدينة ومليانة كانت هذه الحملة بمنطقة شلف ⁴ وفي 19 ماي نهبت ماشية وذخيرة ومؤونة قرب حقول ثنية الحد. ⁵ اباد 26 - 27- ماي حسب المقتصد "Appert" اعترف بأنها وفرت الكثير من اللحم للجيش الفرنسي تكفيه لعدة أشهر وتعفي السلطات الفرنسية من استيراد اللحوم من أوروبا، وحسب الجنرال لامورسيير أن عمليات الإبادة سوف تضمن للقوات الفرنسية خضوع القبائل الجزائرية بصفة متتابعة. ⁶ قامت قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال شونقارني يوم 31 ماي على الساعة الثانية بعد الزوال بواد شلف بآبادة وتحطيم وتخريب قبيلة الروينة، وتمت اباد 26 - 27- ماي سكان المنطقة ونهب ماشيتهم بعد اجتياز واد شلف، وفي 2 جوان قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال بيجو بمنطقة واد الحد باختطاف 156 شخص ونهب 100 رأس غنم. ⁷

في 9 جوان 1842م وخلال منتصف النهار قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الرائد هليي ⁸ بمنطقة سومطة وبني مناد باخضاع هذه القبائل وتم اختطاف 400 شخص ونهب 2000 رأس غنم

¹ - دوتارتاس: من أبرز ضباط حملة الجزائر عقيد في 1842 لفرقة المطاردة في إفريقيا قاد جيش الفرسان في معركة إيسلي وأصبح ضابط فرقة ينظر:

T. Changarnier, *Mémoire du général Changarnier*, op.cit., p. 223.

² - R. Demont, *Histoire de la conquête de l'Algérie de 1830-1847*, op.cit., t. 2, p. 223 -224.

³ - Ibid., id., t. 2, p. 225.

⁴ - Ibid., id., t. 2, p. 187.

⁵ - Ibid., id., t. 2, p. 238.

⁶ - Ibid., id., t. 2, p. 226.

⁷ - T. Changarnier, *Mémoire du général Changarnier*, op.cit., p. 234.

⁸ - أشيل باراغاي هليي 1873-1879: ولد في باريس، شارك في حملة الجزائر 1830، عاد إلى إفريقيا في 1842 عين ملازما أولا في 1843 أنظر:

T. Changarnier, *Mémoire du général Changarnier*, op.cit., p. 184.

وبعد هذه الحملة طلبت هذه القبائل الأمان¹ تواصلت الحملات الفرنسية ضد الشعب الجزائري وفي الفاتح من شهر جوان حيث قامت هذه القوات بقيادة العقيد كورت بمنطقة واد واصل بالقرب من بوغار بقتل 40 شخصا، وعلى الساعة الرابعة تم اختطاف 3000 شخص ونهب 1500 جمل، ومجموعة من الأطفال والنساء و300 حصان ومجموعة من الدواب و20,000 رأس غنم² وقد قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الرائد بيسون رفقة 500 جندي يوم 6 و7 جوان بمنطقة مليانة بمحلة الدواير عند قبائل بني مناصر بحرق مزارعهم وتخریب حقولهم ونهب مواشيهم المتكونة من 18 ألف رأس بقر وخروف التي ساقوها نحو مدينة مليانة وخربت جميع القرى المجاورة لها وخلال مقاومة قبائل المنطقة لقوات الاحتلال الفرنسي بعد الحملات الفرنسية بالمنطقة تم قتل 200 شخص³ وفي 9 جوان قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال بيجو باختطاف جميع الأشخاص ونهب المؤن والذخائر التي يجدونها في طريقهم نحو قبائل بني مناد

من جراء هذه الحملات الفرنسية المتكررة وعمليات الإبادة والسلب الممارسة ضد الشعب الجزائري تمكنت قوات الاحتلال الفرنسي من اخضاع عدة قبائل أهمها بني مناد، بولوان، بني صالح، وقبائل حجوط⁴ وفي 20 جوان خيمت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة العقيد لامورسيير في حقول فرطاسة على وادي مينة⁵ لنهب منتوج الحصاد بغية جعل أهلها في مجاعة. ⁶ كما قامت في 22 سبتمبر بضواحي تيارت بمنطقة بلادة بنهب 200 جمل و500 رأس بقر و10,000 خروف وعدد من الأحصنة والجمال وفي 23 سبتمبر تم قتل 200 شخص⁷.

قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال بيجو في 28 جوان باخضاع عدة قبائل أهمها دردار قرب شلف وتازة وثنية الحد وتم اخضاع 18 قبيلة بمقاطعة الجزائر ساندت قوات الاحتلال الفرنسي ضد قوات الجيش الشعبي الوطني بقيادة الخليفة بن علال⁸، وفي 29 جوان تم اخضاع مخيم عين تكرية الذي يعتبر من أكبر قبائل بني عياد ومنحت قيادته لعمر بن فراح⁹ وفي الفاتح

¹ - R. Demont, *Histoire de la conquête de l'Algérie de 1830-1847*, op.cit., t. 2, p. 239.

² - Ibid., id., t. 2, p. 249.

³ - Ibid., id., t. 2, p. 188 -189.

⁴ - Ibid., id., t. 2, p. 190 -191.

⁵ - وادي مينة: نبع 20 كم شرق فرندة، يمر غير بعيد عن تاكدمت حتى غليزان ويصب في شلف أنظر :

⁶ - E. Daumas, *Correspondances du capitaine Daumas consul à Mascara, 1837-1839*, op.cit., p. 105.

⁷ - E. Kaller, *Le général De La Moricière sa vie militaire, politique et religieuse*, op.cit., t. 1, p. 261.

⁸ - T. Changarnier, *Mémoire du général Changarnier*, op.cit., p. 268 -270.

⁹ - Ibid., id., p. 245.

⁹ - Ibid., id., p. 247.

من شهر جويلية قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة العقيد كورت "Korte" رفقة 250 من قناصة افريقيا بعملية الابدادة ضد القبائل المهاجرة بمنطقة شلف والتي حاولت الهجرة لحماية أطفالها ونسائها وقطعانها من الحملات الفرنسية التي كانت تستهدف ثروات القبائل الجزائرية من أجل تفقيرها والقضاء على مصادر تمويل الجيش الشعبي الوطني بعد اخضاع القبائل الجزائرية للصف الفرنسي حتى لا يتسنى للمقاومة الشعبية الوطنية من مواصلة مشوارها النضالي ضد قوات الاحتلال الفرنسي التي كانت مساعيه احتلال جميع الأراضي الجزائرية، حيث تم قتل 40 شخص وعلى الساعة 3 بعد الظهر اختطفت 3 آلاف شخص ونهبت 1500 جمل، و300 حصان و50 ألف رأس غنم بينما قامت قوات الاحتلال الفرنسي التي كانت بقيادة الجنرال شونقارني بشحن هذه المؤن والغنائم وساقوها نحو مدينة مليانة¹

قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال شونقارني رفقة عمر بن فراح بقيادة بعض الفرسان يوم 10 سبتمبر بالتوغل بمنطقة فودة وتم نهب عدد من الماشية حاولت هذه القبائل المقاومة ولقد تم اخضاعها جزئيا، وفي 22 سبتمبر أعلنت بعض القبائل بضواحي تيارت خضوعها للعقيد لامورسيير وتم تجنيد أبناء هذه القبائل في الجيش الفرنسي ضد قوات الجيش الشعبي الوطني وقد استخدموا في الحملة على الزمالة²، وفي شرق أولاد بلادة تم حرق وتخریب السكنات وبعد هذه العمليات العسكرية رجعت قوات الاحتلال الفرنسي الى مدينة مليانة ودخلتها يوم 26 سبتمبر³ ولقد فرض الجنرال بيجو على قبائل يسر غرامة مالية قدرها 6 آلاف بوجولي و600 بندقية⁴ وفي شهر نوفمبر أعلن قادة الكرافة خضوعهم لقوات الاحتلال الفرنسي⁵. وخلال شهر ديسمبر قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة العقيد كورت ضد أغاليك جنوب المدية بنهب عدد من الغنائم، وفي 9 ديسمبر كان العقيد لامورسيير يتابع قبيلة الفليتة حيث كان يوجد بها 1000 خيمة تضم ما بين 6000 الى 7000 شخص و قطعانا من الأغنام فقام بمهاجمتهم و نهب منهم 100 رأس ثور و500 رأس غنم و20 حصانا⁶ وعلى الساعة الثالثة بعد الظهر قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال بيجو بمنطقة واد رهيو بتخريبها لقرية خميس بني وراق بالضفة اليمنى من وادي شلف

¹ R. Demont, *Histoire de la conquête de l'Algérie de 1830-1847*, op.cit., t. 2, p. 194.-

² T. Changarnier, *Mémoire du général Changarnier*, op.cit., p. 268.-

³ R. Demont, *Histoire de la conquête de l'Algérie de 1830-1847*, op.cit., t. 2, p. 198 -200.-

⁴ Ibid., id., t. 2, p. 204.-

⁵ Ibid., id., t. 2, p. 156.-

⁶ E. Kaller, *Le général De La Moricière sa vie militaire, politique et religieuse*, op.cit., t. 1, p. 273.-

وتم اخضاع قبيلة بني راشد وقد خضع محمد بلحاج بمنطقة الونشريس في 16 ديسمبر الى قوات الاحتلال الفرنسي وطلب من الجنرال بيجو الأمان وصرح قائلاً : " لقد كنت عدوا جد عنيف، بكل صراحة، فقد كنت وفيًا للأمير عبد القادر وبعد أن فقدت 6 أبناء بالمعارك حوصرت وانهارت سلطة قبيلتنا وعندما انتصرتم علينا نقدم لكم خضوعنا"¹ وقد قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال دوبار "Debar" رفقة الجنرال شونقارني جنوب المدينة باخضاع عدة قبائل بينما رفضت إحدى القبائل الخضوع للسلطات الفرنسية فتم معاقبتها ونهبت 300 رأس ماشية أبيدت هذه القبائل² وفي إقليم وهران قامت قوات الاحتلال الفرنسي بعدة حملات ضد قبائل بني عامر لتخطينها والقضاء على المقاومة الوطنية التي كانت تستند على القبائل في عمليات التموين بالمؤن وفي عمليات التجنيد ضد قوات الاحتلال الفرنسي، لقد ساند بن عبدالله ولد سيدي العربي بمنخفضات شلف قوات الاحتلال الفرنسي بمنحهم 600 فارس وعدة مكاسب وثروات وقد أخضعت عدة قبائل من الحشم، البرج ، الغرابية، القطارنية، أولاد سليمان،³ قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة العقيد لامورسيير رفقة الجنرال داربوفيل⁴ بابادة قبيلة أولاد خويدم وقبائل الفليطة وتسببوا في أضرار جسيمة⁵. وفي فصل فصل الصيف قام جيش الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال بيجو بتخريب عدة حقول بمنطقة مليانة⁶، بينما قامت قوات جيش الاحتلال الفرنسي بقيادة العقيد كورت بابادة ضد قبيلة تلمسيل وتم اختطاف 3000 شخص ونهب 1500 جمل وبغال و1600 رأس غنم.⁷ لقد قام باي مستغانم بمساعدة جيش جيش الاحتلال الفرنسي بنهب غنيمة متكونة من 150 جمل وما بين 2000 الى 3000 رأس بقر و8000 رأس خروف وكمية هائلة من الأحصنة والبغال واختطفوا عددا من النساء والأطفال والشيوخ تعتبر هذه الابادة من أهم الابادات بالمنطقة⁸ وقامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال شونقارني بجريمة كبرى حيث قتل أكثر من 400 شخص كان هذا غرب مدينة مليانة⁹

¹ - H. D'Estre, *Les conquérants de l'Algérie (1830-1852)*, op.cit., p. 109.

² - Ibid., id., p. 196.

³ - R. Demont, *Histoire de la conquête de l'Algérie de 1830-1847*, op.cit., t. 2, p. 138.

⁴ - داربوفيل: ولد في 1789 وشارك في حملة الجزائر كقائد كتيبة عاد إلى إفريقيا في 1838 كقائد المجموعة الـ 26 ينظر:

T. Changarnier, *Mémoire du général Changarnier*, op.cit., p. 206.

⁵ - Ibid., id., p. 146 -147.

⁶ - Ibid., id., p. 162.

⁷ - L. Plée, *Abd-el-kader*, op. cit., p. 136.

⁸ - C.Lamping, *Souvenirs d'Algérie 1840-1842, Frinnerugenans Algériens*, trad.A. Carré, E. Bouchene, Paris, 2000, p. 102.

⁹ - Q. Lépine, *Le Maréchal Saint Arnaud d'après sa correspondance et inédits années de jeunesse la conquête de l'Algérie 1798-1850*, op.cit., p. 278.

وفي مارس 1843م قتل الشيخ سيدي زردود وعرض رأسه وذراعه أمام العرب الحاضرين.¹ وفي 11 مارس قامت قوات الاحتلال الفرنسي بعمليات الإبادة بين منطقة فرندة² ومدرسة فقتلوا الأطفال، والنساء ونهبوا المواشي وبعد هذه الحملة أعلنت قبيلة صدمة خضوعها، لم ترع قوات الجيش الفرنسي في حملاتها الإبادة أدنى القيم الإنسانية حيث لم يسلم حتى الأطفال من القتل والتعذيب والتشريد ولم تحترم القوانين الحربية التي تنص على عدم المساس بالأطفال والنساء والشيوخ وبالغزل³ وقامت القوات الفرنسية بقيادة العقيد كافنيك بإبادة قبيلة نزلوية التي كانت تساند قوات الجيش الشعبي الوطني بقيادة الخليفة بن سالم وقد تواصلت عمليات الإبادة وتمت إبادة قبيلة أولاد رحمان ونهب منها 12000 رأس خروف، و500 جمل، واختطاف النساء والشيوخ والأطفال وتم اختطاف 1900 شخص من قبيلة صبيح⁴ وخلال الفترة الممتدة بين 24 ديسمبر 1842م إلى غاية شهر أكتوبر 1843م قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال بيجو باخضاع عدة قبائل أهمها قبيلة بني مناصر مابين 20 جانفي إلى غاية 5 فيفري وتم إخضاع قبيلة بني مناد مابين الفاتح من شهر مارس إلى غاية 15 مارس، وفي 11-12 ماي هاجمت قوات الاحتلال الفرنسي قبيلة صبيح بقيادة العقيد سانت أرنو بين تنس وشلف حيث اختطف 2000 شخص وغنيمة معتبرة بين 400 و500 فرس وأحمره وعدد كبير من الغنم حوالي 12000 رأس غنم قصد إخضاعهم⁵ أما فيما يخص منطقة الونشريس فقد طالبت مدة إخضاعها منذ 23 أبريل إلى غاية- 15 جويلية⁶ وفي 17 أكتوبر 1843م كانت الخسائر البشرية كبيرة عند القبائل حيث كان الجنود يمشون على الجثث قرب جيجل وقسنطينة⁷

¹ - Ibid., id., p. 302.

² - فرندة: واحة على بعد 108 كم جنوب شرق معسكر قرب عيون واد التحت الذي يتفرع عن وادي مينا على أراضي الحوارث ينظر:

E. Daumas, *Correspondances du capitaine Daumas consul à Mascara, 1837-1839*, op.cit., p. 132.

³ - De Mintimpry, *Souvenirs d'un officier d'état major histoire de l'établissement de la domination française dans la Province d'Oran*, op.cit., p. 137.

⁴ - L. Plée, *Abd-el-kader*, op. cit., p. 148-149.

⁵ - Q. Lépine, *Le Maréchal Saint Arnaud d'après sa correspondance et inédits années de jeunesse la conquête de l'Algérie 1798-1850*, op.cit., p. 312.

⁶ - T. Changarnier, *Mémoire du général Changarnier*, op.cit., p. 282.

⁷ - Q. Lépine, *Le Maréchal Saint Arnaud d'après sa correspondance et inédits années de jeunesse la conquête de l'Algérie 1798-1850*, op.cit., p. 343.

يعتبر بن علال المدعو ولد سيدي مبارك أكثر خلفاء الأمير عبد القادر وفاء و إخلاصا بوغت يوم 11 نوفمبر 1843م وتم قتله في معركة واد المالح قرب مليانة من طرف قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال تمبور وأبديت القوات النظامية التي كانت تحت قيادته .¹

كتب العقيد " Forey " فوري² 1843م : "انطلقت من مليانة وشرشال سبعة طوابير بهدف التخريب واختطاف أكبر عدد من قطعان الغنم وعلى الأخص اختطاف النساء والأطفال لأن الجنرال بيجو كان يريد ارسالهم الى فرنسا وأن يلقي الفزع في قلوب السكان"³. وفي سنة 1844 قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة العقيد كافنيك ضد قبيلة صبيح التي رفض سكانها الخضوع لقوات الاحتلال الفرنسي والتجأوا الى إحدى المغارات ولما علمت قوات الجيش الفرنسي بمكانها أمرالعقيد بإشعال نار كبيرة أمام مدخل المغارة، مات المحاصرون من شدة الاختناق والحرق، الحملات الفرنسية الالابادية لم تراع أدنى القيم الانسانية وحتى الحيوانات لم تسلم من الحرق بفعل الجرائم الفرنسية المرتكبة في حق الشعب الجزائري الذي أراد فقط الدفاع عن حريته وسلامة أراضيه وقد قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال لامورسيير في الفاتح ماي 1845 من القضاء على قبائل بريزينة ونهبت خيولهم وتم اخضاع قبائل طرارة⁴ وأخذت مؤنهم⁵ وفي 26 ماي 1845 قامت القوات الفرنسية بوهران باعدام مقاوم اسمه"بن قنديل بن جفال".⁶

قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال لامورسيير سنة 1845 بآبادة ضد قبيلة تمسينة وأخرى بوادي الحداد تم نهب غنمهم، وثيرانهم ونهبت مطامير مدروسة وبمنطقة الظهرة نهبت عددا كبيرا من الأنعام 6000 خروف وأحصنة وأبقار وتم اختطاف عدة أشخاص⁷، كما قامت بمنطقة تيارت بآبادة قبيلتين من الحرار ونهبت 4 آلاف رأس غنم من قبائل المقدارة⁸ وبمنطقة

¹ - P. Azan, *Bugeaud et l'Algérie*, op. cit., p. 75.

² - فوري 1804-1872: شارك في حملة الجزائر كملازم أول للمجموعة 2. عاد إلى إفريقيا في 1835 وبرز في معسكر وقسنطينة. قائد فرقة في 1840، مقدما في 1842. ثم برز في معارك واد الفضة والقبائل 1847 أنظر:

T. Changarnier, *Mémoire du général Changarnier*, op.cit., p. 236.

³ - الأشرف مصطفى، المرجع السابق، ص. 108.

⁴ - طرارا: منطقة جبلية تسكنها قبائل بربرية بين البحر شمالا والحدود المغربية غربا واد تافنة جنوبا وشرقا تشكل طرارا أغاليكا تابعا لإقليم الغرب أنظر:

E. Daumas, *Correspondances du capitaine Daumas consul à Mascara, 1837-1839*, op.cit., p. 4.

⁵ - R. Demont, *Histoire de la conquête de l'Algérie de 1830-1847*, op.cit., t. 2, p. 236-237.

⁶ - I. Derrien, *Les Français à Oran depuis 1830 jusqu'à nos jours*, op.cit., p. 190.

⁷ - R. Demont, *Histoire de la conquête de l'Algérie de 1830-1847*, op.cit., t. 2, p. 242-243.

⁸ - Ibid., id., t. 2, p. 248.

السوقر تم نهب 9 آلاف رأس ماشية وفرضت على قبائل الحرار وأولاد كرليف دفع 600 فرنك مقابل اعلان خضوعهم¹

لقد صرح الجنرال بيجو أمام مجلس النواب يصف روح المقاومة الجزائرية :

" لوكان سكان الجزائر قوما آخرين غير العرب أوكانوا يشبهون شعوب الهند المخنثة لما أوصيت أبدا بصرف الأموال الطائلة في سبيل تعمير البلاد بالعساكر، ولكن وجود هذه الأمة القوية العتيدة المستعدة كامل الاستعداد للحرب والمتفوقة على العناصر الأوروبية والتي كنا ننوي ادخالها للبلاد كل ذلك يحتم علينا أن نختار العناصر القوية من الأوروبيين لتوطيئهم أمام أولئك العرب وجنبا الى جنب معهم " ²، ويؤكد الجنرال شونقارني قوة المقاومة الشعبية الوطنية في تصريحاته من خلال مذكراته : " استعملنا مع الأمير عبد القادر نفس الخطط العسكرية التي استعملناها في الحروب الأوروبية وذلك طوال المدة التي كانت له فيها قوات عسكرية وحكومة كسائر الحكومات ومراكز لإدخار المؤن والعتاد والمخازن " ³ لقد كانت الحرب بالجزائر أكثر غموضا ومأسوية من جهة التقتيل ومن جهة أخرى المجازر والإبادات الجماعية إلى جانب العقوبات، تحت أسلوب التحطيم والتدمير، وعمليات صاخبة ومشادات طول النهار دون فائدة عمليات جنونية ضد الإنسان إختلطت بالغضب الصامت للعتاد الحربي، جرحى حتى الموت، البربرية تتجادل عتاق الحضارة وتبحث عن الضربة القاضية ⁴

¹ - R. Demont, *Histoire de la conquête de l'Algérie de 1830-1847*, op.cit., t. 2, p. 256-257.

² - الأشرف مصطفى، المرجع السابق، ص. 81-82.

³ - T. Changarnier, *Mémoire du général Changarnier*, op.cit., p. 331.

⁴ - J. Ladmir, *Les guerres d'Afrique*, op. cit. , p. 354.

- محرقة الظهر :

قامت القوات الفرنسية بقيادة كل من العقيد "Saint Arnaud"¹ والعقيد بليسي² والعقيد لادميرو بمنطقة الظهر بمعاينة القبائل التي إنضمت الى المقاومة الشعبية بقيادة بومعزة وعملت هذه القوات الفرنسية على ممارسة الضغط ضد هذه القبائل ومن شدة الخوف التجأت قبيلة أولاد رياح من نساء وأطفال وشيوخ الى احدى المغارات³ وبعدها عثرت عليهم قوات جيش الاحتلال الفرنسي قامت بمحاصرتهم واخضاعهم للجوع و لكن الحصار لا يخدم الحملات العسكرية في 08 جوان 1845م توجهت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة سانت ارنو الى المغارات وحاصرها وأغلق منافذها من كل الجوانب و في اليوم 11 قام بالحرق حيث هلك أكثر 500 شخص مع البهائم⁴

" سوف نقوم بحرقكم كالكلاب لأنهم لن يستسلموا كان لهيب النيران يشتعل داخل المغارة ويسمع النواح وبكاء النساء والأطفال لقد بقيت النيران تشتعل حتى الليل وفي الصباح عم سكون تام ولما شمل الدخان المغارة ومن شدة الاختناق قامت امرأة بالدفاع عن طفلها من الثور الهائج ووجدت جثث قد أحرقت وأفواهها تنزف دما لقد خلفت محرقة الظهر 600 قتيل، لقد برر الجنرال بيجو هذه المحرقة وإعتبرها تضيقا للوقت مضيعة لـ 15 يوما لقواتنا من أجل إخضاع منطقة الظهر⁵" كانت الجريمة صيفا في 19 - 20 جوان بقي اشتعال النار داخل المغارة مدة يومين كاملين حتى صارت الجثث مفعمة المنظر كان رهيبا وتقدر الضحايا بين 500 الى 1000 شخص والى جانب الحيوانات من أغنام بقر وخيول وبغال وحمير وأمتعة وبعد العملية التي لم يسبق فعلها في التاريخ أظهر الاستعمار وحشيته من البشاعة وغابت الانسانية وبعدها بعث العقيد بليسي تقريرا الى الجنرال بيجو يخبره عن المحرقة والخطط المرسومة التي نفذت بها أعطى الجنرال بيجو أوامره بينما العقيد بليسي نفذها ومن خلال التقرير الرسمي يظهر الدفاع عن الانتقادات من طرف مجلس النواب الفرنسي والصحافة المكتوبة فالجريمة ارتكبت باسم فرنسا المدافعة عن حقوق الانسان⁶

¹ - لوروا دوسانت أرنو 1798-1854: ولد في باريس، في 1833 كان مساعدا لبيجو الذي دعمه، وصل إلى إفريقيا في 1836، عقيد في 1844 ثم. ضابط فرقة ووزير حرب في عهد لويس فيليب 1851، أنظر:

T. Changarnier, *Mémoire du général Changarnier*, op.cit., p. 218.

² - أمابل بليسي 1794-1864: دخل مدرسة قيادة الأركان 1819، شارك في حملات إسبانيا 1823 والجزائر التي عاد إليها في 1841 كمقدم تقلد في 1843 مهام نائب قيادة أركان الجيش ثم قائدا لأركان الجيش، ضابط فرقة في 1850 واحتل الأغواط. 1855 أنظر:

T. Changarnier, *Mémoire du général Changarnier*, op.cit., p. 240.

³ J. Ladmir, *Les guerres d'Afrique*, op. cit., p. 341.

⁴ Q. Lépine, *Le Maréchal Saint Arnaud d'après sa correspondance et inédits années de jeunesse la conquête de l'Algérie* 1798-1850, op.cit., p. 363.

⁵ J. Ladmir, *Les guerres d'Afrique*, op. cit., p. 442 - 443.

⁶ R. Bousquet, *L'affaire des grottes du Dahra* 19 - 20 Juin 1845, *Revue Africaine*, t. 51, 1907, p. 142.

وصف روسي " Rousset " هذه المحرقة قائلا: " كان الحريق قد وصل الى أمتعة اللاجئين، وفي الليل خيل للجنود أنهم يسمعون ضجة لاتكاد تبين وصيحات خافتة، ثم ساد صمت عميق وفي وقت مبكر من الصباح استطاع بعض الرجال أن يخرجوا من المغارة فسقطوا مخنوقين الأنفاس أمام الحرس، وكان الدخان الذي انتشر في المغارة كثيفا مؤذيا الى حد أن الجنود لم يتمكنوا في بداية الأمر من الدخول على أننا كنا بين الحين والآخر نرى مخلوقات بشرية مشوهة تخرج من المغارات زحفا على البطون فيحاول آخرون ممن بقي متمسكا بمبادئه الى آخر رفق أن يمنعهم من الخروج وحينما تمكنا في آخر الأمر من زيارة ذلك الجحيم بعد أن خمدت فيه النيران عدنا أكثر من خمسمائة من الضحايا ما بين رجال وأطفال ونساء وقد أصيب جميع الحاضرين بوجوم شديد لهول الفاجعة ¹. يصرح العقيد "سانت أرنو" عن مجزرة قتل قبيلة صبيح في جبال الظهرة وهو الأمر الذي جعل يبجو يؤيده.

«اغلقنا كل المنافذ و جئنا بالحطب و أشعلنا النار كان الوقت ضيقا و لم نترك احدا يخرج من المغارة ،كنا نطلق النار لنجبرهم على البقاء داخلها و بعد ساعات صار المكان مقبرة جماعية،صورة مرعبة حقا ²:» «المحرقة الثانية من قبل "سانت أرنو" أوت 1845»

في قال "سانت أرنو": يوم "08 أوت 1845" تعرفت على كهوف قبيلة صبيح وفي 09 أوت حاصرت المكان جيدا وانتظرت حتى يوم 12 أوت 1845 أغلقت الكهوف بأحكام وأشعلت النار فصارت هذه الكهوف مقابر ضخمة تأوي 500 شخص منذ ذلك اليوم. ³ قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة العقيد كامو "Camon" ⁴ في يوم 7 مارس 1846 بمنطقة جرجرة ببلاد القبائل بنهب 1000 جمل و 25,000 رأس غنم وعدة غنائم. ⁵ وفي 14 أفريل 1846 تم قتل 60 فردا وقد قطعت أعضاء 39 فردا منهم من قبل الجنود الفرنسيين وتم نهب قطعان من الغنم ⁶ وفي 18 أفريل 1846 هاجمت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة العقيد سانت أرنو قبيلة بعين مراد بمنطقة الظهرة

¹ - الأشرف مصطفى ، المرجع السابق ، ص. 112-113.

² - A. Toqueville, *Travail sur l'Algérie 1841 de colonisation en Algérie*, op.cit., p. 31.

³ - B. Chikh, Dj. Mohamed, *L'Algérie coloniale par les textes 1830-1962*, éd. Hammouda, Alger, 2003, p. 49.

⁴ - كومان : قائد فيلق في 1830، وعقيد في 1840، قاد قسمة المدينة ووحدة من 18 فرقة أرسلها الماريشال للبحث عن الأمير توفي في 1845 أنظر:

T. Changarnier, *Mémoire du général Changarnier*, op.cit., p. 242.

⁵ - H. D'Estre, *Les conquérants de l'Algérie (1830-1852)*, op.cit., p. 132.

⁶ - Q. Lépine, *Le Maréchal Saint Arnaud d'après sa correspondance et inédits années de jeunesse la conquête de l'Algérie*

1798-1850, op.cit., p. 352.

وتم قتل 200 شخص وحرقت الأكواخ وقطع الأشجار¹ وفي 21 ماي بمنطقة شلف قامت قوات الاحتلال الفرنسي بالزام القبائل بتسليم الأسلحة ودفع 25000 فرنكا لتدعيم الجيش الفرنسي²

2- تحطيم منشآت الصناعة الجزائرية التي أنشأها الأمير عبد القادر:

لقد قامت القوات الفرنسية باتخاذ الوسائل والامكانيات اللازمة من أجل القضاء على المدن التي تدار بها الصناعة والحصون التي أنشأت من أجل مراقبة التوسع الفرنسي والحد من تقدمه وحسب تصريحات القادة العسكريين الفرنسيين: "الآن يجب تدمير الأماكن المنظمة والمحصنة من طرف الأمير عبد القادر من أجل جعلها مراكز للتموين وإقامة مصانع الأسلحة بسلسلة من الغزوات والحرقت سهلت النظام جهة المدينة ومليانة."³ من أجل عزل الأمير عن القبائل المحاربة يجب مطاردته في كل مكان وضرب قوته لكي تفشل.⁴ وكان الهدف الأول للجنرال بيجو الحصول على إخضاع القبائل وللوصول الى هذا المبتغى اتخذ اجراءات تطبيقية فقام بمنع التجارة مع القبائل التي لم تخضع للسلطات الفرنسية⁵ ان الهدف الذي تبناه الجنرال بيجو كان تدمير واحتلال المدن التي أنشأها الأمير عبد القادر لإقامة المخازن ومصانع الأسلحة أهمها معسكر، سعيدة، تلمسان، سبدو، بوغار، وتازة وصلت القوات الفرنسية الى معسكر متبوعة ومضايقة من طرف قوات الجيش الشعبي الوطني الذين تجنبوا المعركة واستولت هذه القوات على المدينة وتم تدميرها ونصب بعدها الجنرال بيجو عليها حامية مكونة من ثلاثة فيالق مشاة وكتيبة من الهندسة⁶ قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال براقى هليي بتدمير المدن التابعة لاقليم الجزائر يوم 23 ماي 1841م ببوغار حيث شيد الأمير عبد القادر مخبزة ومشفى ومخزنا ودكاكين ومصانع.⁷

¹ - Ibid., id., p. 353.

² - Ibid., id., p. 356.

³ - A. Lichtenberger, *Les grandes figures coloniales Bugeaud*, éd. Plon, Paris, 1931, p. 152.

⁴ - T.-R. Bugeaud, *Mémoire sur notre établissement dans la Province d'Oran*, éd. Laguionie, Paris, 1838, p. 57.

⁵ - Ibid., id., p. 58.

⁶ - Ibid., id., p. 60.

⁷ - Ibid., id., p. 62.

- **تحطيم حصن سبدو** : توجهت القوات الفرنسية بقيادة الجنرال بيجو رفقة مصطفى بن إسماعيل وقام محمد عبد الله بإرشادهم نظرا لمعرفته الجيدة للمنطقة، توجهت القوات الفرنسية يوم 8 فيفري 1842 إنطلاقا من مدينة تلمسان نحو سبدو من أجل تحطيم الحصن الذي كان تحت إدارة الخليفة البوحميدي يقوم بحراسته حوالي 200 فارس، وجدت الحصن قد أخلي وتم تحطيم الحصن¹

- **تحطيم تاقدمت** : كانت تاقدمت تعتبر المصدر الرئيسي الذي تمون منه قوات الجيش الوطني الشعبي بقيادة الأمير عبدالقادر، لذا قررت قوات الاحتلال الفرنسي تحطيمها أواخر شهر ماي 1841م بقيادة الجنرال بيجو وتم إحضار فيلقين من الزواف بقيادة العقيد كافينيالك جاء معهم الدوق نمور مع كتيبة فرنسية وإنضموا إلى العقيد لامورسيير وكان معهم النقيب دوما كمرشد لتحطيم مدينة معسكر التي تركوا بها حامية متكونة من 2000 جندي، وتوجهت معهم من مستغانم 120 عربية للمدافع وقبل وصول القوات الفرنسية لتاقدمت تمت بعض المشادات مع قبائل أولاد علوك وفيطاس وفي 24 ماي 1841م أول من وصل برج تاقدمت هو العقيد بليسي، لما دخل البرج وجد الجيش الوطني الشعبي قد دمر كل ما بالمدينة وحطمت الطاحونات لصنع البارود وفكت الأجهزة المتعمدة لصنع الأسلحة والبارود وبعثرت وأخرى قاموا بتخزينها لأنهم لم يستطيعوا حملها، وهدم البرج نهائيا يوم 25 ماي 1841م كانت عدة مخازن ومصانع للأسلحة دمرت وأحرقت وتم بعدها تحطيم مدينة معسكر .

¹ - R. Demont, *Histoire de la conquête de l'Algérie de 1830-1847*, op.cit., t. 2, p. 128.

- تحطيم حصن بوغار :

يوم 14 ماي 1841م توجهت القوات الفرنسية بقيادة الجنرال هليي جنوب المدينة حتى الحدود الصحرواية من أجل تحطيم وتخريب منشآت الأمير عبدالقادر بالإستيلاء على جميع ما وجدوه بالحصن، وقاموا بحرق وتحطيم وتخريب الحصن وتحطيم حصن تازة على السادسة مساء في 25 ماي 1841م.¹ لقد قام الأمير عبدالقادر بصرف أموال الخزينة من أجل بناء المنشآت العسكرية ومؤسسات ومصانع وورشات من أجل التحضير لحرب طويلة الأمد ضد قوات الاحتلال الفرنسي

- تحطيم العاصمة المتنقلة الزمالة : الزمالة التي أنشأها الأمير عبدالقادر يسكنها حوالي 40

ألف شخص تحتوي على ورشات لتحضير الأسلحة والمؤن الحربية، أوكلت مراقبتها بقيادة الخليفة مصطفى بن التهامي وقد تمركزت بضواحي قوجيلة، تمت مراقبتها بواسطة الآغا عمار بن فرحات على أنها موجودة قرب طاقين، قامت القوات الفرنسية بقيادة الجنرال دومال² بمتابعة تحركاتها عبر واد واصل وفي يوم 14 ماي لم تعثر على مكان تمركزها حيث كانت على بعد 15 فرسخا بالجنوب الغربي بمنطقة سوق ركاي وتم حجز عدة أشخاص ونهبت عدة غنائم يوم 15 ماي ، وفي 16 ماي 1843م وصلت طاقين وفي طريقها على قبيلة بني عياد على الساعة 11 صباحا قامت قوات الاحتلال الفرنسي بمهاجمة الزمالة من الناحية الجنوبية من طرف فرسان العقيد يوسف وفرقة قناصة افريقيا بقيادة العقيد موريس " Morris " ³ وبعد ساعة ونصف تمت محاصرة السكان الذين بلغ عددهم حوالي 60 ألف نسمة توفي 300 جندي بينما فقدت قوات الاحتلال الفرنسي 9 قتلى و12 جريح،⁴ كان بالمخيم حوالي 5 آلاف شخص قتل 300 شخص وخسرت القوات الفرنسية 9 أشخاص 12 جريحا وبعد 6 أيام بالمنطقة تم نهب عدة غنائم من المنطقة ⁵ قدرت ب 40 آلاف

¹ R. Demont, *Histoire de la conquête de l'Algérie de 1830-1847*, op.cit., t. 2, p. 159-161.

² -دومال: ، ولد في 16 فيفري 1822 ببباريس، أصبح جنرالاً في 03 جويلية 1843، ثم حاكماً لإفريقيا من 11 سبتمبر 1847 إلى فيفري 1848، جاء إلى الجزائر في سنة 1840، وعندما كانت قوات الاحتلال الفرنسي تطارد قوات المقاومة الشعبية كان برتبة عقيد لفرقة العنف رقم 24، و في سنة 1843 أصبح على رأس قوات الزواف ، ولقد قام بحملة ضد زمالة الأمير عبدالقادر توفي في سنة 1897 بسيسيل أنظر:

T. Changarnier, *Mémoire du général Changarnier*, op.cit., p. 85.

³ -موريس 1803-1867: أحد أبرز جنود الحملة، وصل الجزائر في 1832 بصفته نقيباً، قائد الفرقة الثانية في 1843، برز في سقوط زمالة ومعركة أنظر:

T. Changarnier, *Mémoire du général Changarnier*, op.cit., p. 106.

⁴ -P. Azan, *Bugeaud et l'Algérie*, op. cit., p. 72.

⁵ -R. Demont, *Histoire de la conquête de l'Algérie de 1830-1847*, op.cit., t. 2, p. 247- 250.

رأس ماشية وفي 17 ماي 1843 حرقت جميع الخيام واختطف 6000 شخص من بينهم عائلة ولد سيدي مبارك.

عملت قوات الجيش الفرنسي للقضاء على الصناعة الجزائرية الحربية حتى لا تتمكن المقاومة الشعبية الوطنية من مواصلة مشوارها الجهادي.

3- الاستيطان الفرنسي بالأرض الجزائرية:

عمل الجنرال كلوزال على الإحتفاظ بالحكم العسكري وإخضاع جميع مناطق البلاد الجزائرية بعد القضاء على المقاومة الشعبية الجزائرية ووضع أسسا لتجنيد أبناء الشعب وتوزيع الأراضي على المستوطنين أو مساعداتهم لشراء أراضي من الجزائريين وكانت طموحاته إنشاء مستعمرة فرنسية تشتهر بإنتاج قصب السكر والبن والقطن وكان يفضل توزيع هذه الأراضي على الجنود الفرنسيين بعد إنهاء خدماتهم العسكرية بإعطائهم قطع أرض كبيرة وتوفير لهم الأدوات والمؤن اللازمة لمباشرة أعمالهم¹.

وصل لمدينة الجزائر سنة 1832م مهاجرين بروسين وسويسريين وزعتهم السلطات الفرنسية إلى مجموعتين تكونت الأولى من 50 عائلة أقامتها بدالي إبراهيم ووزعت عليها أراضي مساحتها 227 هكتارا والمجموعة الثانية متكونة من 23 عائلة أقيمت بالقبة وزعت عليها 33 هكتارا من الأراضي وكان مصير هذه المحاولة الرسمية الفشل.

لقد قام بعض الفرنسيين بالتخلي عن وظائفهم بفرنسا مقابل شراء الأحواش المحيطة بمدينة الجزائر بطرق مبهمّة مثل فونيتير "Fantir" الذي تحصل على أكثر من 200 هكتارا بحسين داي وفيالار "Vialare" الذي تحصل على 180 هكتارا بالقبة².

كان أعضاء اللجنة الحكومية الجنة الإفريقية بعد عودتهم إلى فرنسا من دعاة الإستيطان حيث أوصت اللجنة بالدفاع عن سهل المتيجة الخصيب ، وضعت نظاما خاصا لترغيب المهاجرين الأوروبيين وتوزيع الأراضي عليهم ، وهذا ما شجع بعض أصحاب رؤوس الأموال للمجيئ إلى الجزائر والإستيطان فقد إستقروا بمنطقة الأربعاء وحوش قدورة وحوش الخطاب قرب الأربعاء وببراقى والرغاية من أهم الذين تحصلوا على أكبر الأراضي "Mir". تحصل على ثلاثة أحواش

¹ - 76. p. Ch.-A. Julien, *Histoire de l'Algérie contemporaine conquête et colonisation (1827- 1871)*, op.cit., p. 76.

² - 20. p. L. Boudicour, *Histoire de colonisation de l'Algérie*, éd. Lecoffre, Paris, 1856, p. 20.

مساحتها 200 هكتار وتحصل على قرض من الإدارة الفرنسية بلغت قيمته 100 فرنك فرنسي وتحصل على أرض 4000 هكتار مستوطن بولندي مير ميرسكي " Mir - Mirski " سنة 1834م¹، بعد عودة الجنرال كلوزال 1835م إلى الجزائر قام بتشجيع عملية الإستيطان لجعل من الجزائر مستعمرة تعج برؤوس الأموال الأوروبية وزع على القادمين من أوروبا أراضي لإغرائهم بالإقامة والإستيطان وأنشأ مركزا إستيطانيا ببوفاريك 1836م وزعت إدارته على الوافدين الأوروبيين و173 قطعة مساحة الواحدة منها تبلغ 4 هكتارات و562 قطعة تبلغ ثلث هكتار للأحواش المجاورة لبوفاريك، وحوش الشاوش وحوش بويعقوب²

أعطى قرار في 27 سبتمبر 1836م دفعة كبيرة لعملية الإستيطان الرسمي، وهذا بعدما كلفت الإدارة الفرنسية مواصفات بناء مستوطنات إستيطانية وإستغلال الأرض مدة ثلاثة سنوات وغرس 70 شجرة بكل هكتار وإستصلاح الأراضي بالمستقعات هذا من أجل الإستفادة من عقود الملكية وإمكانية تبديل أراضيهم، ويقوم هؤلاء المستوطنون بمساعدة السلطات الفرنسية بدفع فرنكين على الهكتار الواحد من أجل الإنجازات الأولية لقد إستغلت هذه الأراضي ببوفاريك وبلغت عدد الأراضي 110 ألف هكتار، أقيمت 83 مسكنا منجزا أوفي طريق الإنجاز ضمت هذه المستوطنة 76 واحدا ، لقد طلبت الحكومة الفرنسية من الحاكم العام بالجزائر 1838م بوضع مراسيم للأراضي الشاغرة، ومخططات نموذجية للمساكن الصالحة بكل منطقة لتحديد مناطق إقامة مراكز إستيطانية وقع إختياره على 6 أحواش، سوق علي وبويعقوب وميموش بأولاد هبورة، ونوارلوس وغربة، ومن المقرر أن المنطقة ستكون جاهزة نهاية السنة لإستقبال 20 إلى 40 عائلة مهاجرة، تطور الإستيطان بالمنطقة وصل إلى 316 عائلة تمثل 1500 مستوطن.

لقد حاولت قوات الجيش الشعبي الوطني إفشال عملية الإستيطان الأوروبي على الأراضي دفاعا عن أراضيهم وممتلكاتهم، لقد كانت المقاومة الوطنية تعمل على إفشال المشاريع الفرنسية الإستيطانية وذلك من خلال الحملات العسكرية والهجومات التي عرفتتها قوات الإحتلال الفرنسي بضواحي مدينة الجزائر بسهولة المتيجة مما دفع الجنرال فالي 1839م طلب مغادرة المستوطنين الأوروبيين بسهولة المتيجة نحو مدينة الجزائر يقول بير ميهوف " De Peyerhimoff ".

¹ - L. Boudicour, *Histoire de colonisation de l'Algérie*, op.cit., p. 26 -30.

² - M.De Peyerhimoff, *Enquête sur les résultats de la colonisation officielle, 1871-1895*, éd. Torrent, Alger, 1906, t. 1, p. 18.

" كان لزاما علينا إرجاع المستوطنين بالقوة وإلا هلكوا فهناك من تعرض للقتل وهناك من نجا من الموت مصادفة ففي 20 نوفمبر 1839م لم يبق أي شيء من الإستيطان في سهل المتيجة فقد اجتاحت قوات الجيش الشعبي الوطني الجزائري بقيادة الأمير عبد القادر المنطقة وأخذت تستولي على المواشي حتى في منطقة الحامة " ¹، هذا دليل على قوة المقاومة الشعبية الوطنية التي رفضت السياسة الإستيطانية الفرنسية وإغتصاب الأراضي الجزائرية ومصادرتها والعمل على تهجير الجزائريين وتفقيرهم وطردهم نحو الصحراء ،لذا عملت قوات الجيش الشعبي الوطني للدفاع عن وحدة أراضيها من السلب من طرف قوات الإحتلال الفرنسي وإنتهاكاته ومصادراته لأراضيهم من أجل القضاء على المقاومة الشعبية ومصادر تمونها .

لقد شجعت الحكومة الفرنسية أصحاب رؤوس الأموال للعمل في ميدان الإستيطان الحر والغاية من جلب أصحاب رؤوس الأموال وإعطاء مساعدات مالية للمعمرين سيجعلهم يستقرون بأفريقيا "الجزائر" فضلا عن الذهاب إلى أمريكا يجب العمل على إستخدام رؤوس الأموال لصالح الإحتلال الفرنسي ، مع ضرورة أن يكون الإستيطان الأوروبي بالجزائر من جميع أنحاء أوروبا وهذا يعطي أهمية لإحتواء العاطلين عن العمل بفرنسا مع إزدياد حركة التجارة الدولية والإقتصاد بزيادة عدد المعمرين هذا العمل سيعطي دفعة قوية للإقتصاد الفرنسي ² أعطت الإدارة الفرنسية للمعمرين أراضي الدومين المتكونة من أراضي البايلك والأوقاف المصادرة سنة 1837م وبيعت لهم بسعر 48 فرنكا للهكتار كما سمحت للبيع بالتراضي، تحصل الأوروبيين من خلالها على أكثر من 4500 هكتار خلال سنة واحدة ³، لقد أصبح الإستيطان الحر بطيئ التوسع نظرا لقوة المقاومة الشعبية الجزائرية، ومحاصرة قوات الإحتلال الفرنسي بمناطق ضيقة حيث ظهر الإستيطان بالمدن أكثر منه بالمناطق الريفية وتمركز المستوطنون بضواحي بعض المدن مثل وهران ومستغانم، وبجاية، وقسنطينة وسكيكدة، وعنابة وكانوا محميين من قبل قوات الجيش الفرنسي لقد بلغ عدد المستوطنين سنة 1839 حوالي 25 ألف 11 ألف منهم فرنسيون 90 % منهم يعيشون بالمدن و 44 % كانوا أوروبيين من جنسيات مختلفة 32 % إسبانيين والآخرين إيطاليين ومالطيين وإنجليز و 44 % منهم فرنسيين ⁴.

¹ - M. De Peyerhimoff, *Enquête sur les résultats de la colonisation officielle, 1871-1895, op. cit.*, t. 1, p. 18 -20.

² - J. Poujoulat, *Études Africaines, op.cit.*, t. 2, p. 162 -164.

³ - L. Boudicour, *Histoire de colonisation de l'Algérie, op.cit.*, p. 18.

⁴ - Anonyme, *Tableaux d'établissements français, Paris, 1839, p. 52 -54.*

عملت الحكومة الفرنسية على إرضاء بعض الدول الأوروبية المعارضة لمشاريعها الإستعمارية بالجزائر، من خلال عملية الإستيطان لذا ركز الجنرال بيجو في عملياته العسكرية على تحقيق مهمتين أساسيتين: العمل للقضاء على المقاومة الشعبية الوطنية بقيادة الأمير عبد القادر بشتي الطرق والوسائل الإجتماعية الإقتصادية والسياسية والمهمة الثانية متمثلة في عملية الإستيطان من أجل وضع المواطن الأوروبي في مكان المواطن الجزائري، لقد كتب الجنرال بيجو في 24 أوت 1845م يشرح عملية الإستيطان، من أجل المحافظة على المستعمرة وعلى مصالح فرنسا السياسية والمالية يجب تطبيق التشريع الفرنسي على المستوطنين وإذا كان الإستعمار الإستيطاني غير مدعم بقدر كاف للسيطرة على الجزائريين فإنه يعد إذا قوة لا يستهان بها، ولهذا أنا أريد الإسراع بالإكثار منه ويجب أن استخدم الوسيلتين في الوقت نفسه لأن الوقت يداهمنا وعلينا أن نستغل الوضع الحالي لتأسيس في إفريقيا قاعدة قوية للصمود في وجه الأحداث المرتقبة. إن الإستعمار العسكري يعد دعامة أساسية للإستيطان المدني فالأول مكلف بالدولة ولكنه يغني الثاني وسيلبي بطبيعة الحال حاجات المستعمرات الإستيطانية الجديدة التي تشيد قبل ذلك "عمل الجنرال بيجو من أجل إرساء قواعد الإستيطان العسكري بالجزائر تحت نظرية الجندي الفلاح، أراد إبقاء قوات الجيش الفرنسي الذين أنهموا مهامهم العسكرية في الجزائر للعمل في الأراضي الجزائرية وللإستفادة من خيرات البلاد ودفع الإقتصاد الفرنسي وهذه المستوطنات العسكرية تكون محمية من قبل هذه القوات الفرنسية المسرحة بينما الإستيطان المدني هو مكلف بالنسبة للدولة الفرنسية، ويحتم على السلطات الفرنسية بالجزائر حماية المستوطنين الأحرار ويبقى محدود النطاق نظرا لتواجد مقاومة شعبية عملت من أجل إفشال هذه المشاريع الفرنسية التي كانت مساعيها ضرب الإقتصاد الجزائري وتفقير القبائل الجزائرية وفئات الشعب الجزائري وتهجيرهم من أراضيهم نحو الصحراء من أجل التصرف في أراضيهم وممتلكاتهم الأساليب الإستعمارية المستخدمة لإنجاح عملية الإستيطان هي القوة العسكرية وإرغام الشعب الجزائري على دفع الضرائب حيث قامت السلطات الفرنسية بمقاطعة وهران سنة 1844م بفرض الضرائب على سكان المنطقة قدرت بـ 800,000 فرنك فرنسي حوالي 3 فرنك لكل شخص بينما تضاغت سنة 1845م ما بين 15 إلى 1600,000 فرنك هذه المبالغ التي تجبى أكثر من 2000,000 فرنك إلى 25000,000 فرنك سنويا على البلاد¹،

¹ - J. Poujoulat, *Études Africaines*, op.cit., t. 2, p. 266.

رغم هذه المبالغ المفروضة على الشعب الجزائري إلا أن العمل على إقامة جالية أوروبية قوية بالجزائر برعاية الدولة الفرنسية لانجاح عملية الإستيطان ومساعدة المعمرين لإقامة إقتصاد قوي، ويجب الإستقرار بالتراب الجزائري والإهتمام بهم وتوفير الأمن التام لهم من أجل الإهتمام بزراعة، الأرض، يجب تقسيم الجزائر لمنطقتين للإستيطان الفلاحي، منطقة مدنية وأخرى عسكرية، وزعت على 100 ألف معمر مدني على المناطق الممتدة بين تلمسان والقالا وإعطائهم الأراضي المحاذية للبحر ما بين 10 إلى 15 فرسخا حسب وضعية المنطقة وإقامة بالمناطق الأمامية معمرين عسكريين تعطى لهم تسهيلات واسعة، وهذا ماعبر عنه الجنرال بيجوسنة 1846م لتصبح المنطقة العسكرية حزام أمني أمام المنطقة المدنية التي تحميها من هجومات قوات المقاومة الشعبية الجزائرية، ولا بد أن يكون عمل هؤلاء المعمرين بأراضي خصبة لإنشاء قرى ومزارع، لذا أصبح من الضروري جلب أصحاب رؤوس الأموال إلى الجزائر¹.

تصريح الجنرال بيجو في 15 جانفي 1840م بمجلس النواب الفرنسي بالجزائر أمر الجنرال بيجو بإشراك القوات العسكرية الفرنسية في عملية الإستيطان بإستغلال الأراضي الجزائرية وإنشاء مراكز جديدة للإستيطان الأوروبي، وشجع كل وحدة عسكرية بزراعة مساحة من الأرض المجاورة لمعسكرها².

كان إشراك الجنود الفرنسيون في عملية الإستيطان من أجل إستغلال الأراضي الجزائرية عملا إستراتيجيا يسعى من أجل التوسع الفرنسي بالبلاد³ وكانت إستراتيجية الجنرال بيجو الإستيطانية ترمي إلى إخضاع البلاد الجزائرية والإستفادة من أراضيها الصالحة للزراعة والعمل على إنجاح عملية الإستيطان العسكري للنفوذ على أراضي القبائل الجزائرية ونهبها ومصادرتها حتى لا تكون مددا للمقاومة الشعبية، حيث كانت الأرض هي مصدر "القمح الجزائري" لتموين الجيش الشعبي الوطني بالمؤونة لمواصلة المقاومة لذا أراد الجنرال بيجو ضرب الإقتصاد الجزائري بالإستحواذ على الأراضي الجزائرية ووضع مستوطنات عسكرية مسلحة حتى لا تتمكن قوات الجيش الشعبي الوطني من مهاجمتها وتكون محمية بقوات عسكرية ومحصنة هذه هي الإستراتيجية التي كان يهدف إليها بيجو ، لقد كان إستقرار الكولون بمنطقة كاشرو بعد سقوط مدينة معسكر في 30 ماي

¹ - Ibid., id., t. 2, p. 160 -162.

² - M. De Peyerhimoff, *Enquête sur les résultats de la colonisation officielle, 1871-1895, op. cit.*, t. 1, p. 25.

³ - P. Azan , *Par l'épée par la chure écrits et discours de Bugeaud, op. cit.*, p. 40 -75.

1841م تحت حكم قوات الاحتلال الفرنسي وخضوع هذه الأراضي لقرار 30 مارس 1841م القاضي بمصادرة أراضي القبائل الموجودة بضواحي مدينة معسكر ومن ضمن هذه الأراضي سيدي قادة " بوادي الحمام".

يعتبر الجنرال بيجو من أنصار إنشاء المستعمرات العسكرية بالجزائر إقترح 1842م الإحتفاظ بأغلبية الأراضي التي تستولي عليها الإدارة الفرنسية بالجزائر لصالح المستوطنين ، وإقترح تنظيمهم في فرقة عسكرية يشترك فيها المحاربون القدماء ويتطوع فيها الجندي الفرنسي أثناء خدمته العسكرية بالجزائر¹، فكرة الجندي الفلاح راودت فكر الجنرال بيجو وحاول تطبيقها بالجزائر حتى يضمن بقاء قوات الاحتلال الفرنسي بالجزائر واستفادتها من أراضي زراعية والعمل على ملكية هذه الأراضي لأشخاص فرنسيين وإنشاء مستوطنات تخدم الدولة الفرنسية، وتطور إقتصادها، لذا شجع الجنود الفرنسيين بعد عودتهم إلى فرنسا بنقل عائلاتهم للجزائر وتسليمهم قطع أرضية ومساعدات مالية لبناء مساكن وشراء الحبوب والحيوانات للعمل الفلاحي، ورسم مشروع توطين من 8 إلى 9 آلاف مهاجر أوروبي، وقدمت لهذا المشروع مساعدة حكومية تقدر ب 180 مليون فرنك فرنسي لقد تقدمت الحكومة الفرنسية بهذا المشروع الإستيطاني بالجزائر للبرلمان الفرنسي لكنهم عارضوه لأن ميزانية الدولة في هذه الفترة لم تكن قادرة لتغطية مصاريف هذا المشروع نظرا للتكاليف الكبرى حول نفقات الجند والعتاد الحربي وتموين الجيش لم تستطع تلبية متطلبات الدولة الفرنسية كل هذه النفقات رغم أنها تخدم مصالحها لكن المقاومة الشعبية الوطنية أرغمت فرنسا لإهتمامها أكثر بالجيش الفرنسي وكيفية تمويله وتمويله للقضاء على المقاومة الشعبية الوطنية بالجزائر بمنطقة البليدة توجد بعض آلاف الأمتار بأرض خصبة وهنا تنشأ حيث توزع قطع أراض ذات 10 هكتارات للمعمرين الأوائل.² تكثف التطور الإستعماري فيوجد 65 ألفا نهاية 1843م بدلا من 44500 نهاية 1842م ، 22 قرية معمرة أنشئت 16 أخرى في طريق الإنجاز و 19 طريقا تتجز³ وكانت سياسة الجنرال بيجو تصبوا إلى عدم تخلي المعمرين عن بنادقهم وأن لا يتركوها تصدأ حتى ولو لم يكونوا مجبرين على النظام الصارم التابع للثكنة فإنه يجب عليهم أن يكونوا مطيعين لقاداتهم⁴ ولجلب المعمرين يجب الحصول على أراضي صالحة للزراعة

¹ - P. Azan, Bugeaud et l'Algérie, op .cit., p. 51.

² - A. Lichtenberger, Les grandes figures coloniales Bugeaud, op.cit., p. 151.

³ - Ibid., id., p. 172.

⁴ - Ibid., id., p. 187.

وللاستيلاء عليها نجبر الأهالي على الرحيل والابتعاد عنها¹ وأن ما يكمل تأسيس الجهاز الحربي هو مستعمرات عسكرية مكونة من جنود مسرحين من الجيش ويريدون البقاء بالجزائر وهو ما أشير إليه حسب فكري التجذر بالأرض والبقاء فيها ونكون جيوشا مخلصه محاربة هذا لا يتأتى الا بتمليكهم وحياة أفضل مما هي في فرنسا² من أجل جعل الجزائر جزء من فرنسا، حسب الجنرال بيجو فالوسيلة الوحيدة هي تثبيت الفلاحين الفرنسيين وهذه الأرض الجديدة لا يمكن لها ان تكون مستعمرة وانما يجب أن تكون أرض توطين فرنسية ولا نستطيع الاحتفاظ بها الا بهذه الطريقة، لاشيء يلتزم به الانسان مثل الملكية وعندما يبني المعمر العسكري منزله ويزرع ملكيته خلال أربع أو خمس سنوات ويغرس الأشجار فانه من المستحيل أن يفكر في تركها ليذهب الى فرنسا ليعمل عملا شاقا لاقامة هذا الاستعمار الضخم والمنظم والمرتبط دائما بالأرض، ولتنفيذ هذا العمل يستلزم قوة الحكومة الفرنسية وقوة الجميع، والمعمر الحقيقي الذي يستطع أن يحقق بنفسه ضمان ملكية بالجزائر والدفاع عنها³ لماذا المعمرون العسكريون حسب الجنرال بيجو يمثلون القوة العسكرية التي هي القاعدة الكبرى للاستيطان؟، وجميع الطرق الأخرى هي ثانوية وان الجيش وحده ابتداء من سنة 1842م يمثل الكتلة من الرجال الأقوياء المنظمين وهكذا فان ضرورة الاستعمار العسكري يبدأ أولا بضرورة القوة.⁴

- لقد إقترح الجنرال بيجو سنة 1844م إعادة مشروعه الإستيطاني ب10 آلاف فرنسي وتوزيعهم على أخصب الأراضي الجزائرية خلال عشر سنوات متتالية بمختلف المراكز الإستيطانية بوادي شلف ، سهول مينة الهبرة والهضاب بين المدية وسهول حمزة على أن تكون هذه المراكز تحت إشراف المراكز العسكرية العامة التي تسيطر على المدن الداخلية منها تلمسان، سيدي بلعباس، معسكر، ثنية الحد، بوغار، المدية، مليانة، سطيف، قالمة، قسنطينة كان الجنرال بيجو يريد حماية المستوطنين والمراكز الإستيطانية بثلاثة مواقع تحت قيادته بين الهضاب العليا والساحل قدر لهذا المشروع الإستراتيجي مبلغ 300 مليون فرنك فرنسي إقترح تقسيمه على عشر سنوات بمقدار 30 مليون كل سنة تماطلت الحكومة في تنفيذ مشروعه⁵.

¹ - V. Demontès, *Les préventions du général Berthezène contre la colonisation de l'Algérie 1798-1850*, éd. Larousse, Paris, 1917, p. 13.

² - T.-R. Bugeaud, *Mémoire sur notre établissement dans la Province d'Oran*, op. cit., p. 37.

³ - T.-R. Bugeaud, *Le peuplement français de l'Algérie*, Paris, sans date d'édition, p. 24-26.

⁴ - Ibid., id., p. 29.

⁵ - Ch.-A. Julien, *Histoire de l'Algérie contemporaine conquête et colonisation (1827- 1871)*, op.cit., p. 233.

ولكن لماذا تماطلت الحكومة في تنفيذ مثل هذه المشاريع الإستيطانية بالرغم من أنها تخدم مصالح الدولة الفرنسية ؟ رغم أن المقاومة الشعبية بقيادة الأمير عبد القادر مر عليها 12 سنة من المقاومة إلا أن السلطات الفرنسية ظلت تستبعد عدة مشاريع إستيطانية بإعتبارها مكلفة للخزينة لذا رفضت الحكومة الفرنسية هذه المشاريع ، ولقد ظل الشعب الجزائري متشبثا بأرضه رغم عمليات الإبادة والإخضاع والضرائب المفروضة وبقي نشاط الإستيطان الفرنسي محصورا في مناطق محدودة نظرا لصعوبة الأوضاع التي لم تكن تسمح بإستمرار عملية الإستيطان والتوسع في ظل المقاومة الشعبية الوطنية، وبالرغم من الرفض الحكومي للمشاريع الإستيطانية التي طلبها الجنرال بيجو إلا أنه قام بإنشاء مراكز إستيطانية بالأراضي المصادرة وشجع الجنود الفرنسيين بالتشييد والإستقرار بالأراضي الخصبة وأمدهم بمعونات مالية، كان على هؤلاء الجنود العمل بصفة جماعية خلال الخمس سنوات الأولى وتقسيم الأرباح الجماعية لم تتجح هذه العملية الجماعية، بترك ثلثي المستوطنين الجدد أراضيهم، وطالب الباقون بالملكية الفردية وقد نجح الجنرال بيجو في إستخدام الجنود الفرنسيين في شق الطرقات وإستصلاح الأراضي وغرس الأشجار وبناء المراكز الإستيطانية وفي سنة 1842م تم إنشاء ثلاثة مراكز إستيطانية بني مراد، عين فوكة، معالمة¹.

تخوفت الحكومة الفرنسية من عدم نجاح المراكز الإستيطانية العسكرية وفكرة الجندي الفلاح، لم تكن تريد جعل الجندي بعيدا عن العمل العسكري نظرا لمتطلبات الحرب بالجزائر وطول مدة المقاومة الشعبية الجزائرية، وكانت ترى أن عملية الإستيطان الحر تجلب لفرنسا رؤوس أموال بصفقات تعقدها مع رجال أعمال أوروبيين، وكذلك حتى تقضي على البطالة الفرنسية بمنح السكان الفرنسيين أراضي بالجزائر لخدمتها لذا إهتمت بالإستيطان المدني لأنه ليس مكلفا بينما الإستيطان العسكري يشغل الجندي عن أعماله العسكرية، وعملية التوسع سوف تنقلص لذا رفضت مشاريع بيجو الإستيطانية وكانت ترى من الضروري القضاء المقاومة الشعبية الجزائرية لأنها تعيق عملية الإستيطان الأوروبي بالجزائر نظرا لقلّة الأراضي المستحوذ عليها من طرف قوات الإحتلال الفرنسي التي كانت سيطرتها على مناطق محدودة النطاق .

قامت قوات الإحتلال الفرنسي بمصادرة أراضي القبائل المقاومة الراضة للتواجد الفرنسي بالجزائر وهذا ماسمح بإختيار أخصب الأراضي الجزائرية، مما زاد في عملية الهجرة الأوروبية

¹ - M. De Peyerhimoff, *Enquête sur les résultats de la colonisation officielle, 1871-1895, op. cit., t. 1, p. 26.*

سنة 1843م وصل الى الموانئ الجزائرية 14 ألف و 137 مهاجرا من بينهم 12675 فرنسي والباقي بروسين وإسبان، وإيطاليين، وإيرلنديين، وسويسريين، إزداد عدد المراكز الإستيطانية وبلغ سنة 1844م 28 مركزا بالمتيجة والساحل، ولقد منح الجنرال بيجو سنة 1843م معسكر سطوالي والمساحة المحيطة به التي تقدر ب 1000 هكتار للجمعية المدنية للرهبان¹، وإتخذت السلطات الفرنسية مثل هذه الإجراءات بمصادرة أراضي القبائل التي تقوم بمقاومة قوات الاحتلال الفرنسي أوتقوم بتموين الجيش الشعبي الوطني، حتى يتم إخضاع هذه القبائل ومصادرة الأراضي معناه القضاء على مصدر رزق هذه القبائل بإعتبار معظم القبائل الجزائرية بمنطقة التل التي كانت تقاوم قوات الإحتلال الفرنسي تمتهن الزراعة وتربية المواشي فبمصادرة أراضيهم التي كانوا يزرعونها ويستفيدون من منتوجها الفلاحي كمؤونة لمواصلة المقاومة الشعبية تتحكم بمصدر رزقهم وتموينهم بالقمح والشعير والماشية ، لذا عملت السياسة الفرنسية على تفجير وتجويع وتهجير الشعب الجزائري من الأراضي الخصبة للقضاء على الإقتصاد الجزائري ومصادر تموين الجيش الشعبي الوطني وإنهاكه ماديًا وبشريًا وإحباط معنوياته القتالية والقضاء على مقاومة الشعب الجزائري في إسترجاع أراضيهم المغتصبة ومقدساته المنتهكة .

توسعت أملاك الدومين بمدينة الجزائر وضواحيها إلى 200 ألف هكتار منها 168 ألف هكتار حول مدينة الجزائر لم يترك منها للجزائريين سوى 32 هكتارا غير صالحة للزراعة، باقي الأراضي صودرت ومنحت للأوروبيين، وزعت من أربع إلى 12 هكتارا كل من يمتلك 1200 إلى 1800 فرنك فرنسي تضع تحت تصرف كل واحد منهم 600 فرنك فرنسي يكفي لبناء مسكنه وشراء الماشية والبذور والأسمدة، وأعطتهم حق إستخدام اليد العاملة العسكرية² كانت السياسة الإستيطانية الفرنسية تعمل من أجل الإستحواذ على أخصب الأراضي الجزائرية وخاصة الأراضي التي كانت تابعة سابقا للحكام العثمانيين من بايات ودايات، تلك الأحواش كانت ذات أراضي خصبة بها بساتين لذا عملت الإدارة الفرنسية على مصادرتها لما تمتلكه من فوائد لتموين الجيش الفرنسي، وكانت الأراضي غير الصالحة للزراعة تمنح لبعض الجزائريين لعدم فائدتها ولتكاليفها الباهضة من أجل إستصلاحها، فالمشروع الإستيطاني كان يعمل على إنهاك القوى الإقتصادية للشعب الجزائري ومنح لكل معمر أوروبي حماية عامة بينما يخص الكولون الفرنسيون بحماية إستثنائية

¹ - Ibid., id., t. 1, p. 22-23.

² - Ch.-A. Julien, *Histoire de l'Algérie contemporaine conquête et colonisation (1827- 1871)*, op.cit., p. 241.

تتجسد في ربط الجزائر بفرنسا، فكل معمر صاحب رسالة حضارية بالجزائر فرض سلطة فرنسا بالجزائر مرتبطة أساسا بالنظام الإستيطاني¹.

لقد كانت أحلام الشعب الفرنسي جعل الجزائر مستوطنة فرنسية تخدم مصالح الشعب الفرنسي وتطوير إقتصاده وبلاده، وإلحاق الجزائر بفرنسا لما تتوفر عليه من موارد إقتصادية ومن أراض خصبة وأعدادا كبيرة من الأنعام ، إلى جانب السهول المليئة بحقول القمح، والشعير فالجهود التي يبذلها جيش الاحتلال الفرنسي بالجزائر وحكومته والنفقات المبذولة لانجاح هذا المشروع ليس من أجل حادثة المروحة كما إعتقدها الداي وحاشيته، وكما زعمتها الحكومة الفرنسية، إنما هو مشروع إلحاق الجزائر بفرنسا خدمة لمصالح الشعب الفرنسي، لذا كانت المقاومة الشعبية الجزائرية بقيادة الأمير عبد القادر على أشدها، ولم يسمح الجيش الشعبي الوطني الجزائري بإنتهاك أراضيها وإغتصابها وإنتهاك حرمت مساجده وإياداة الشعب ومصادرة أراضيها فعملت على طرد هذه القوات الفرنسية الغازية والمنتهكة لحقوق الشعب الجزائري .

لقد عرفت الجزائر حركة متزايدة من جراء القرارين الفرنسيين الذين نصا على مصادرة الأراضي الجزائرية 1844 - 1846م وصل للجزائر أكثر من 46 ألف مهاجر 1845م² كانت عملية الإستيطان مبرمجة بواسطة مخططين، قام الجنرال لامورسيير بإقليم وهران بوضع مخطط بينما قام الجنرال بيدو بمقاطعة قسنطينة بوضع مخطط، يهدف مخطط لامورسيير الى توفير 80000 هكتار لحوالي 500 عائلة أوروبية لم ينجح هذا المشروع وإستفاد معمر واحد لبناء قرية سانت بارب "Saint-Barbe" بتليلات ثم تخلى عن هذا المشروع³. لماذا كان التخلي عن هذا المشروع رغم هذه المخططات والمشاريع الفرنسية الإستيطانية بغرب البلاد وشرقها؟، إن التخلي عن مثل هذه المشاريع يرجع للتخوف الفرنسي من هذه المشاريع نظرا للأرستقراطية القبلية بمنطقة الشرق الجزائري انها منطقة جبلية لاكثر بها السهول ماعدا منطقة عنابة، وسكيكدة وبعض المناطق بإقليم قسنطينة، بينما كانت المنطقة الغربية عبارة عن سهول لكن المقاومة الشعبية كانت أكثر تنظيميا ورفضاً لعملية الإستيطان وأكثر مجابهة للقوات الفرنسية ان صعوبة الوضع بالمنطقة جعل هذا المخطط يفشل نظرا لقوة المقاومة الشعبية بالمنطقة وكانت الحكومة الفرنسية لاتريد تكاليف أكثر مما هي عليه نظرا لكثرة نفقات الحرب، وقد أجرت الإدارة الفرنسية بالجزائر

¹ - J. Poujoulat, *Études Africaines*, op.cit., t. 2, p. 166.

² - L. Boudicour, *Histoire de colonisation de l'Algérie*, op.cit., p. 154.

³ - Anonyme, *Projet de la colonisation par les Provinces d'Oran et de Constantine*, éd. Royale, Paris, 1847, p. 20,...

مباحثات مع رؤساء البرييين لآمنهم أراضى مقابل إنشاء ثلاث قرى إستيطانية لم تتج هذه العملية بينما تم إنشاء ثلاث مراكز إستيطانية بالسانية بوهراى ومسرعين سنة 1844م، وسيدى الشحمى سنة 1845م لقد توافد بالجهة الغربىة سنة 1846م أآانب منهم 869 بروسيا قام الجنرال لامورسير بتوزيعهم على عدة مراكز إستيطانية بالمنطقة¹، المخطط الفرنسى كان يهدف لإعطاء 160 ألف هكتار للمستوطنين موزعة على 15 هكتار فى شكل قرى إستيطانية تضم كل واحدة 120 أسرة، لم ينجح المشروع رغم توفر الإمكانيات المادية، وتمكنت الإدارة الفرنسىة من إنجاز ثلاثة مراكز بمنطقة وداى زرامة فى الطريق المؤدى إلى قسنطينة أما المساحات بمنخفضات وادى الصفصاف وزرامة إنتقل جزء منها للملاك الرؤساءىيين وتحصل أحدهم يدعى فريناند بارو "Frinand – Barrot" على 600 هكتار سنة 1845م بوادى الصفصاف الأسفل².

فشلت سياسة الجنرال بيجو فى الإستيطان العسكرى والمشاريع الأخرى لعدة عوامل أهمها العامل العسكرى، وإنحصار السلطات الفرنسىة بمناطق محدودة³، نظرا لطول مدة المقاومة الشعبىة وتشبث المواطن الجزائرى بأراضيه والدفاع عنها، وإستماتة القبائل الجزائرىة وعدم السماح لقوات الإحتلال الفرنسى من إستغلال أراضيهم التى تعتبر مصدر رزقهم لأن المواطن الجزائرى كانت مهنته الزراعة لذا دافعت القبائل الجزائرىة عن مصادر رزقها رغم الأعمال التعسفىة الفرنسىة ضد الشعب الجزائرى .

- مصادرة أراضى الأوقاف :

إهتم الجنرال كلوزال بمشروع الإستيطان الفرنسى بالجزائر أصدر عدة قرارات أهمها قرار 8 سبتمبر 1830م يقضى بضم أملاك الباليك وأراضى الموظفين العثمانىيين الذين غادروا الجزائر والأملاك المخصصة لأوقاف مكة والمدينة المنورة والموارد التى تدفعها المؤسسات لصالح المساجد⁴، وهناك قرار آخر فى الفاتح من شهر مارس 1833م يأمر الملاكىين الجزائرىيين والقائمين على المؤسسات الدينىة الاسلامىة تسليم سندات لادارة الدومىين الفرنسىة فى آجال محددة نظرا لأهمية الأوقاف فى مساعدة المؤسسات الدينىة والثقافىة بالجزائر، لذا قامت الادارة الفرنسىة بمصادرتها وتسليمها للمعمرىين الأوروبىيين، يقول بلانكى "Blanqui" فى هذا الصدد : " ان عدم

¹ - Ch.-A. Julien, *Histoire de l'Algérie contemporaine conquête et colonisation (1827- 1871)*, op.cit., p. 246-247.

² - Ibid., id., p. 248-249.

³ - A. Noushi, *Enquête sur le niveau de sa vie des populations rurales*, éd. PUF, Paris, 1961, p. 359.

⁴ - V. Dieuzede, *Histoire de l'Algérie 1830-1878*, op.cit., t. 1, p. 143-145.

جواز التصرف في الأملاك الموقوفة يشكل احدى العوائق التي يمكن التغلب عليها أمام الاصلاحات الكبرى التي وحدها القدرة على تحويل الاقليم الذي أخضعتة أسلحتنا الى مستعمرة حقيقية " ¹ فقد أحصت الادارة الفرنسية بمدينة الجزائر في السنوات الأولى من الإحتلال أكثر من 1500 ملكية فقط لأوقاف الحرمين الشريفين "مكة والمدينة المنورة" ².

وقرار 10 جوان 1831م الخاص بأملاك الداوي والبايات العثمانيين الذين غادروا الجزائر بأمر من وزير الحربية الفرنسي في 27 ماي 1831م يتم مصادرتها ، ومرسوم 22 جويلية 1834م ينص على إلحاق الجزائر بفرنسا بناء على توصيات اللجنة الإفريقية هيئ المرسوم لنهب الأراضي الجزائرية، ويقضي قرار 8 سبتمبر 1830م بمصادرة أملاك الباليك لأهميتها الإقتصادية وإخضاعها لعملية الإستيطان وتضاف هذه الأراضي بصفة تدريجية ³.

قامت الادارة الفرنسية بمصادرة أراضي الباليك وإلحاقها بأملاك السلطات الفرنسية كمصادرة الأراضي القريبة من المدن مثل الجزائر ، وهران وقسنطينة وعنابة تقدر أراضي الباليك 176,166 هكتارا منها 128010 هكتارا بإقليم قسنطينة و 34156 بوهـران و 14000 هكتارا بإقليم الجزائر إقليم قسنطينة 72. % و وهران 20. % والجزائر 8. % ⁴.

صدر قرار اداري في 18 أفريل 1841م يتضمن 15 مادة حول العلاقة بين الهجرة والاستيطان الفرنسي بالجزائر نصت المادتان الأولى والثانية على عملية انشاء المستوطنات بالجزائر واسكان الفرنسيين والأوروبيين بها وفق شروط وترتيبات ادارية منها الموافقة الالزامية للحاكم العام بالجزائر على المساحة الأرضية المحتمل انشاء مركز استيطاني عليها حيث يتدخل الحاكم العام في عملية ضبط الشروط المطلوبة لانشاء المستوطنات بتحديد أماكنها وحصر محيطها وتقدير عدد المهاجرين اليها، وكذلك تحديد مساحات الأراضي الزراعية وتوزيعها على المستوطنين الأوائل، أما المادة الثانية نصت على وجوب مناقشة المقترحات الخاصة بانشاء المستوطنات في مجلس اداري وذلك بعد تسليمه تصميمها دقيقا للمستوطنة المراد انشاؤها مصحوبا بتقرير مفصل يشرح المسائل التالية: المساحة الاجمالية للقرية أو المستوطنة وكذلك مساحة الأراضي الزراعية التابعة لها،

¹ M. Blanqui, *L'Algérie rapport sur la situation économique de nos possessions dan le nord de l'Afrique*, éd. Coquebert, Paris, 1840, p. 28.

² سعيدوني ناصر الدين ، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الفترة العثمانية والمعاصرة، ج. 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص. 84 - 85.

³ Ch.-A. Julien, *Histoire de l'Algérie contemporaine conquête et colonisation (1827- 1871)*, op.cit., p. 114.

⁴ M. De Peyerhimoff, *Enquête sur les résultats de la colonisation officielle, 1871-1895*, op. cit., t. 1, p. 242.

الطرق والمسالك والمواصلات، المباني السكنية الخاصة والعامة التي تأوي مختلف المصالح العسكرية والمدنية والمالية، المادة الخامسة نصت على وجوب مصادرة الأراضي الخاصة والعامة من أجل الصالح العام بينما المادة 15 فقد فرضت على الكولون المدنيين الراغبين في الحصول على قطع أرضية زراعية ممن يقطنون بقرى استيطانية أو قرى زراعية ان يتقدموا بطلباتهم مباشرة الى الحاكم بالجزائر أو بواسطة حكام المقاطعات، على ان تصحب طلباتهم بملف إداري حول الحالة المدينة والصحية والمهنية والسن وعدد أفراد العائلة وعمر كل طفل ومقدار الدخل المالي، قدرت السلطة الإستعمارية المبلغ ب 1200 حتى 1500 فرنك فرنسي للعائلة الواحدة عند حصولها على المساحة الزراعية، تكلفت الوزارة الحربية بنقلهم مجانا إلى ميناء مرسيليا ثم إلى طولون وبعدها إلى الجزائر وعند وصولهم تمنح لهم قطعة أرض للبناء وأخرى للفلاحة ، وتقدم لهم مواد البناء وأدواته في شكل قروض تقدر ب 300 إلى 600 فرنك فرنسي ونص قرار ملكي في 1 أكتوبر 1844م حول تأسيس الملكيات غير المستغلة بالجزائر بفرض ضريبة تقدر بنسبة 5 فرنك للهكتار الواحد¹ وكانت أهداف هذه القوانين والقرارات وضع مساحات واسعة تحت تصرف الكولون لضمان الاحتلال الفرنسي والاستفادة من الأراضي الجزائرية لخدمة الدولة الفرنسية²

لقد تم هجرة 300 مستوطن بمنطقة الهبرة بسبق سنة 1845م جاؤوا من مدينة ليون الفرنسية بدعم من الجنرال لامورسيير وتحصلوا على أرض قدرها 3,000 هكتار إستغلوها جماعيا، ومع أنهم لم ينجحوا في تجربتهم المشتركة في خدمة الأرض إلا أنهم ساهموا في تثبيت عملية الإستيطان كما إستفاد المعمر ديبروس "Debrousse" من 25000 هكتار بسهل الهبرة والمقطع كما تحصل على 300,000 هكتار من الأراضي يكسوها نبات الحلفاء بمنطقة سعيدة وقد تحصل المعمر الفرنسي دوبريدي سان مور "Dupré – disaint Maur" سنة 1844م على أرض فلاحية قدرت ب 2000 هكتار في أغبال جنوب وهران وتحصلت أربع عائلات باريسية على أراضي بحوض مكرة، وقد وصل عدد المهاجرين الإسبان سنة 1845م إلى 25000 نسمة يعملون كفلاحين وفحامين ومستصلحين للأراضي ووصل عدد المالطيين بالجزائر وقسنطينة الى 1213 نسمة سنة 1833 لكنهم لم يشغلوا بالفلاحة كثيرا لأنهم كانوا يفضلون التجارة والخدمات العامة، أما البروسيون:

¹ - Ch.-A. Julien, *Histoire de l'Algérie contemporaine conquête et colonisation (1827- 1871)*, op.cit., p. 239-242.

² - I. Derrien, *Les Français à Oran depuis 1830 jusqu'à nos jours*, op.cit., p. 176.

700 مهاجر جاؤوا من رنيانيا وبافاريا ووتمبرغ مهاجرون من الألزاس وسويسرا جاؤوا إلى الجزائر وسكنوا بدالي إبراهيم والقبة ولكنهم لم يستقروا بها وهاجروا إلى منطقة الغرب الجزائري واستقروا بوادي التاغية بمعسكر وستيدية وجورج كليمنصو "Clémainso"، وسان ليوني والمقهوم. تم نزع جماعي للملكيات خلال ستة سنوات قامت اللجان بتسوية 110 ألف هكتار منها 78 ألف هكتار ألحقت بأمالك الدولة بقسنطينة قدرت المساحة ب170127 هكتار وأخرى ألحقت بالدومين منها 133689 هكتار بناحية قسنطينة ألحقت بالدومين و289729 هكتار بناحية سكيكدة و7394 هكتار بناحية عنابة و11900 هكتار بناحية قالمة، و6250 هكتار بناحية سطيف¹ وتم تحديد أراضي القبائل واعتراف السلطة الفرنسية بحق الملكية الكاملة للأراضي التي يعيشون بها ويستغلونها وإستولت الإدارة الفرنسية على هذه الأراضي وفق مقتضيات الإحتلال لتطبيق مشروعها الإستيطاني سنة 1845م عندما جرى تحديد الأراضي للقبائل في تقرير مدير الداخلية الفرنسي حول القرية الإستيطانية "Guerouaou" قرووا بالمتيجة².

لقد كانت مشكلة الملكية عائقا للإستيطان الأوروبي بالجزائر وكان لابد من التأسيس لها في جميع إفريقيا الفرنسية متجاهلين بأن القرارات الملكية كانت تبحث عن تثبيت نهائي لحقوق المعمرين الذين إستقروا في أماكن محدودة بالجزائر، ضرورة إعطاء جميع المعمرين الأوروبيين بالجزائر نفس حقوق الملكية وهذا من أجل القضاء على هذه المشكلة ويجب جعل الأوروبيين يقيمون بأراضي الجزائريين لأن الفرنسيين كانوا يسيطرون على أراضي جد محدودة معروفة بأراضي البايك، يجب جعلهم يقيمون إلى جانب الجزائريين الذين يجب طمأننتهم على أملاكهم ولانسيطر عليها إلا بدفع ثمنها³ وكانت مشكلة الملكية تعاني من عوائق الإستيطان الأوروبي بالجزائر نظرا لصعوبة فهم العقار الجزائري حيث كانت الأراضي مقسمة على عدة أشكال أراضي خاصة بالبايك، وأخرى تحت تصرف الأوقاف المحبوسة التي لا يحق بيعها أو شراؤها لأنها محبوسة لنفقات المساجد والزوايا الدينية الإسلامية، وأوقاف مخصصة لمكة والمدينة المنورة وهناك أراضي تابعة للقبائل الجزائرية، لقد قامت الإدارة الفرنسية بنهب هذه الأملاك وإلغاء النظام الجزائري المتبع في تقسيم الأراضي، وتم مصادرة هذه الأراضي الجزائرية من أجل تفكيك وحدة المجتمع الجزائري والقضاء

¹ - Ch.-A. Julien, *Histoire de l'Algérie contemporaine conquête et colonisation (1827- 1871)*, op.cit., p. 376-377.

² X. Yacono, *Les bureaux arabes et l'évolution des genres de vie indigènes dans l'ouest du Tell Algérois Dahra Chélif*

Ouarsenis Sarsou, op. cit., t. 1, p. 149.

³ - J. Poujoulat, *Études Africaines*, op.cit., t. 2, p. 158-159.

على الأرستقراطية الفلاحية التي كانت تعمل وفق نظام زراعي موحد لذا عملت السياسة الفرنسية على تفرقة المجتمع الجزائري وإستعمال هذه القرارات والمراسيم الفرنسية لإستغلال المصادرات وإعطاء صفة شرعية تحت غطاء إستيطاني، لقد كان الهدف من هذه الإجراءات الفرنسية ضرب وحدة الشعب الجزائري والعمل على تفكيكه والقضاء على إقتصاده وثرواته الزراعية التي تعتبر مصدره الأساسي للعيش، ومصدر تمويل قوات الجيش الشعبي الوطني لمواصلة المقاومة وطرد قوات الإحتلال الفرنسي وإنهاء سياستهم الإستعمارية الإستيطانية التي كانت تعمل على إبادة الشعب الجزائري وتهجيرهم.

يرى دوطوكفيل من خلال تصريحاته كانت هناك عراقيل للإستيطان الأوروبي بمنطقة الغرب الجزائري بإستثناء وهران وضواحيها لأن باقي أنحاء المقاطعة سكانها لايفكرون سوى في القتال والإنتصار المقاومة الشعبية بالغرب الجزائري جعلت الإستيطان الأوروبي بالمنطقة محدودا وغير مكتمل نظرا لصعوبة الوضع وعدم الإستقرار وعدم إحساس المعمرين بالأمان على أرواحهم وأملاكهم والأراضي التي منحت لهم، ويؤكد دوطوكفيل عملية الاستيطان " توجد بعنابة و"فليب فيل" Phillipe ville" سكيكدة أراضي خصبة على أطراف مدن معتبرة وعلى نقاط من الساحل هي وإن لم تكن شواطئ سهلة فإنه يمكن إستعمالها في كل وقت تقريبا إضافة إلى ذلك السلم الموجود بهذه المقاطعة خصوصا قرب السواحل وطبيعة سكان المنطقة تبدو وديعة أقل همجية من المناطق الأخرى، مزايا كبرى ينبغي إستغلالها عاجلا أو آجلا¹،

يعتبر المشروع الإستيطاني الفرنسي تخطيط ممنهج وفق أطر مدروسة، لتوفير جميع متطلبات الحياة للإقامة بالجزائر، توفير للمعمرين نفس الحياة الأوروبية حتى لا يحس أنه في مكان بعيد عن عاداته وتقاليده ولغته والعمل على إنشاء حياة أوروبية في البلاد الجزائرية وذلك بتوفير مقتضيات العيش الثقافية والاجتماعية للمواطن الأوروبي حتى يتسنى له توطيد عملية الإستيطان والتوسع الفرنسي من أجل إلحاق الجزائر بفرنسا كمستوطنة تخدم مصالح فرنسا .

إتبعَت السياسة الفرنسية لتوسيع نفوذها وإنجاح عمليات الإستيطان الأوروبي بالجزائر نهج الأراضي الجزائرية، ومصادرتها وفق تعليمات الحكومة الفرنسية بالجزائر خدمة للمصلحة الفرنسية وإنتهاكا لحقوق الشعب الجزائري والعمل على إبادته وتهجيرهم من بلده وإرغامه على ترك ممتلكاته

¹ - الكسي دوطوكفيل، المصدر السابق ، ص. 62-63.

بالقوة وبالهجومية والأعمال التعسفية، فقد تم توطين 900 بروسي بالأراضي الجزائرية شهري سبتمبر وأكتوبر سنة 1846م أنزلوا بوهرا¹ قامت الإدارة الفرنسية بالجزائر بمساعدة المعمرين الأوروبيين ومنحهم تسهيلات وأراضي لفلاحيتها لتوسيع عملية الإستيطان وكسب أكبر عدد من الأراضي، لزراعتها والإستفادة من خيراتها، وإهتمت بالأراضي ومدى خصوبتها حتى يتسنى لها الإستفادة من خيرات وثروات هذه الأراضي الشاسعة والسهول الخصبة هذه من أسباب الإحتلال الفرنسي للجزائر وحسب دوطوكفيل مشروع قانون الإستيطان طلب إعتداد 3 ملايين فرنك للمعسكرات الفلاحية بالجزائر²، لقد أرادت السلطات الفرنسية من أجل الحفاظ على مناطق توسعها ونفوذها إنشاء معسكرات إستيطانية عسكرية يمكنها البقاء في مناطق تركزها تحت حماية عسكرية تخدم مصالح الإستيطان الأوروبي بالجزائر لتأمين هذه المساحات الزراعية من المقاومة الشعبية الجزائرية ، والقبائل التي كانت تتمسك بأراضيها ولاتريد التخلي عنها لأنها مصدر رزقهم وإعتادوا فلاحيتها والكسب من خيراتها .

- تحليل مشروع الإستيطان العسكري :

لم ينجح هذا المشروع الإستيطاني العسكري لأن إهتمام السلطات الفرنسية ووزارة الحرب كان القضاء على المقاومة الشعبية الجزائرية، وخطورتها على هذا المشروع نظرا لتشبث الشعب الجزائري بأرضه وممتلكاته، والوضع في حالة الحرب لايسمح بعملية الاستيطان لذا عملت الإدارة الفرنسية على مهادنة الشعب الجزائري فيما يخص وضعية أراضيهم لأن هذا يزيد الشعب أكثر مقاومة ودفاعا عن ممتلكاته المستهدفة

وحسب الجنرال بيجو لضمان البقاء يجب توطين جالية أوروبية كثيرة العدد يتميز أفرادها بالشدة والحزم وقد أكد في خطابه أمام البرلمان الفرنسي في 14 ماي 1840م أنه لا يتم احتلال الجزائر الا بواسطة احتلال شامل بتعداد عسكري كاف وبمعمرين منظمين عسكريا وتعطى لهم أراضي كملكية خاصة بنواحي معسكر وتلمسان دون السؤال عن مالكيها، وتمنح لهم ضمانات بمنحهم أسلحة وعتاد عسكري للدفاع عن أنفسهم والوسائل الضرورية لبناء قراهم الدفاعية والفلاحية وتموينهم

¹ - نفسه، ص. 184-185.

² - نفسه ، ص. 188.

بمؤونة تكفيهم مدة سنتين أو ثلاث حتى يتمكنوا من اعانة أنفسهم¹ لقد فضل الجنود المسرحين العودة إلى فرنسا وعدم البقاء بالجزائر نظرا لما واجهوه من مقاومة وطنية دفاعا عن أراضيهم وحررياتهم وحرمانهم فشدة المقاومة وطول مدتها ومن نتائجها على نفسية هؤلاء الجنود الفرنسيين أدت بهم الى عدم قبولهم البقاء بالجزائر لما لاقوه من خوف وعذاب نفسي ومعاناة في ملاحقة الجيش الشعبي الوطني، ونظرا للخسائر التي تكبدوها والضحايا والنفقات التي خسروها بأرض الجزائر جعلتهم يتخلون عن إنشاء هذه المستوطنات العسكرية بالرغم من فوائدها وأرباحها وفي 10 أفريل 1847م صرح الجنرال بيجو " أعتقد أنني أخبرتكم عدة مرات أن موقفي السياسي اتجاه العرب ليس بابعادهم ولكن بادخالهم في حضارتنا وليس بنزع ملكيتهم ولكن بحرصهم على الأرض التي يملكونها ويتمتعون بها منذ زمن بعيد، وهذا عندما أجد أن هناك ثقافتا بين مساحتها وعدد سكان القبيلة² " لقد قامت القوات الفرنسية من خلال إحتلالها وحملاتها العسكرية بإقليم الجزائر بإحتلال شرشال، المدية، مليانة وبمقاطعة قسنطينية إحتلت عنابة، الإيدوغ، القالة وسكيكدة، أما الإقليم الغربي " وهران " كانت مناطق التوسع الفرنسي جد محدودة مدينة وهران، المرسى الكبير، مستغانم "، لقد تكاثر عدد المعمرين الأوروبيين بالجزائر في 31 ديسمبر سنة 1840م وصل عددهم 28 ألف من بينهم 13 ألف فرنسي والبقية إيطاليين ومالطيين وبروسيين³ سنة 1845م ارتفع عدد المستوطنين من 25335 الى 41558 مستوطن سنة 1851م يمثل الفرنسيون نسبة 50% من مجموع المستوطنون الأوروبيون الذين قدر عددهم 1851 بنسبة 131483 حوالي 32% ايطاليون و 6% مالطيون و 7% من جنسيات أخرى⁴. ومن نتائج الاستيطان في الفاتح من شهر ديسمبر استفاد المعمرين من 800 هكتار بمدينة وهران تقدر مداخلها بنسبة 3374000 فرنك.⁵

¹ - P. Azan , *Par l'épée par la chure écrits et discours de Bugeaud*, op. cit., p. 74 – 77.

² - P. De Menville, *Dictionnaire de législation Algérienne*, éd. Challamel, Paris, 1872, p. 185.

³ - J. Ladmir, *Les guerres d'Afrique*, op. cit., p. 241-242.

⁴ - V. Domontes, *Le peuple de l'Algérie contemporaine, essais de démographie*, Alger, 1906, p. 379.

⁵ - I. Derrien, *Les Français à Oran depuis 1830 jusqu'à nos jours*, op.cit., p. 175.

4- عمليات التنصير وطمس الهوية الجزائرية:

كان موقف الحكومة الفرنسية والملك شارل العاشر "Charle10" ووزرائه حول قضية الاحتلال حسب تصريحات وزير الحربية الفرنسي كيلرمون طونار "Clermont-Tonnère" والجنرال دييورمون قائد الحملة الفرنسية على الجزائر ورئيس الوزراء الفرنسي ووزير الخارجية البرنس دي بولنيك كانوا يأملون في الانتصار الحربي على الجزائر وإرجاعها لحضيرة الدين المسيحي تخليداً للقديس أغسطينوس "St – Augustin" وسانت سيبريان "St- Cyprien" " حيث يصرح وزير الحربية الفرنسية قائلاً: " ليس من الغريب أن نرى العناية الإلهية تتأشد الملك وريث سان لوي لينتقم للإنسانية والدين والإهانات الشخصية، أو لا يمكن عندما نقوم في المستقبل بتموين الأهالي وتحويلهم إلى مسيحيين، بل إن العناية الإلهية في رأيه خصته بهذا النصر في الجزائر لجعل المواطنين

مسيحيين"¹، وإن سقطت مدينة الجزائر تحت حكم جيش الاحتلال الفرنسي سيجلب أجمل وأكبر الفوائد للمسيحية جمعاء²

إصطحب جيش الاحتلال الفرنسي خلال حملته على الجزائر 16 قسيسا من بينهم الأب زكار السوري وقد صرح الجنرال بورمون عندما سقطت مدينة الجزائر قائلا: " انكم أعدتم معنا فتح الباب للمسيحية في إفريقيا" وأمر الجنرال بتحويل المساجد إلى كنائس وإلغاء شرعية الأعياد الدينية الإسلامية وإفساح المجال للمبشرين لإرجاع الشعب الجزائري إلى الدين المسيحي³ دافع الشعب الجزائري عن عقيدته الإسلامية، ولم يتمكن المبشرين من القوات الفرنسية من تنصير أبناء الجزائر خلال السنوات الأولى من المقاومة الشعبية الوطنية لذا عملت قوات الاحتلال الفرنسي بالجزائر على تحويل المساجد إلى كنائس مسيحية، ومستشفيات وملاجئ مع إلغاء نظام الأحباس بالإدارة الفرنسية وتحويل المقابر الإسلامية إلى طرقات، وتم إرسال رفات الموتى إلى مرسيليا لصنع فحم العظام،⁴ وهذا ما يعكس همجية الاحتلال الفرنسي الذي لم تحترم قواته حتى الموتى وتصرفت في رفاتهم وحاولت إستئصال مقومات الشعب الجزائري من جذوره وكانت رغبة الوكيل المدني جونتي ديبيسي والملك لوي فيليب "L-Phillipe" والجنرال فالي من أنصار التبشير بالجزائر رؤية القساوسة يبشرون بالدين المسيحي عند العرب⁵ وأظهر الملك لوي فيليب تشجيعا كبيرا للإرساليات التبشيرية بالجزائر وصرح البابا قريقوار السادس عشر "Grégoire 16" مظهرا إيمانه للملك لوي فيليب "إن الكنسية حديقة لكل الحكومات مهما كان نظامها شريطة أن لاتضطهد حرية الكنسية وأنا ممتن جدا للملك وأتمنى أن يضاهيه كل ملوك أوروبا"⁶

كانت مساعي السلطات الفرنسية من خلال إحيائها لهذه البعثات التبشيرية إعادة الحروب الصليبية ومواصلاتها بالجزائر بعد الإضطهاد الذي عرفه المسلمون بالأندلس وإسترجاع للماضي وأحقادهم ضد المسلمين، وكان المبتغى من وراء هذه الحملات الفرنسية ليس فقط القضاء على المقاومة الجزائرية وإيادة الشعب الجزائري وإنما حتى المساس بدينه ومعتقداته من أجل محو الهوية الجزائرية وطمس معالم الشعب الجزائري فقد تعددت مساعي البابا لتشجيع النشاط التبشيري،

¹ - التميمي عبد الجليل ، التفكير الديني والتبشيري لدى عدد من المسؤولين الفرنسيين في الجزائر في القرن التاسع عشر، المجلة التاريخية المغربية ، العدد 1 ، تونس ، 1974، ص. 13.

² - Ch.-A. Julien, *Histoire de l'Algérie contemporaine conquête et colonisation (1827- 1871)*, op.cit., p. 40.

³ - التميمي عبد الجليل ، التفكير الديني والتبشيري لدى عدد من المسؤولين الفرنسيين في الجزائر في القرن التاسع عشر، ص. 14-15.

⁴ - التميمي عبد الجليل ، بحث ووثائق في التاريخ المغربي الجزائر وتونس وليبيا، ص. 146-166.

⁵ - E. De Reynaud Pillissier, *Annales Algériennes*, op.cit., t. 1, p. 406.

⁶ - V. Domontes, *La colonisation militaire sous Bugeaud, l'Algérienne*, Alger, 1917, p. 446.

وصرح الأسقف دوبوش "Debouche" لا يكون العرب فرنسيين إلا عندما يصبحون مسحيين ويتوقف ذلك علينا نحن الإثنان فلنعيد الحياة إلى إفريقيا المسيحية"

أحست السلطات الفرنسية بالجزائر مدى تشبث الشعب الجزائري بعقيدته الإسلامية التي تدعو للوحدة ومقاومة الإعتداءات الفرنسية والدين الإسلامي يدعو للتضامن والجهاد في سبيل الدفاع عن الوطن ومقاومة المعتدين، وحسب تصريح الحاكم العام فالي "فرنسا تبقى في بلد ترفع فيه الصليب من رفعها للعلم الفرنسي فقط ، قام الجنرال فالي بتتصيب الصليب بكتدرائية الجزائر وحول جامع البليدة إلى كنيسة كاثوليكية، وقد كتب البابا رسالة مؤثرة يشكر الجنرال على مشاعره المسيحية وتحويل المساجد إلى كنائس لصالح المذهب الكاثوليكي، حتى يقوم رجال الدين بنشر الإنجيل بحرية،¹ تفتنت الحكومة الفرنسية لدور الدين الإسلامي في المقاومة الشعبية الوطنية لذا أرادت تنصير الشعب الجزائري من أجل القضاء على معالم الدين الإسلامي وطمس الهوية الجزائرية من خلال المبشرين الذين أرسلتهم فرنسا إلى الجزائر

وشجع الجنرال بيجو مرافقة رجال الدين المسيحي لرفع معنويات الجيش الفرنسي في حملاته العسكرية وقام برفع الصليب على كنيسة بالقصبة².

صرح الجنرال بيجو: " سوف نواصل إنجازات قوديفراي " Godefroy " وسانت لويس " St- Louis " ويعتبر الجنرال الحرب ضد المسلمين من أجل ضمان وحدة الإنسانية والوحدة المسيحية، ولأنسى أبدا تطور الحملة الفرنسية من طرف مارتيل شارل "Martel – Charles"³، وحاول الاسقف دوبوش بسياسته التنصيرية إعطاء 50 فرنك أسبوعيا للخدم الجزائريين مقابل تمسيحهم لكنهم رفضوا، ولكي يمنعهم العودة لديانتهم الإسلامية وممارسة شعائهم الدينية الإسلامية جعلهم يبقون داخل قصر الراهب ، وفكر في إنشاء مستشفيات لكي تستطيع الممرضات تنصير المسلمين الجزائريين والقيام بتحويل المساجد إلى كنائس.⁴ لقد تم تحويل مسجد قرقيطة بوهران الى كنيسة شهر ديسمبر 1847،⁵ وسعت السلطات الفرنسية بالجزائر بادخال الأسس الدينية وتشجيع الكاثوليكية على أساس التحضر "يجب إقناع الجزائريين بأحقية المسيحية ببعث المبشرين من بينهم زوجة بيجو وزوجة

¹ - التميمي عبد الجليل ، التفكير الديني والتشيري لدى عدد من المسؤولين الفرنسيين في الجزائر في القرن التاسع عشر، ص. 18-19.

² - V. Domontes, *La colonisation militaire sous Bugeaud, I Algérienne, op.cit.*, p. 461.

³ - J. Poujoulat, *Études Africaines, op.cit.*, t. 2, p. 109.

⁴ - M.Emrit, *La lutte entre les généraux et les prêtres aux débuts de l'Algérie Française, Revue Africaine*, t. 97, 1953, p.83 -86.

⁵ - I. Derrien, *Les Français à Oran depuis 1830 jusqu'à nos jours, op.cit.*, p. 181.

الجنرال دوباروجعلمهم يستفيدون من المسيحية، ببناء المدراس والمستشفيات ودور للمسنيين تدار من طرف الأخوات المسيحيات قصد تمسحيهم¹ ويجب فتح أبواب الجزائر للاخوان المارونيين وجلبهم من لبنان إلى الجزائر لأنهم متعودون على طبيعة مناخ المنطقة وذهنية العرب ولهم نفس الديانة مع الفرنسيين ولكنهم يتكلمون لغة سكان الجزائر لذا سوف يصبح هؤلاء المارونيين مساعدينا في عملية الإستيطان².

إستفادت السلطات الفرنسية من الموارد في تشجيع عملية التنصير والإستيطان لمعرفة اللغة العربية وأنهم رجال مسيحيين يمكنهم إقناع الشعب الجزائري بالنفوذ الفرنسي والسيطرة على أفكارهم والتمكن من كسبهم للصف الفرنسي، كما تم تشجيع المناظرات بين المسلمين والمبشرين للتعريف بالمسيحية، وذلك من أجل جعل الجزائريين يقتنعون بالتخلي عن الإسلام وترغيبهم بالحياة المسيحية، وتبيان لهم أن خضوعهم لفرنسا هو الأحسن لهم أمام الله والطريقة الأفضل لذلك جعل المبشرين يتكلمون العربية، ضرورة تعلم اللغة العربية بواسطة مفكرين متمرسين يمكننا إقناع الشعوب المحتلة بخضوعها ويسمحون بدفع عمليات الإستيطان نحو الأمام³، إستعمال الدين المسيحي في عملية الإستيطان والتوسع الإستعماري كان لها دورها لتجهيل الشعب الجزائري بقضيته وذلك بإستغلال الفقر والأمراض، وإستغلال ظاهرة الجهل للعمل من أجل تنصير الجزائريين بتحويل مساجدهم إلى كنائس ، وزواياهم وكتاتيبهم إلى إسطبلات ومستشفيات وحاميات عسكرية من أجل القضاء على الثقافة العربية الإسلامية وحرمان الأطفال الجزائريين من التعليم ومعرفة لغتهم ودينهم وتعاليمهم العربية والإسلامية وكانت مساعي الإستعمار الفرنسي القضاء على الشخصية الجزائرية ومحو مقوماتها وتعاليمها الروحية والمعنوية .

وحسب تصريحات بوجولا: " الجانب الديني يسمح لنا بالتوغل بالجزائر لابد من تشجيع الكاثوليكية فلها سلطة حضارية منذ القرن 18م ولنشر المسيحية بالجزائر لابد من فتح مستشفيات للجزائريين والأوروبيين وديار العجزة ومكاتب خيرية ومدارس مجانية لتعليم الجزائريين وتمسيحهم من طرف الأخوات المسيحيات، ومعرفة اللغة العربية ضرورية لإختراق البلاد تحت أفكارنا ومن أجل مرور الحضارة بألاف التشريعات الكنائسية والأفكار المسيحية⁴ الغاية من هذه

¹ - J. Poujoulat, *Études Africaines*, op.cit., t. 2, p. 172-173.

² - Ibid., id., p. 175.

³ - Ibid., id., p. 179.

⁴ - Ibid., id., p. 172 - 176.

الأساليب الإستعمارية التنصيرية القضاء على الدين الإسلامي واللغة العربية والثقافة الجزائرية وإستبدالها بثقافة فرنسية مسيحية تخدم مصالح الإستعمار الفرنسي وسيطرته على الأراضي الجزائرية وقتل روح المقاومة بنشر أفكار لتحطيم معنويات الشعب الجزائري وسعيهم إلى المقاومة الشعبية الوطنية ومناصرتهم لها، لقد إستعملت السلطات الفرنسية جميع الأساليب لإحتواء الشعب الجزائري سعياً في القضاء على روح المقاومة ومصادر إنبثاقها .

قامت قوات الاحتلال الفرنسي بتحويل عدة مساجد إلى كنائس مسيحية كاثوليكية حول جامع كتشاوة إلى أسقفية الجزائر 1838م تتويجا للفكر المسيحي والكثير من المؤسسات الدينية والتعليمية التي تم تمسيحها أو تهديمها واستخدمت كمساكن للجيش واصطبلات للخيل والمساجد التي تم تحويلها إلى كنائس هي: جامع القصبة أصبح كنيسة الصليب المقدس، وجامع علي بتشنين أصبح كنيسة سيدة النصر. وجامع كتشاوة أصبح كاتدرائية "الجزائر"¹ ومسجد القائد علي الذي أعطي لجمعية أخوات القديس جوزيف، سنة 1830م وهناك مساجد سلمت لمصالح عسكرية ومدنية ، مثل جامع سيدي الرحيبي 1833م ، والكثير من الزوايا أهمها زاوية القشاش، 1830م².

أمر الجنرال روفيقو قائد جيش الاحتلال 1832م بتخريب المقبرة الإسلامية لشق الطريق بين قلعة بوليلة وباب عزون وتم تهريب عظام الموتى المسلمين من الجزائر لمرسلياً لاستخدامها في فحم العظام وتبييض السكر. لم تقتصر عملية هتك المؤسسات الدينية على مدينة الجزائر بل هناك مدن أخرى من بينها مدينة وهران فسارع الجنرال بوايي بوهران بتحويل جامع خنق النطاح إلى مستشفى عسكري سنة 1831م أما في قسنطينة استولت القوات الفرنسية على جامع القصبة الذي هدم كما وجامع سيدي الغزل الذي حول إلى كاتدرائية كاثوليكية³ لما تم إنتصارنا في الجزائر أخذنا المدراس لنجعلها مغارات وتكنات وإصطبلات وضعنا أيدينا على أملاك المساجد والمعاهد.⁴ وكذلك في عدة مدن أهمها معسكر، تلمسان ومستغانم سنة 1844م حولت مساجدها إلى كنائس.⁵

" وذكر مفتش التعليم "دوبوش " وهو الوحيد الذي تجرأ أن يشهد بهذا، " كم من كتاب دمر وتشتت من جراء الإحتلالات المتعددة للمساجد وإن المخطوطات التي يعتمد عليها في التعليم دمرت، لماذا

¹ - أبو قاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية ، ج. 1، ص. 74-75.

² - نفسه، ص. 75-77.

³ - نفسه، ص. 78-80.

⁴ - E. Kaller, *Le général De La Moricière sa vie militaire, politique et religieuse*, op.cit., t. 1, p. 313.

⁵ - Ibid., id., t. 1, p. 339.

ضربت فرنسا الإستعمارية التعليم ونسفت وسائله ؟ لأن التعليم هو الأساس لكل من الدين والثقافة والشخصية الوطنية شعب بلا تعليم شعب هائم على وجهه يفقد هويته ويفقد تاريخه¹. حاولت السلطات الفرنسية القضاء على الهوية الجزائرية وطمس معالمها والقضاء على الارث الثقافي والعلمي وروح المقاومة والقيم الروحية والأخلاقية لدى الشعب الجزائري من أجل العمل على محو الهوية الجزائرية واصلت الثقافة العربية الاسلامية وافشال روح المقاومة الشعبية في مواجهتها للمشروع الاستعماري الفرنسي .

لقد عملت قوات الاحتلال الفرنسي على تحطيم الثقافة العربية الاسلامية بالجزائر والعمل على تهجير العلماء والمتقنين الجزائريين الى كل من المغرب وتونس وتحطيم وسائلهم العلمية والثقافية وافراغ المادة العلمية والارادة الجزائرية والتراث العربي الاسلامي بالأرض الجزائرية للقضاء على روح المقاومة الجزائرية والأسس التي نادى بها الأمير عبدالقادر لاقامة دولة جزائرية حديثة وفق أسس عصرية وعلمية

¹ - Y.Turin, *Affrontements culturels dans l'Algérie coloniale écoles médicinales religieuses 1830-1880*, éd. EPNL, Alger, 1983, p. 125-127.

الفصل الخامس

الحصار الدولي للقضاء على المقاومة الشعبية الوطنية

- الحصار الدولي للقضاء على الدولة الجزائرية :

1- الموقف العثماني من المقاومة الشعبية الوطنية:

كاتب الأمير عبدالقادر السلطان عبد المجيد شارحا له الوضعية التي آلت إليها الجزائر من جراء تصرفات الجيش الانكشاري بالجزائر قام الأمير عبدالقادر بشرح الوضعية الصعبة التي آلت إليها الجزائر من خلال تصرفات الجيش الإنكشاري العثماني الذي لم يهتم سوى بجمع الضرائب وحياة

البذخ، ومعاملة السلطات العثمانية للشعب الجزائري كانت معاملة قاسية، حيث حرمتهم من تولي المناصب الحكومية ، ولم تتول تجنيد أبناء الشعب الجزائري، كما أنها لم تهتم بالشعب الجزائري ومساهمته في تطوير أجهزة الدولة فلقد بقي أبناء الشعب الجزائري بعيدين كل البعد عن المناصب الهامة في الدولة ¹ .

أراد الأمير عبدالقادر تحميل المسؤولية للحكم العثماني فيمآل بالجزائر نظرا للسياسة العثمانية المتخلفة، بإنسحاب الجيش الإنكشاري وإستسلام الداوي حسين بعد مناوشات بسيطة بساحل سطاوالي وتوقيع معاهدة الإستسلام مع الجنرال دييويومون ولم يكثرث الداوي لمصير الشعب الجزائري، فقد ضمن حماية نفسه وأتباعه وغنائمه التي ذهب بها نحو الإسكندرية

كان الموقف العثماني سلبيا بعد عقد الأمير عبدالقادر معاهدة التافنة إذعمل السفير العثماني على عرقلة سير هذه المعاهدة، ويعد الأمير عبدالقادر في نظر الدولة العثمانية أحد رعايا السلطان وإمضاء تلك المعاهدة كان أولى لها عقدها مع الحكومة العثمانية لقد عمل نوري أفندي في ربط علاقات الصلح بعقد معاهدة التافنة بين الجنرال بيجو والأمير عبدالقادر على عرقلة هذه المفاوضات وإعتبرها أمرا منافيا وفي رسالته إلى الكونت مولي وزير الخارجية الفرنسي في 26 أوت 1837 إن عقد معاهدة مع شيخ عربي مثل عبدالقادر يعد عملا منافيا لعظمة فرنسا² لم يعترف الأمير عبدالقادر بالسلطان العثماني لأنه كان يدرك أن النظام العثماني قد إنتهى وذلك بعد توقيع معاهدة الإستسلام من طرف الداوي حسين في 5 جويلية 1830 وإنتظر الشعب الجزائري حوالي سنتين بعد سقوط مدينة الجزائر في يد قوات الاحتلال الفرنسي، فلم تسارع الدولة العثمانية التي كانت تقول بأحقيتها بالجزائر بانقاذ الشعب الجزائري إلا أنها أخذت مبدأ المتفرج من هذه الجرائم الفرنسية التي كانت تقوم بها قوات الاحتلال الفرنسي ضد الشعب الجزائري وعملت المساعي العثمانية لإسترجاع الجزائر بالطرق السلمية؟ وهل يعقل أن المساعي السياسية تنفع في مواجهة دولة مثل فرنسا، التي عملت جاهدة لإحتلال الجزائر بعدما صرفت أموالا طائلة وخسرت جيوشا من أجل إنجاح هذه الحملة والتوسع في إفريقيا؟ هل يمكن أن تتخلى عن الجزائر مقابل إجراءات سياسية ؟ .

¹ - كوران أرجمند ، السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر 1827- 1847، نقله عن التركية التيممي عبدالجليل ، ط 2 ، الشركة التونسية لفنون الرسم ، تونس ، 1974، ص. 68 - 70.
² - نفسه، ص. 71.

في 24 أكتوبر 1840م رسالة من الأمير عبد القادر إلى الباب العالي¹ لطلب الإعانة والمساعدات من السلطان العثماني في شهر ديسمبر 1841م أرسل مع العقيد أسكوت أربع رسائل للوزارة الخارجية البريطانية وتقوم هي بإيصالها للسلطات العثمانية "بلغنا على لسان الكوازيط أن كبراء الإنقليز أشفقوا على حالنا وناولوا الكلام في شأننا وقالوا أن الفرنضيص ظلموا العرب وأخبرهم ولا بد أن نتكلمو في أمرهم وكما أعلمنا محبتكم وأنكم تذكروننا بخير، نحب منكم أن تعملوا فينا مزية كبيرة وذلك أن لنا مكاتب في إسطنبول وليس لنا طريق إليها من غيركم فنحب أن تبعثوها على أيديكم إلى السلطان عبد المجيد وأخرى إلى الوزير الأعظم وأخرى إلى قبطان باشا وأخرى إلى صاحبنا رشيد باشا في اسطنبول ونحب منكم أن تحرصوا على رد الجواب من عندهم "

قام وزير خارجية بريطانيا اللورد أبيردن "Lord – Aberdeen" بتسليمها لمحمد فؤاد باشا القائم بالسفارة العثمانية بلندن سنة 1842م، الأمير عبد القادر من خلال رسائله شرح للسلطان العثماني عبد المجيد الوضعية التي يعيش بها الشعب الجزائري في ظل تزايد القوات الفرنسية منذ سنة 1832م حتى 1840م وبعد 8 سنوات من الإحتلال، لقد أراد من خلال هذه المراسلات كسب تأييد دولي للقضية الوطنية ومساعدات من عدة جهات لمواجهة القوى الفرنسية

قام الأمير عبد القادر بشرح التفاوت الحربي والوسائل التي يمتلكها الجيش الفرنسي في مواجهة الجيش الوطني الشعبي الذي لا يستطيع تأمين كل هذه القوات والذخائر لمواجهة هذا التجهيز الحربي والعتاد الفرنسي والمدفعية الفرنسية التي أضرت بقواته كثيرا، وتسببت في خسائر كبيرة في قوات الجيش الوطني الشعبي لذا يطالب السلطان بيد العون، ويعبر على تواطؤ البلدان المجاورة مع قوات الإحتلال الفرنسي.²

رغم تعدد المحاولات من طرف الأمير عبد القادر لإستمالة الحكام العثمانيين التماسا منهم يد العون ضد العدو الكافر، إلا أنهم رفضوا إعانتة ومده بيد العون، أما في رسالته إلى الصدر الأعظم يحمل مسؤولية هذه التضحيات الجسيمة وهذه المعاناة التي يعيشها الشعب الجزائري تحت ويلات الإحتلال الفرنسي إلى الدولة العثمانية التي وقفت موقف المتفرج ولم تحرك ساكنا ولم تقدم أي مساعدات لمواجهة قوات الإحتلال الفرنسي.

- تحليل الرسائل:

¹ - عبد الجليل التميمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي الجزائر وتونس وليبيا، ص. 48.

² - نفسه، ص. 50 - 51.

في 28 ديسمبر 1838 راسل الأمير عبد القادر السلطان العثماني عبد المجيد، يشرح للسلطان العثماني مآلت إليه البلاد الجزائرية من جراء الإحتلال الفرنسي ويذكره بتصرفات الجيش الإنكشاري العثماني بالجزائر وأعماله التعسفية ضد الشعب الجزائري شارحا له الوضعية الصعبة التي شهدتها البلاد بعد سقوط مدينة الجزائر في أيدي قوات الإحتلال الفرنسي، الفوضى التي عمت البلاد والتصرفات المخزية للجيش العثماني بالجزائر حيث قام الباي حسن بتسليم مدينة وهران للقوات الفرنسية مقابل السماح له هو وأتباعه الذهاب الى الاسكندرية، وبقي الباي أحمد متحصنا بأسوار مدينة قسنطينة، والباي إبراهيم أصبح تحت الحكم الفرنسي يعمل بإمراتهم بمستغانم هذه هي تصرفات الجيش العثماني بعد سقوط مدينة الجزائر، وحتى كراغلة المدية والمشور طلبوا الحماية الفرنسية هذه هي الحالة التي آلت إليها البلاد، كما أن السلطان عبدالرحمن أراد التوسع على الأراضي بالجهة الغربية وعمل مولاي علي بجمع الضرائب، وليس مساعدة الشعب الجزائري في مواجهة الإحتلال الفرنسي¹، ثم يتطرق الأمير عبد القادر إلى عقد صك البيعة الذي بموجبه أصبح الممثل الشرعي للدولة الجزائرية وتحمله مسؤولية البلاد والعباد بخوض المعارك ضد قوات الإحتلال الفرنسي ويعقد المعاهدات، ثم يتطرق الى عدم إستجابة السلطان عبد الرحمن لمساعدة المقاومة الجزائرية ودعمها خوفا وإستكانة للسلطات الفرنسية، لذا فهو يوجه له هذه الرسالة من أجل طلب العون والمساعدة بإعتباره سلطانا يمثل الخلافة الإسلامية لقد أراد الأمير عبد القادر من خلال رسائله للسلطات العثمانية تحميلهم المسؤولية التي نتجت عن تصرفات الحكام الذين عينوهم بالجزائر "حكم الدايات " وعدم حمايتهم للشعب الجزائري بعدما إحتكروا خيراتهم وأرزاقهم، لم تقم السلطات العثمانية بالجزائر بأي إسهامات ثقافية أو سياسية أو عسكرية إتجاه الجزائريين فقد أبعدتهم عن كل هذه المجالات خدمة لسلطتها فالحكام العثمانيين كانت مهمتهم جمع الضرائب لاغير.

الرسالة الموجهة إلى الصدر الأعظم في 24 نوفمبر 1841م² طلب فيها الأمير عبد القادر توسط بعض العمال الحكوميين لدى السلطان من أجل الدعم الحربي ضد قوات الإحتلال الفرنسي التي تفوق الجيش الوطني الشعبي عدة وعددا تجهيزا، وتدريبا وتأبيدا دوليا، لذا أراد العمل من أجل

¹ - المدني أحمد توفيق، أبطال المقاومة الوطنية، حمدان خوجة، أحمد باي قسنطينة، الأمير عبد القادر والدولة العثمانية، مجلة التاريخ، العدد 4، الجزائر، 1977، ص 99 - 105 .

² - المدني أحمد توفيق ، المرجع السابق، ص. 109-110.

إيجاد سبل لضمان المؤن والمدد للجيش من ذخيرة وعتاد حربي لمواصلة المقاومة الجزائرية ضد قوات الاحتلال الفرنسي.

رسالة الأمير عبد القادر إلى حمدان خوجة في 10 ديسمبر 1841م¹ حاول فيها مراسلة عدة شخصيات تعمل لدى الحكومة العثمانية بغية التوسط بينه وبين الحكام العثمانيين وإشعارهم بمسؤوليتهم الدينية وطلب الدعم والمعونة لمواجهة قوات الاحتلال الفرنسي وإنتهاكاتهما لحرية الشعب الجزائري، أراد من خلال رسائله والتي لم تلق أي تجاوب من السلطات العثمانية التي كان موقفها سلبيا وغير مؤيدا للمقاومة الجزائرية ولم تعتبر الأمير عبد القادر سوى بدويا، وهل هذا البدوي يستطيع مواجهة الجيش الفرنسي بعدته وعتاده مدة 15 سنة ؟ وترجع الأوضاع التي آلت إليها الجزائر بعد الاحتلال الفرنسي إلى الحكام العثمانيين باعتبارهم هم الذين كانوا يمثلون الدين الإسلامي ويدافعون عنه لذا أراد الأمير عبد القادر مراسلتهم وكسب تأييدهم ومعونتهم لكنهم في ظل الظروف التي آلت إليها معظم الدول الإسلامية كان موقفهم سلبيا من المقاومة الشعبية الجزائرية .

2- الموقف العربي من المقاومة الشعبية الوطنية:

أ- الموقف التونسي من المقاومة الشعبية الوطنية :

كان موقف الباي التونسي من المقاومة الجزائرية معارضا لمساندة الشعب الجزائري في مواجهة لقوات الاحتلال الفرنسي من خلال تموين الدولة التونسية للجيش الفرنسي² وقد أبدى الباي حسن التونسي تواطؤه مع قوات الاحتلال الفرنسي عوضا عن مساندة الدولة التونسية للمقاومة الجزائرية والشعب الجزائري في طرد قوات الاحتلال الفرنسي ولم يكن ردهم سلبيا ومعارضا فقط لمساعدة الشعب الجزائري بل وقعت اتفاقية مع السلطات الفرنسية بقيادة الجنرال كلوزال والباي التونسي تنص على حماية مدينة وهران مقابل ضريبة تدفعها هذه القوات التونسية للسلطات الفرنسية ، وتمت فعلا هذه الإتفاقية بارسال خير الدين باشا الى وهران مع قوات عسكرية متكونة من 200 جندي.³

لماذا كان الموقف الباي التونسي معارض للمقاومة الجزائرية ؟ وضدها مع أنهم مسلمون يدينون بنفس الدين الذي هو موجود في الجزائر والدين الإسلامي ينص على نصرته المسلمين ضد الكفار

¹ - نفسه، ص. 113-114.

² - G. Esquer, *La prise d'Alger 1830, op.cit.*, p. 281.

³ - E. De Reynaud Pillissier, *Annales Algériennes, op.cit.*, t. 1, p. 156-157.

المسحيين المعتدين والمغتصبين للأرض والمنتهكين للحرمت، الذين أقاموا بالجزائر كنائسهم وعبثوا بحرمة المساجد الإسلامية حيث حاول الأمير عبد القادر عن طريق خلفائه بالمنطقة الشرقية من الوطن الجزائري ربط علاقات مع الباي التونسي لمساندة المقاومة الجزائرية، وجه الخليفة بن عزوز عدة رسائل الى الباي التونسي طالبا الدعم والمعونة ضد قوات الإحتلال الفرنسي وفي رسالته الى حمودة باشا¹ شارحا له وضعية البلاد من خلال الإجراءات الفرنسية والسياسة المتبعة من طرف القوات الفرنسية ضد الشعب الجزائري ولقد استعمل الخليفة بعض الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية الشريفة في إستخدام الدين الإسلامي كوسيلة لربط أواصر الوحدة والتضامن بين المسلمين كقوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة وعلموا أن الله مع المتقين"² ولقد كان للخليفة بن عزوز اطلاع حول علاقة الدولة التونسية بالسلطات الفرنسية³ وحاول الخليفة بن عزوز من خلال مراسلاته تحميل السلطات التونسية المسؤولية الدينية باعتبارهم مسلمين متواطئين مع قوات الإحتلال الفرنسي ضد المقاومة الشعبية الوطنية، ويحذرهم من عواقب هذه المعاملات والتصرفات لإدراكه بمكائد الاستعمار الفرنسي وتوسعاته ومشاريعه، وكان الهدف من هذه الرسائل استمالة البايات التونسيين لمساندة الشعب الجزائري في مقاومته لقوات الإحتلال الفرنسي المنتهكة لأراضيه والعاثة بمساجده والمبيدة لشعبه والمستأصلة لكل جيوب المقاومة الشعبية الوطنية ومصادر تموينها، هذه القوات الفرنسية لم تحترم النساء ولا الأطفال في عملياتها الابادية فهل موقف القادة المسلمين إتجاه إخوانهم في الدين هو التماطل والتخاذل والتواطؤ مع الاحتلال الفرنسي المسيحي؟ هل هذا هو شعار المسلمين؟ ماهو رأي علماء القيروان من هذه الإضطهادات الفرنسية الممارسة ضد الشعب الجزائري؟ ولماذا أيدت ليون روش سنة 1842م في التصديق على الفتوى التي جلبها معه من الحجاز ؟⁴ لماذا هذا التقاعس الإسلامي والعربي إتجاه مقاومة الكافر المسيحي ؟ هل يرجع هذا للتخوف من قوات الإحتلال الفرنسي بالرغم من عدم وجود أي مضايقات أو تهديدات فرنسية إتجاه الدولة التونسية؟ ، كما قام محمد الصغير بن عبد الرحمن خليفة الأمير عبد القادر بمراسلة السلطات التونسية برسالة وجهها

¹ - بوعزيز يحي، كفاح الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1986، ص. 53.

² - سورة التوبة، الآية 123.

³ - بوعزيز يحي، موقف البايات التونسيين من ثورة الامير عبد القادر، مجلة الاصاله، العدد 23، الجزائر، 1975، ص. 26.

⁴ - L. Roche, *Dix ans à travers l' Islam 1834-1844*, op.cit., t. 1, p. 241.

الى مصطفى صاحب الطابع التونسي¹، من أجل ربط علاقة صداقة وطلب المساندة والمعونة للمقاومة الشعبية الوطنية من أجل مواصلة الدفاع عن الوطن، لكن البايات التونسيين لم يراعوا هذه التضحيات الجزائرية والخسائر المادية والمعنوية للشعب الجزائري، ورغم هذه المراسلات لم تستجيب الدولة التونسية لمطالب المقاومة الشعبية ولم تساندها في مواصلة مقاومتها ومجابهتها لقوات الإحتلال الفرنسي .

راسل الأمير عبد القادر الباي التونسي محمد بن حسن يطلب منه الدعم والمساندة ضد قوات الإحتلال الفرنسي في شهر ماي 1847م، لكن هذه المراسلات لم ترد عليها السلطات التونسية وأبقت على علاقاتها مع الدولة الفرنسية، كانت للسلطات التونسية موقف معارض وسلبي اتجاه المقاومة الشعبية الوطنية وعارضوا تقديم أي مساعدات للجيش الشعبي الوطني بقيادة الأمير عبد القادر²، كما عارضت الدولة التونسية نوابها ووكلائها التجاريين بجبل طارق من تقديم أي مساعدات للمقاومة الجزائرية وتمويلها بالأسلحة والمؤونة والذخيرة لمواجهة الإحتلال الفرنسي هذا ما يعكس ويؤكد تأييد الدولة التونسية لقوات الإحتلال الفرنسي بالجزائر³، كما عارضت السلطات التونسية وكيلها التجاري بجبل طارق " زكي كرطوزو " من مساندة المقاومة الجزائرية بقيادة الأمير عبد القادر، من خلال تمويله بالأسلحة والذخيرة الحربية أقام الأمير عبد القادر علاقات مع الوكيل التونسي للاتصال بالسلطات الإنجليزية بجبل طارق لتمويله بالأسلحة والذخيرة ولكن لانعلم مانوع هذه الصفقات وكمياتها وهل كان هذا الوكيل يساند الأمير عبد القادر والمقاومة الجزائرية حبا في الجزائريين ودعما لمقاومتهم أم من أجل الثروة والربح لما توفره له هذه الصفقات التجارية من أموال؟ ولماذا تحايل على حكومته في عدم مساندته للأمير عبد القادر هل كان ذلك خوفا من الحكومة التونسية؟ ففي رسالته للحكومة التونسية في جوان 1847م⁴، يبين كرطوزو من خلال هذه الرسالة أنه لم يساند الأمير عبد القادر حبا في المقاومة الجزائرية وإنما لما تدره هذه الصفقات التموينية من أموال لهذا التاجر، لذا لم يرد التخلي عن هذه الصفقات التجارية التي تخدم مصلحته .

¹ - بوعزيز يحي ، كفاح الجزائر، ص. 59.

² - بوعزيز يحي ، موقف البايات التونسيين من ثورة الأمير عبد القادر، ص. 27.

³ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الحديث ، بداية الإحتلال، معهد البحوث والدراسات العربية، مصر، 1970، ص. 132 - 133 .

⁴ - بوعزيز يحي ، موقف البايات التونسيين من ثورة الأمير عبد القادر، ص. 34.

ب- موقف طرابلس الغرب من الاحتلال الفرنسي للجزائر :

سنة 1830م وفي رسالة بعثها حاكم طرابلس يوسف القرماني إلى الداي حسين يحذره من التحالف الفرنسي المصري ضد الجزائر¹، لقد كانت نوايا حاكم طرابلس الغرب تحذير الداي حسين من الحملة الفرنسية ومعاداته للدولة الفرنسية، وتأييده المعنوي للجزائر فلما أحست الدولة الفرنسية بتعاطف حاكم طرابلس أرسلت الأوامر إلى الأميرال دريزنل "Derusanel" مع سبع بواخر فرنسية نحو ميناء طرابلس وأرغم حاكم طرابلس يوسف القرماني بالشروط الفرنسية التي فرضت عليه من طرف الأميرال دريزنل بعدم تأييد الجزائر² لم تقدم لحكومة طرابلس الغرب أي مساندة أو مساعدات للمقاومة الجزائرية ضد قوات الاحتلال الفرنسي خوفا على مصالحها وعدم ادراك البعد الحضاري والتفاوت التجهيزي بين العالمين جعل الحكام العرب لا يكثرثون لهذه التوسعات

ج - الموقف المصري من الاحتلال الفرنسي للجزائر :

جاء تقرير الباشا محمد علي حاكم مصر وجه من طرف الجنرال دي ليفرون "Delivron" إلى السيد دي بولينياك "Prince de Polignac" بتاريخ 1 فيفري 1830م جاء فيه " حول الحملة على الجزائر فإنني أتقدم إليكم ببعض الملاحظات المهمة المتمثلة في الإستعانة بفرقة عسكرية مصرية لتسهيل عملية الاحتلال إن الوساطة المصرية ضرورية ولا بد منها "³

لقد إقترح محمد علي وعرض على الحكومة الفرنسية مساعدتها لإحتلال الجزائر وفق البرنامج الآتي يقوم إبراهيم باشا مع الجيوش النظامية غزو البلاد برا يساعده في عملياته الحربية الأسطول الحربي من جهة البحر وتتكفل الحكومة الفرنسية بقرض الباشا محمد علي مدة عشر سنوات وأشترط القنصل الفرنسي المقيم بالإسكندرية مشاركة الأسطول الفرنسي إلى جانب الأسطول المصري، قبل الباشا بهذا الشرط ولكن على أن تكون هذه السفن الحربية بقيادة المصريين لكن

¹ - سعيدوني ناصر الدين ، ثلاث وثائق تتعلق باوضاع الجزائر قبل الاحتلال، مجلة التاريخ، العدد 7، الجزائر، 1979، ص. 65.

² - نفسه، ص. 59.

³ - بوضرساية بوعزة ، موقف حاكم مصر محمد علي باشا من الاحتلال الفرنسي للجزائر من خلال احدى التقارير السرية الفرنسية، مجلة الذاكرة، العدد 3 ، جانفي 1995، ص. 186 - 187.

الحكومة الفرنسية رفضت هذا الشرط وإنقطعت المباحثات الفرنسية المصرية ولقد كان طموح محمد علي توسعي على حساب الأراضي العربية الإسلامية لتولي الخلافة الإسلامية ولم يكن هناك أي تجاوب للحكام العرب لمساندة المقاومة الجزائرية وهذا يرجع لنقص وعيهم وعدم ادراكهم للفتاوت الحضاري وما وصلت اليه أوروبا من تطور وحادثة والتي استطاع الأمير عبد القادر وعيها وتداركها بالرغم من نقص امكانياته ولم تكن أية ردة فعل للشعب المصري والشعب العربي كافة اتجاه المقاومة الجزائرية وما يعانيه الشعب الجزائري تحت حكم الاستعمار الفرنسي وتجاوزاته اللانسانية وتحالفت البعض منها ضد المقاومة الجزائرية التي كانت ترفض الاستبداد والظلم دفاعا عن حرياتها وأراضيها.¹

د - الموقف المغربي من المقاومة الشعبية الوطنية :

حاول الأمير عبد القادر إعادة تنظيم مشروعه الحربي ضد قوات الاحتلال الفرنسي بالحدود الجزائرية المغربية، حيث لجأ مع القوات المتبقية من الجيش الشعبي الوطني إلى الريف المغربي بعد القضاء على العاصمة المتنقلة الزمالة من طرف الدوق دومال في 16 ماي 1843م ، ولكن نظرا للعلاقات الودية التي كانت تربط السلطان عبدالرحمن بالحكومة الفرنسية جعلته يساند قوات الاحتلال الفرنسي بتشديد الخناق على الجيش الشعبي الوطني² ولم يبق للأمير عبد القادر بعد القضاء على الزمالة سوى 300 فارسا وعائلته وبعض الفرسان من قبائل الحشم الذين بقوا مخلصين للمقاومة الجزائرية، وبعض الأتباع من 1500 فارس للخروبي بالفليطة، وبن علال بالونشريس ومصطفى بن التهامي ببني وراق ولكنه رغم الخسارة الكبيرة التي مني بها بعد القضاء على الزمالة إلا أن الجيش الشعبي الوطني بقيادة الأمير عبد القادر وخلفاؤه واصلوا مقاومتهم لقوات الاحتلال الفرنسي .

في 11 نوفمبر 1843 قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال بيجو، ولامورسيير، وبيدو، وبوجولي والعقيد جيرى بمتبع الدائرة الجزائرية التي أصبحت بدون مؤونة، والتي هاجرت الى المغرب الأقصى بعد إستنفاد طاقاتها³ وقد بعث الأمير عبد القادر بوفد مكون من ميلود بن عراش، البركاني، ومحمد بن بوزيد وولد الحاج علي إلى السلطان المغربي مولاي عبدالرحمن لمساعدتهم

¹ - المدني أحمد توفيق ، من الوثائق العثمانية عن التاريخ الجزائري محمد علي باشا ومساعيه مع فرنسا لاحتلال الجزائر ومهمة طاهر باشا، مجلة التاريخ، العدد 12، الجزائر، 1982، ص. 15.

² - J. Ladmir, *Les guerres d'Afrique*, op. cit., p. 355.

³ A. Belmare, *Abdelkader sa vie politique et militaire*, op.cit., p. 150.

ضد قوات الاحتلال الفرنسي كما أجريت إتصالات مع قائد مدينة وجدة¹ للاستفادة من بعض المؤن² وفي 28 ماي 1844 قام قائد الحامية الفرنسية بوهران بالتوجه نحو المويلح ثم سيدي عزيز وفي 29 ماي وصل الى قبائل جبالا وندرومة التي أعلنت خضوعها للقوات الفرنسية وأخبرتهم عن مناوشات الجيش الوطني الشعبي بقيادة الأمير عبدالقادر ضد فرسان الأحلاف بقيادة أمدم حيث سقط قتلى وجرحى من الطرفين³

لقد قام الجنرال لامورسيير باقامة حصن لالة مغنية تبعد حوالي 15 فرسخا غرب تلمسان في 30 ماي 1844م فاجئا قوات مغربية بمنطقة وجدة وقتل 50 جنديا مغربيا، فكاتب الجنرال لامورسيير قائد مدينة وجدة القناوي من أجل عقد محادثات للوصول الى أسباب الصراع من أجل التخلي عن الحرب، تقبل القائد المغربي هذا الإتفاق بوضع موعدا للمحادثات يوم 15 جوان 1844م على ضفاف واد ملوية وكان ممثل فرنسا هوالجنرال بيدو رفقة 4 كتائب فرنسية والقناوي ممثل المغرب رفقة 3000 جندي وبعض القوات غير النظامية تمت المحادثات والمفاوضات في جو معكر من التهديدات الفرنسية وإنتهت باطلاق النار كانت أهداف التوغل الفرنسي على الأراضي المغربية من أجل تشتيت القبائل الجزائرية حتى لا يتسنى لها مساندة الجيش الشعبي الوطني الذي هاجر الى الريف المغربي وفي 26 جوان 1844م قامت قوات الاحتلال الفرنسي بإحتلال منطقة الغزوات على ضفاف وادي التافنة وتم إنشاء حاميات عسكرية فرنسية من أجل السيطرة على الحدود وإخضاع قبائل المنطقة للقضاء على المقاومة الجزائرية⁴ حتى لا تتمكن من استرجاع قواها وتنظيم صفوفها ضد قوات الاحتلال الفرنسي لذا عملت السلطات الفرنسية لتهديد السلطان المغربي وقامت بالتوغل في أراضيه لكي لا يساند قوات الجيش الشعبي الوطني التي كانت تشكل لمشروع الاحتلال الفرنسي عائقا خطرا يصعب ازاحته حتى ولو كانت هذه القوات بعيدة عن الأراضي الجزائرية، الا أنها سوف تسترجع قواها لمقاومة التوسع الفرنسي على حساب الأراضي الجزائرية حيث أدركت مشروع الأمير عبدالقادر الذي حاول اعادة تنظيم صفوفه لمواصلة المقاومة

¹ - وجدة: مدينة مغربية في سهل الأنجاد على بعد 12 كم من الحدود الجزائرية أسسها زيزي بن عطية 995 م كانت محل نزاع بين المغاربة والعثمانيين في القرن الـ 18 م أسس فيها السلطان عبد الرحمن حامية في 1828 دخلها الفرنسيون في 1844 و 1859 واحتلوا سنة 1907 أنظر:

E. Daumas, *Correspondances du capitaine Daumas consul à Mascara, 1837-1839, op.cit.*, p. 195.

² - A. Latarille, *La campagne de 1844 du Maroc la bataille d'Isly*, éd. Chapelot, Paris, 1912, p. 10-13.

³ - *Ibid.*, id., p. 33.

⁴ - R. Demont, *Histoire de la conquête de l'Algérie de 1830-1847, op.cit.*, t. 2, p. 303-304.

الوطنية واعطاها نفسا جديدا ولكن السلطات الفرنسية استعملت كل السبل من أجل القضاء على هذا المشروع الذي يسعى الأمير عبدالقادر لتحقيقه في القضاء على المشروع الاستعماري الفرنسي .

في 22 جويلية وبعد التوسع الفرنسي على حساب الأراضي المغربية بعث بوسالم قائد الأعراش إلى القنصل الفرنسي بطنجة إعترافه بالأخطاء التي ارتكبها الفرسان المغاربة ضد الجيش الفرنسي واحتج حول التدخل الفرنسي بمنطقة طنجة وإنتهاكه للحدود المغربية ،أما القضية الخاصة بالأمير عبدالقادر بقيت معلقة و لن يستقبل الأمير عبدالقادر بالمغرب¹ استطاعت قوات الاحتلال الفرنسي فرض سيطرتها على الحدود الجزائرية المغربية وهذا ما دفعها للتوغل على حساب الأراضي المغربية لتهديد الكيان المغربي وحتى تمنع الحكومة المغربية من تقديم أي مساعدات لقوات الجيش الشعبي الوطني بقيادة الامير عبدالقادر.

- معركة ايسلي :

في 14 أوت 1844م استطاع جيش الاحتلال الفرنسي إلحاق الهزيمة بالجيش المغربي الذي كان تعدادة 60 ألف فارس و 1200 من المشاة و 50 ألف من فرسان القبائل بقيادة مولاي محمد بن السلطان عبدالرحمن في مواجهة الجيش الفرنسي المشكل من 6500 جندي، و 1500 فارس وانسحبت القوات المغربية نحو مدينة تازة² وقد خسر الجيش المغربي بالمعركة 800 جندي، بينما كانت خسائر جيش الاحتلال الفرنسي أقل حيث قتل 27 جنديا و 86 جريحا³، انهزمت قوات الجيش المغربي في أول معركة خاضتها ضد قوات الإحتلال الفرنسي بتعداد وعدة أقل وعلى الرغم من وجود جيش مغربي مجهز ومنظم، الا أن قادة الجيش المغربي والسلطان المغربي رضخوا للإقتراحات الفرنسية بعد التوغل الفرنسي بالأراضي المغربية وإحتلال مدينة وجدة وتراجعت قوات الجيش المغربي بقيادة مولاي محمد، وبعد الخسارة التي مني بها الجيش المغربي بمعركة ايسلي قام السلطان عبدالرحمن بتوقيع معاهدة طنجة ولم تتمكن القوات المغربية من مواجهة قوات الإحتلال الفرنسي التي استطاع الجيش الشعبي الوطني بقيادة الأمير عبدالقادر مواجهتها، ففي سنة 1844م مرت حوالي 12 سنة من المقاومة الوطنية ضد قوات الاحتلال الفرنسي تمثلت في عدة معارك ومناوشات ومشادات بالرغم من نقص المؤونة والذخيرة والعتاد الحربي إلا أن المقاومة

¹ - A. Lataille, *La campagne de 1844 du Maroc la bataille d'Isly*, op.cit., p. 114.

² - P. Azan, *Les grands soldats de l'Algérie*, op. cit., p. 37.

³ - R. Demont, *Histoire de la conquête de l'Algérie de 1830-1847*, op.cit., t. 2, p. 304-305.

الشعبية الوطنية لم تستسلم، أمام تلك المجازر وسياسة الأرض المحروقة اتجاه الشعب الجزائري بحرمانه من مؤونته بحرق محاصيله ومصادرة أراضيه إلا أن المقاومة الشعبية الوطنية بقيت صامدة و لم يوقع الأمير عبدالقادر أي معاهدة تمس بالسيادة الوطنية أو تمس بشرعيتها مع القادة الفرنسيين، لقد حافظ على هوية الشعب الجزائري ولم يرضخ لمطالب السلطات الفرنسية رغم الإغراءات الموجهة له ولخلفائه للتخلي عن المقاومة الشعبية

كانت قوات الجيش المغربي أقل خبرة بالحروب وأقل وعيا بالمشروع الإستعماري ومخططاته، رغم قلة مواجهات الجيش المغربي لجيش الاحتلال الفرنسي لم يستطع الصمود في وجه التوغل الفرنسي على حساب الأراضي المغربية بالرغم من امتلاك المملكة المغربية لحكومة وجيش نظامي وذخيرة حربية وعتاد مجهز، مع أن التجهيز الحربي كان متوفرا إلا أن الايمان بالحرية والدفاع عن الوطن والاحساس بالمسؤولية الدينية والوطنية لم يكن موجودا لدى القادة المغاربة لذا صعب عليهم مواجهة قوات الاحتلال الفرنسي، بينما قامت قوات الجيش الشعبي الوطني بقيادة الأمير عبدالقادر بإقامة دولة في ظروف صعبة وفوضى عارمة مست البلاد الجزائرية بلاتموين وبدون ذخيرة من جنود متطوعين استطاعوا مقاومة جيش الاحتلال الفرنسي الذي كان يفوقهم عدة وعددا، تجهيزا وتنظيما، فأين يكمن الفرق بين المقاومة الشعبية الوطنية والجيش المغربي الذي استسلم بعد أول معركة في مواجهة واحدة لاغير ؟

- قصف الموانئ المغربية :

قامت قوات الاحتلال الفرنسي بعد معركة ايسلي لضمان كسب تأييد الحكومة المغربية ضد قوات الجيش الشعبي الوطني، فقد تم محاصرة الشواطئ المغربية بقيادة الأميرال جوانفيل " Jonville " في 6 أوت 1844م قصفت مدينة طنجة بواسطة 5 إلى 6 قذائف¹، وقصفت ماغادور في 11 أوت 1844م وقصفت مدينة الصويرة²، لم تتمكن القوات المغربية من مواجهة القوات الفرنسية برا ولابحرا، لقد تكبدت خسائر مادية في معركتها البرية ولم تتمكن من الدفاع عن شواطئها البحرية فيما يمكن النقص ياترى ؟ في ظل هذه الظروف وبعد الهزائم المتتالية التي مني بها الجيش المغربي فضل السلطان المغربي الجنوح الى السلم والتواطؤ مع قوات الإحتلال الفرنسي ضد

¹ - T. Changarnier, *Mémoire du général Changarnier*, op.cit., p. 329.
² - R. Demont, *Histoire de la conquête de l'Algérie de 1830-1847*, op.cit., t. 2, p. 318-321.

المقاومة الجزائرية ، الذين حولوا المساجد الإسلامية الجزائرية إلى كنائس مسيحية، لماذا كان رد الفعل المغربي إتجاه المقاومة الجزائرية بهذا التصرف ؟

- **معاهدة طنجة :** عقدت معاهدة طنجة في 10 سبتمبر 1844م :أجريت المحادثات بين الجنرال

بيجو وسيدي بوسالم نصت على مايلي :

1 - تفرقة القوات المغربية المجتمعة قرب الحدود .

2- معاقبة الزعماء المسؤولين على مهاجمة القوات الفرنسية .

3- عدم تقديم أي دعم لأعداء السلطات الفرنسية مثل عبد القادر .

4- الحاج عبدالقادر خارج عن القانون تلاحقه القوات الفرنسية بالأراضي الجزائرية وتلاحقه

القوات المغربية بالأراضي المغربية ، في حالة سقوطه في يد قوات الاحتلال الفرنسي، يعامل معاملة حسنة أما إذا وقع في يد القوات المغربية يحتجز بإحدى المدن الساحلية الغربية للمملكة .

5- تلتزم الدولتان على الإتفاق رسميا للفصل في الحدود ويتم ذلك في معاهدة شاملة .

6- تخلي القوات الفرنسية عن جزيرة ماغادور ومدينة وجدة بمجرد إلترام السلطان المغربي

بجهوده مع فرنسا ¹ لقد نصت المعاهدة بإعتبار الأمير عبدالقادر خارجا عن القانون واتفق الجنرال

بيجو مع مولاي محمد بن السلطان عبدالرحمن بعد التوقيع على معاهدة طنجة ² على الضمانات

الضرورية حتى لايتسنى للجيش الشعبي الوطني بقيادة الأميرعبدالقادر من إستعادة قواهم لإستئناف

المقاومة الوطنية كما فرضت السلطات الفرنسية من خلال بنود المعاهدة على الحكومة المغربية

إلتزامات في حالة مساندتها للمقاومة الشعبية الوطنية، لقد وافقت الحكومة المغربية على الحدود

التي وضعتها فرنسا والتي ستتم دراستها بمعاهدة لفرض التواجد الفرنسي حول المناطق المتنازع

حولها كما ألزمت السلطات الفرنسية بتفرقة القوات المغربية للحفاظ على أمن قواتها بالحدود

الغربية للجزائر، وفي حالة أي هجوم مغربي يمكنها التدخل بسرعة في الشؤون المغربية وتفرض

على قادتها عقوبات في حالة تعرضهم إلى قوات الجيش الفرنسي، وهذا ما يعطي لجيش الاحتلال

الفرنسي حرية التصرف والتوغل بالأراضي المغربية لمحاربة القبائل المهاجرة لمساندة المقاومة

الجزائرية، وتلتزم السلطات المغربية بعدم مساعدة الجيش الشعبي الوطني بقيادة الأمير عبدالقادر،

¹ - R. De Card, *Les traités entre la France et le Maroc étude historique et juridique*, éd. Durand, Paris 1898, p. 54 -55.

² - A. Rey, Document relatifs à la guerre Franco-Marocaine de 1844, *Revue Africaine*, t. 54, 1910, p. 64-65.

أما البند الرابع يعتبر قوات الجيش الشعبي الوطني الذين يقاومون الى جانب الأمير عبدالقادر خارجين عن القانون، وتقوم القوتان المغربية والفرنسية بمحاصرتهم حيث كانت أهداف السلطات الفرنسية تضيق الخناق على القوات الوطنية حتى تستنفذ قواها ولا تتمكن من إعادة تنظيم صفوفها من أجل القضاء على مشروع الاحتلال الفرنسي بالجزائر، لقد خولت المعاهدة للحكومة الفرنسية فرض وجودها وشروطها على الحكومة المغربية التي تخوفت من قوات الاحتلال الفرنسي في معركة واحدة وقصف بعض المدن الساحلية وتوقيع معاهدة استسلام وقبول كل الشروط الفرنسية دون تردد بالرغم من أنها لاتخدم مصلحة الحكومة المغربية .

لقد ساندت بعض القبائل المغربية بمنطقة الريف المقاومة الشعبية الوطنية¹ ومن أهم هذه القبائل بني زناسن²، كبدانة، المتالسة، وجزء من القلاية وبني توزين، ساندوه بقوات مكونة من 300 فارس و 600 من الرماة واتصلت بعض القبائل المغربية بالأمير عبدالقادر تعرض عليه الخضوع لسلطته لكنه رفض لأن دافعه الحقيقي هو الدفاع عن الوطن وتحرير الجزائر من قوات الاحتلال الفرنسي وليس الطموح من أجل الاستيلاء على مملكة المغرب لذا سعى السلطان عبدالرحمن للتقليص من نفوذ قوات الجيش الشعبي الوطني بقيادة الأمير عبدالقادر خوفا على عرشه وقام في شهر جويلية 1846م بتحريض بعض القبائل المغربية ضد الدائرة الجزائرية وخلال 7 أشهر حدثت أربع معارك بين القوات المغربية وقوات الجيش الوطني

- **معركة تافرسيت في جوان 1847م** :قامت قبائل الأحلاف المغربية بالإعتداء على قوات الجيش الشعبي الوطني بقيادة الخيفة البوحميدي، وقاموا بنهب إيلهم وغنمهم وقد راسل الأمير عبدالقادر قائد الأحلاف للكف عن هذه الأعمال ضد اخوانهم في الدين ولكنه لم يهتم وبعد هذه المراسلات وقعت معركة بين الجيش المغربي والقوات الوطنية في 6-7 جوان 1847م إنهزمت قوات الجيش المغربي وقتل قائدهم ابن الأحمر وغنمت قوات الجيش الشعبي الوطني بعض الغنائم، لكن الضحايا كانت من الطرفين.

- **معركة قلعية** : هاجمت قبيلة قلعية الدائرة الجزائرية وقاموا بنهب عدة غنائم بعد غياب قوات الجيش الشعبي الوطني بقيادة الأمير عبدالقادر بمنطقة مكناسة لإستقبال الحشم وبني عامر ولكن بعد

¹ - H. Farida, La grande Bretagne et la résistance de l'Émir Abdelkader d'après les correspondances du consul général d'Alger 1837-1847, *Majalet el-Tarikh*, t. 11, 1981, p. 58-59.

² - بني زناسن: قبيلة بربرية تسكن الجبال الممتدة بين الأنجاد جنوبا وطريقة شمالا، تتكون من 4 قبائل كبيرة: بني خالد، بني عتيق، بني منقوش وبني وريانش، كانوا تابعين للملك لكنهم لم يولوا الطاعة لا للملك وشكلوا في عديد المرات فرسانا ساعدوا الأمير عبد القادر في مقاومته أنظر:

E. Daumas, *Correspondances du capitaine Daumas consul à Mascara, 1837-1839, op.cit.*, p. 93.

عودتهم أعلموا أن قبيلة قلعية قامت بمهاجمة الدائرة الجزائرية فاتصل الأمير عبد القادر ببعض القبائل المغربية لاستشارتها أهمها الأحلاف والمطالسة والسبع فيما اقتترفته قبيلة قلعية ضد الدائرة الجزائرية حيث قامت هذه القبائل بمساندته فهوجمت القبيلة وقتل العديد من فرسانها.

- إبادة الحشم وبني عامر :

قامت القوات المغربية بمفاجأة قبائل الحشم وبني عامر على الأراضي المغربية وكان هدفها إبادة هذه القبائل خوفا من تزايد قوات الجيش الشعبي الوطني بالمغرب وإزدياد نفوذ الأمير عبد القادر، لذا تم القضاء على هذه القبائل بقوات تقدر ب 12000 جنديا مغربيا بينما كانت لقبائل الحشم وبني عامر حوالي 800 فارس و 1200 جندي في 11 ديسمبر 1847م تمت معركة على ضفاف واد ملوية بين الجيش المغربي من 30000 جندي بقيادة ابن عبد الصادق والموالي أحمد كانت المعركة بساحل كبدانة بينما كانت قوات الجيش الشعبي الوطني بقيادة الأمير عبد القادر مكونة من 2000 من المشاة و 1200 فارس بمساندة قبائل المطالسة المغربية فاجأت القوات الجزائرية الجيش المغربي وألحقت به الهزيمة بخسائر تقدر 1200 بين قتيل وجريح وفقدت القوات الوطنية 50 جنديا¹.

- معركة عجرود: أواخر شهر ديسمبر 1847م كثر في هذه المعركة عدد القتلى والجرحى من الطرفين المغربي والجزائري لذا اضطر الأمير عبد القادر للإنسحاب نحو بني زناسن نظرا لقلّة الذخيرة والمؤونة لقوات الجيش الشعبي الوطني²

بعد الجهود المبذولة من طرف قوات الجيش الشعبي الوطني ونظرا لنقص الذخيرة الحربية والمؤونة لتغذية الجيش والدائرة الجزائرية التي رافقت الأمير عبد القادر الى بلاد المغرب حاول الأمير استعمال الطرق التفاوضية بارسال وفد بقيادة الخليفة البوحميدي في أواخر سنة 1847م إلى سلطان عبدالرحمن ليطلب منه الدعم لمساندة المقاومة الجزائرية ضد قوات الاحتلال الفرنسي وهذا من أجل حقن دماء المسلمين، إلا أن السلطان عبدالرحمن قام بسجن المبعوث الجزائري الذي بقي معتقلا في السجون المغربية وقتل مسموما³؟

¹ - P. Azan, L'émir Abdelkader 1808-1883, du fanatisme musulman au patriotisme français, op. cit., p. 227-231.

² - تشرشل شارل هنري، المصدر السابق، ص. 290.

³ - محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص. 320-321.

قام الجنرال بيجو بتهديد الحكومة المغربية وذلك باستعمال الطريقة الدبلوماسية لتجسيد النفوذ والسيطرة الفرنسية على القرارات المغربية وذلك حتى لا يتسنى لها إتخاذ أي إجراء لمساندة المقاومة الشعبية الوطنية التي شكلت خطرا وعائقا في وجه قوات الإحتلال الفرنسي وألحقت بهم عدة خسائر مادية وبشرية وكانت عائقا كبيرا في توطيد توسعاتهم ومشاريعهم الاستيطانية لذا رأت الحكومة الفرنسية في لجوء الجيش الوطني الشعبي نحو الحدود المغربية خطرا على قوات الإحتلال الفرنسي بإعادة تشكيل قواه وتنظيم صفوفه، والعمل على إقامة علاقات دولية مع إنجلترا وإسبانيا لتموينه بالعتاد الحربي والذخيرة والمؤونة التي سوف تسمح له بإعادة تنظيم صفوفه لمباشرة عملياته العسكرية ضد قوات الإحتلال الفرنسي فقد نصت المادة الخامسة من معاهدة طنجة على إلزام الطرفين الفرنسي والمغربي حول الفصل عن الحدود نهائيا بمعاهدة شاملة وتم ذلك التفاوض الفرنسي المغربي، ممثل المغرب هو سي حميدة بن علي وممثل فرنسا الكونت دولاري وافقت الحكومة المغربية على الحدود التي أقرتها الحكومة الفرنسية وتوصل الطرفان لإمضاء معاهدة لالة مغنية للفصل في الحدود في 18 مارس 1845م¹ لم تعارض الحكومة المغربية قضية الحدود التي أقرتها الحكومة الفرنسية رغم أنها لا تخدم مصالحها التوسعية على حساب الأراضي الجزائرية التي سعت خلال الفترة الأولى من الإحتلال الفرنسي من التوسع على حساب هذه الأراضي الجزائرية الا انها تخلت عنها خوفا على مصالحها ونظرا لعدم قدرتها على المواجهة، لذا رضخت للأمر الواقع واستجابت لكل المطالب الفرنسية

واصل الجيش الشعبي الوطني المقاومة رغم الحصار المفروض عليه من قبل القوات المغربية غربا والقوات الفرنسية شرقا وبعد 7 أشهر من المواجهات ضد قوات الجيش المغربي سنة 1847م استطاعت قوات الجيش الشعبي الوطني رفع الحصار ومواجهة قوات الإحتلال الفرنسي في أكثر من معركة وإخترق الأراضي الجزائرية وصولا الى بلاد القبائل وقد وصل عدد الجيش الفرنسي بالجزائر الى 106 آلاف جندي مشكلا من 15 كتيبة عسكرية كلها تهدف لمنع تحركات الجيش الشعبي الوطني بقيادة الأمير عبد القادر والعمل على عدم السماح له بالدخول الى الأراضي الجزائرية وطرده نحو الصحراء نظرا لصعوبة العيش بهذه المناطق ولقلة المؤن بها ومصادر المياه، وبعدها عن المنطقة التالية التي تتمركز بها قوات الإحتلال الفرنسي، استطاعت قوات الجيش

¹ - R. De Card, *Les traités entre la France et le Maroc étude historique et juridique*, op.cit., p. 54 -55.

الشعبي الوطني التوغل بالأراضي الجزائرية عبر الهضاب العليا حيث مرت وسط قوات الجنرالين لامورسيير وبيدو "Bedeau"¹ وتمكنت من تنظيم المقاومة بمنطقة شلف بينما عملت 15 كتيبة عسكرية فرنسية على تتبع تحركات الجيش الشعبي الوطني من أجل القضاء عليهم، فقد توغلت هذه القوات الوطنية ووصلت إلى منطقة يسر ببلاد القبائل وتقابل الأمير عبد القادر مع الخليفة بن سالم فطلب منه مواصلة المقاومة ضد قوات الإحتلال الفرنسي وقد رجعت قوات الجيش الشعبي الوطني إلى المغرب في 18 جويلية 1846².

ان المقاومة الشعبية الوطنية بقيادة الأمير عبد القادر برهنت على التقاليد الجهادية للشعب الجزائري ورفضه للأجنبي ومجابهته لقوات الإحتلال الفرنسي رغم المآسي وصعوبات التجنيد، وقلة المؤونة والذخيرة الحربية الى جانب التفاوت التجهيزي بين قوات جيش الإحتلال الفرنسي والجيش الشعبي الوطني عدة وعددا، الا أن قوات الجيش الوطني الشعبي بقيادة الأمير عبد القادر واصلت المقاومة والدفاع عن الوطن، وجسدت فكرة حب الوطن و الحرية خلال 15 سنة كلها معارك وإبادات ومحارق ضد الشعب الجزائري وقد حافظ الأمير عبد القادر على شرعية الدولة الجزائرية ولم يعترف بسلطة فرنسا على الجزائر حتى عند ماقوع معاهدته الأخيرة لإنهاء القتال مع الجنرال لامورسيير بجامع الغزوات حتى تواصل المقاومة الشعبية مشوارها في مواجهة قوات الإحتلال الفرنسي بالجزائر، بينما رضخ السلطان المغربي عبدالرحمن لقوات الإحتلال الفرنسي بعد معركة ومناوشات لم تدم شهرين وقعت معاهدة طنجة فلم تكن لديه فكرة المقاومة، وتؤكد المعاهدة إستسلام الحكومة المغربية للشروط الفرنسية، وعدم إدراك السلطان عبدالرحمن للمشروع الفرنسي الإستعماري ووقف في وجه المقاومة الشعبية الوطنية الراضية للإستعمار والإستبداد، ياترى أين تكمن وحدة المسلمين ضد القوات المسيحية الغازية المنتهكة لحقوق الشعب جزائري؟ ، فكيف توسع الملك المغربي بقواته بعد سقوط مدينة الجزائر في يد الإحتلال الفرنسي في 05 جويلية 1830م بواسطة مولاي علي، بإسم الدفاع عن المسلمين وتنظيم صفوفهم فكيف ينقلب بعدها من مؤيد للمقاومة الشعبية الوطنية بقيادة الأمير عبد القادر بإسم الدين الإسلامي ومساندة إخوانهم ؟ لماذا مثل هذه التصرفات هل خوفا وإستكانة من قوات الإحتلال الفرنسي هو الذي جعلهم يساندونهم ضد

¹ - الجنرال بيدو: ولد في فارتو بتاريخ 09 أوت 1804، تخرج من مدرسة سان سير العسكرية في 1820، شارك في معركة قسنطينة سنة 1837، رقي جنرالاً في 1841. ثم عاد إلى فرنسا في 1845، تولى قيادة مقاطعة المدينة، و في نوفمبر 1847 مات في 03 أكتوبر 1863 أنظر:

T. Changarnier, *Mémoire du général Changarnier, op.cit.*, p. 116.
² - A. Belmare, *Abdelkader sa vie politique et militaire, op.cit.*, p. 156-159.

المقاومة الشعبية الوطنية، لقد أراد السلطان المغربي المحافظة على عرشه وسلطانه ولم يرغب في الحرب ضد قوات فرنسية أكثر تقدما وحادثة وتنظيما وفضل الإستكانة لرغبات وشروط الحكومة الفرنسية على حساب قوات الجيش الشعبي الوطني فقد عملت القوات المغربية لفرض الحصار على القوات الوطنية حتى ترغمها على الخضوع لقوات الاحتلال الفرنسي .

قام الأمير عبدالقادر بواجبه الديني والوطني وتحدى الاحتلال الفرنسي في ظروف صعبة وغير منظمة وعمل على مجابهته بكل الطرق والأساليب ولكن مواصلة المقاومة يعني الانتحار لذا عمل على إنهاء القتال بعد مشورته مع القادة الذين كانوا الى جانبه وتم الاتفاق على إنهاء القتال عن وعي وحرص وقد اتفقوا لإنهاء القتال على النقاط التالية¹: مطابقة إنهاء القتال لحكم الدين الإسلامي مع موافقة أهل الحل والعقد وحفظ حقوق الشعب الجزائري الأساسية على أن لا يكون استسلاما مهينا تم اتفاق الأميرعبدالقادر مع القادة الفرنسيين حول ثلاث نقاط: سفره إلى عكا أو الإسكندرية وعدم التعرض لمن يريد السفر معه من جيشه وأن الذي يبقى منهم يكون آمنا على نفسه وماله وتم إنهاء القتال بلا هزيمة أو إهانة الأمير عبدالقادر ولم تمل عليه شروطا وانما الدوق دومال رفقة الجنرال لامورسيير قبلا بشروط الأميرعبدالقادر دون اعتراض لأنه كان يشكل خطرا على مشاريعهم الاستعمارية ورحبوا بفكرة إنهاء القتال والتخلص من عدو سبب لهم الكثير من الأخطار والنفقات من أجل القضاء عليه ولم يكن إنهاء الأمير عبد القادر للقتال مثل استسلام الداي حسين أوالبايات العثمانيين كأحمد باي الذين قبلوا الشروط الفرنسية ورضخوا لها، فالداي حسين رضخ للسلطات الفرنسية ووقع معاهدة الاستسلام ضمنا لحايته وحاشيته ولم يراع حق الشعب الجزائري بعد مناوشات لم تدم أسبوعا بينما الباي أحمد خلال معركةين انهزم وهرب ولم يواجه قوات الاحتلال الفرنسي واستسلم سنة 1848م لكن الأمير عبدالقادر واصل المقاومة مدة 15 سنة كلها معارك ومناوشات بامكانيات ضئيلة وصعوبات كبيرة مع ذلك استطاع تحقيق ما لم يستطع تحقيقه الحكام العثمانيين بالجزائر رغم توفر شروط المقاومة الا أنهم لم يستطيعوا مقاومة تلك الجيوش الفرنسية التي بلغ عددها سنة 1846 حوالي 106 ألف جندي فرنسي.

بعدما أدرك الأمير عبدالقادر التباين الحضاري والعلمي بين العالمين العربي الاسلامي والعالم الأوروبي، قام بمراسلة علماء فاس ومصر في بعض المسائل الفقهية وبعض الاستفسارات والفتاوى

¹ - A. Belmare, *Abdelkader sa vie politique et militaire, op.cit.*, p. 165 - 167.

فيمن يتخلف عن الجهاد وفيما يتعلق بمحاربة المنشقين فراسل الشيخ علي بن عبد السلام مديدس التسولي شهر مارس 1837م وراسل الشيخ عبد الهادي بن عبدالله الحسني والشيخ عlish المصري سنة 1840م في فتاوى متعلقة بالجهاد¹ ولم تكن رغبة الأمير عبد القادر في الواقع الاجابة عن هذه الأسئلة وانما كانت غايته من أجل توحيد المغرب العربي والعالم العربي الاسلامي وتوعيته بالخطر الاستعماري والمشاريع الاستيطانية الأوروبية في تقسيم تركة الرجل المريض " الدولة العثمانية" لذا أراد الأمير عبد القادر من خلال هذه الاستفسارات توجيه رسالة للعالم العربي الاسلامي حتى يتسنى له مواجهة حركة الاستعمار الأوروبي في العالم.

3- الموقف الأوروبي من المقاومة الشعبية الوطنية:

أ-الموقف الانجليزي:

اتصل الأمير عبد القادر مع الحكومة الإنجليزية بواسطة قنصلهم المقيم بمدينة طنجة دورمون هاي بتاريخ 12 أفريل 1840م عن طريق نيكولا مانوتشي ،إبن قنصل إنجلترا ببنزرت². أراد الأمير عبد القادر ربط علاقات مع الحكومة البريطانية في إطار تمويل الجيش الشعبي الوطني ومساندة المقاومة الجزائرية ضد قوات الإحتلال الفرنسي ليتمكن من شراء الأسلحة والذخيرة الحربية للاستفادة من النفوذ البريطاني بمضيق جبل طارق وإحتكارها للتجارة الخارجية، كما كان يسعى لإثارة التنافس الإستعماري الأوروبي بالمنطقة والعمل على توترالعلاقات بين البلدين لتحقيق مكسب حربي يستفيد منه لتنظيم صفوف الجيش الوطني الشعبي وارساء قواعد الدولة الجزائرية في مواجهة قوات الإحتلال الفرنسي،لكن العلاقات الفرنسية البريطانية تربطها مصالح توسعية في أوروبا لذا لم تهتم الدولة الإنجليزية للتدخل في الشؤون الجزائرية نظرا لأطماعها ببليكا وفي قضية البرتغال والقضية البلجيكية، لقد عملت إنجلترا لتأمين التعاون الفرنسي في هاتين القضيتين لصالح النفوذ الإنجليزي بأوروبا مقابل التخلي عن أطماعها في شمال إفريقيا³.

تفكير الأمير عبد القادر ومساعيه لتسليم ميناء تنس للدولة الإنجليزية غايته تسهيل عملية التمويل بالذخيرة والعتاد الحربي، وضمان هذه المؤونة التي يحتاجها في مقاومته لقوات الإحتلال الفرنسي

¹ - هودقة عبد الحميد ، الأمير عبد القادر والمجاهدة الامتكافة ، مجلة الثقافة عدد 75 عدد خاص بالذكرى المئوية لوفاة الأمير عبد القادر، الجزائر، 1983 ، ص. 198-197.

² - M. Emrit, *L'Algérie à l'époque d'Abd elkader*, op. cit., p. 295.

³ - كوران أرجمند ، المرجع السابق، ص. 51.

وتوسعاته وأراد ضرب العلاقات الفرنسية الإنجليزية وكسب دولة أوروبية إلى جانبه تقف معه لصد القوات الفرنسية، ولكن هذه المساعي التي كان الأمير عبد القادر يعلق عليها أمالا كبيرة بإغراء الدولة الإنجليزية بتسليمها مرسى بالجزائر وفتح لها سوقا تجارية تستفيد قوات الجيش الوطني الشعبي من مؤنها وذخيرتها لاتستطيع بريطانيا مساعدة الأمير عبد القادر، لقد تخوفت على مصالحها بالهند كما أنها كانت لها أطماع بمصر.

الأطماع البريطانية وتضارب المصالح الأوربية جعلت من الحكومة البريطانية ترفض توسعاتها بالأرض الجزائرية وتأييد المقاومة الجزائرية ومساندتها مخافة على مصالحها التوسعية وأطماعها بأوروبا وآسيا لذا أرادت إستمالة الجانب الفرنسي إلى صفها بإعتبارها قوة عالمية نستبعد فكرة عدم رغبة الحكومة البريطانية في التوسع بالشمال الإفريقي وأن لاتصبح لها مناطق نفوذ بالمنطقة .

ب- الموقف الإسباني:

ساندت الحكومة الإسبانية القوات الفرنسية في حملتها ضد الجزائر من خلال السماح للسفن الحربية الفرنسية الرسو بميناء الملويان بجزر الباليار، كما أمنت لها مستشفى عسكري بماهون "Mahon" لمعالجة الجرحى من الجنود الفرنسيين الذين قد أصيبوا بجروح في معاركهم ضد المقاومة الجزائرية، لقد أيدت الحكومة الإسبانية فرنسا في معاركها ضد الشعب الجزائري وقدمت مساعدات مادية ومعنوية للجيش الفرنسي في مواجهة المقاومة الجزائرية، كما جند الإسبان خدمة للمصالح الفرنسية بالجزائر¹.

اتصل الأمير عبد القادر مع الحكومة الإسبانية لطلب الدعم وتزويده بالمؤن من بارود وكبريت وخيوط الفتيل ومدافع وقضبان، وسجلات وقطع الغيار وقمح وشعير، وذلك بعد الحصار الذي ضرب على القوات الجزائرية المهاجرة الى الريف المغربي بقيادة الامير عبد القادر من طرف الجيش المغربي وجيش الاحتلال الفرنسي .

حاول الأمير عبد القادر كسب الدعم الإسباني للمقاومة الجزائرية مستخدما أسلوب التفاوض نظرا للتنافس الإستعماري بين البلدين فوجه عدة رسائل للملكة الإسبانية إيزابيلا الثانية سبع رسائل وخمس رسائل إلى حاكم مليلية دوبينيطو، من خلال رسائله إلى الملكة الإسبانية كان الأمير عبد القادر يريد دعما لكن السلطات الإسبانية لم تقدم له الدعم والتأييد حيث كانت إسبانيا تعيش إضطرابات سياسية حول العرش الملكي و حربا أهلية بين انصار الملكة إيزابيلا الثانية وأمها ماريا

¹ - E. De Reynaud Pillissier, *Annales Algériennes*, op.cit., t. 1, p. 245-248.

كريستيانو وبين أنصار عمها كارلوس لقد كانت إيزابيلا الثانية تسعى للاعتراف الدولي وخاصة فرنسا لذا قبلت عروض الأمير عبد القادر بالمعارضة¹

لقد إستقبل حاكم مليلية الأمير عبد القادر في 18 جويلية 1847م قرب مصب وادي الذهب لقاء دام ربع ساعة يدعو فيه الأمير عبد القادر إلى المساعدة، وقد قام ترجمان فرنسي للتوسط بينهما، لكن ماهي ردة الفعل الفرنسي والمغربي من هذه الإجراءات ؟²

لم تكن الحكومة الإسبانية تسعى لمساعدة الأمير عبد القادر والمقاومة الجزائرية عن طريق ممثله الأغا قادة بلهاشمي لذا كانت تسعى من وراء إتصالاتها مع الحكومة الفرنسية ووزير خارجيتها غيزو وكانت طموحات الإسبان بسواحل البحر المتوسط إنهاء المشكلة البرتغالية حتى لا يتمكن الإنجليز بالظفر بالمغرب الأقصى³.

تحليل رسالة الأمير عبد القادر المرسله في 28 أفريل 1847م إلى ملكة إسبانيا إيزابيلا الثانية. أراد الأمير عبد القادر من خلال هذه الرسالة التوسط الاسباني مع السلطات الفرنسية لإبرام الصلح وكان يسعى من خلال هذا التفاوض لإبرام الصلح وإعادة تشكيل قواته لإعادة الرجوع إلى الجزائر تنظيم المقاومة ضد القوات الفرنسية⁴.

رسائل الأمير عبد القادر إلى الملكة الإسبانية إيزابيلا:

رسالة الأمير عبد القادر إلى ملكة إسبانيا المرسله في 16 جوان 1847م : لقد قام الأمير عبد القادر من خلال مراسلاته للسلطات الإسبانية سعيا لإعانتته وكسب إستمالتهم لمواجهة القوات الفرنسية⁵، شارحا الوضعية الصعبة التي تعيشها القوات الجزائرية المحاصرة من قبل الجيش المغربي والفرنسي للوقوف إلى جانب المقاومة الجزائرية في تصديها للقوات الفرنسية بالجزائر .

رسالة الأمير عبد القادر إلى ملكة إسبانيا في 30 جوان 1847 هذه الرسالة يدعو فيها ملكة إسبانيا للتوسط مع الدولة الفرنسية لإقامة الصلح مع الأمير عبد القادر حتى يتسنى له من خلال هذه الهدنة إعادة تشكيل قواته وإحياء المقاومة الجزائرية وطرد القوات الفرنسية من الجزائر⁶.

¹ - بوعزيز يحي ، الجديد في علاقات الأمير عبد القادر مع اسبانيا وحكامها العسكريين بمليلية ، دار البعث للطباعة والنشر، ط.1، الجزائر، 1962 ،ص. 104.

² - يحي بوعزيز ، اللقاء التاريخي بين الأمير عبد القادر وحاكم سبتة و مليلية الاسباني، مجلة الثقافة، عدد، 75 خاص بالذكرى المئوية لوفاة الامير عبد لقادر، الجزائر، 1983، ص. 15.

³ - بوعزيز يحي ، الجديد في علاقات الأمير عبد القادر مع اسبانيا وحكامها العسكريين بمليلية ، ص 117 - 118.

⁴ - نفسه، ص. 49 - 50.

⁵ - نفسه ، ص 63.

⁶ - نفسه، ص. 69 .

رسالة الأمير عبد القادر إلى ملكة إسبانيا في 23 / 09 / 1847م¹ لقد تكررت رسائل الأمير عبد القادر إلى الملكة الإسبانية إلتماسا منها للتوسط له لإقامة الصلح مع السلطات الفرنسية بالجزائر وإعانتته بالمدد وبالعتاد الحربي والذخيرة والمؤن ليتسنى له مواصلة مشاريعه في مقاومة قوات الإحتلال الفرنسي التي إغتصبت الأراضي الجزائرية وإنتهكت الحرمات وحاولت طمس معالم وشخصية الشعب الجزائري بتحويل مساجده إلى كنائس وإيادة شعبه ومصادرة أراضييه ولقد راسل الأمير عبد القادر قادة الحكومة الإسبانية طالبا منهم العون والمساعدة لإعادة تشكيل وتهيئة قواته لمواصلة المقاومة ضد القوات الفرنسية بالأراضي الجزائرية رسالة الأمير عبد القادر إلى الحاكم العام دوبينطو كان محتواها ربط علاقات تجارية تموينية مع الحاكم الإسباني بمليلية² لقد أراد الأمير عبد القادر بإتصالاته مع حاكم مليلية إقامة علاقات تجارية تموينية في اطار المقاومة الوطنية بين الطرفين وبإقامة مصدر للتموين يمكنه أن يؤمن لقوات الجيش الشعبي الوطني المؤونة والذخيرة لإعادة تنظيم صفوفهم ومواجهة القوات الفرنسية، كان الأمير عبد القادر يسعى جاهدا للتوصل إلى مثل هذه العلاقات ليستطيع مواصلة المقاومة وإسترجاع المجهودات المبذولة والأرواح التي سقطت في المعارك التي دامت 15 سنة في سبيل الله والوطن، لذا أراد كسب التأييد الإسباني لمواصلة المشروع الجزائري للدفاع عن الوطن الجزائري ومقوماته

رسالة عبد القادر إلى حاكم مليلية في جويلية 1847م، لقد حاول ربط علاقات مع الحكومة الإسبانية³ من خلال هذه المراسلات وإيجاد كل الطرق التي تمنحه إقامة علاقات تجارية تموينية لضمان المدد ويد العون من مؤن وذخيرة حربية وعتاد لمواصلة المقاومة الجزائرية ضد القوات الفرنسية المحتلة بالجزائر، حتى يتسنى له إعادة تشكيل القوات الجزائرية وتنظيمها لمواصلة المشروع الذي قد بناه بالجزائر والذي كلفه الكثير من الأموال والرجال.

رسالة من الأمير عبد القادر إلى دو بينطو 12 جويلية 1847م⁴ لقد رفضت الحكومة الإسبانية عن طريق حاكمها بمليلية تموين الأمير عبد القادر حتى لا يتمكن من إعادة تكوين قواته، وهيكله وحدة الجيش الشعبي الوطني وتجهيزه تجهيزا يمكن بواسطته مواجهة جيش الإحتلال الفرنسي الذي إزدادت قواته وتدعمت بحوالي 106 ألف جندي .

¹ - نفسه، ص. 87 - 88 .

² - نفسه، ص. 71 .

³ - نفسه ، ص. 75 .

⁴ - نفسه ، ص. 72 .

قامت السلطات الإسبانية من تحذير حاكمها بمدينة مليلية من تقديم أي مساعدات للأمير عبدالقادر نظرا للمصالح الأوروبية، حيث كان لإسبانيا أطماع توسعية على حساب بعض الدول الإفريقية لذا عملت على مسايرة الوضع وإبقاء علاقات المودة والتعاون بين البلدين، ولقد عملت إسبانيا التي لم تنتاس أحقادها إتجاه الجزائر، بعد طردها من السواحل الجزائرية وتحرير مدينة وهران من قوات الإحتلال الإسباني سنة 1792م وتعاطفها مع الجيش الفرنسي واعادة الحروب الصليبية التي مازالت متواصلة بين الغرب والشرق وفي رسالة أخرى في 18 ماي 1847م رفض حاكم مليلية من إتخاذ أي قرار لمساعدة الأمير عبدالقادر والعمل لإعلان السلم بينه وبين الفرنسيين.¹

لقد كان باشيكو يدرك جيدا خطورة الوضع لذا طالب الحكومة الإسبانية بمساعدة الأمير عبدالقادر والمقاومة الجزائرية لكسب ثقتهم لأنه كان على علم وإطلاع على الوقائع والمعارك التي خاضها الأمير عبدالقادر طيلة 15 سنة ضد القوات الفرنسية الأكثر تنظيما وتجهيزا، وإستطاع إنشاء دولة قوية ومحاصرة القوات الفرنسية بالمدن الساحلية الجزائرية، لذا عمل على كسب تأييد الحكومة لمساعدة الأمير عبدالقادر تخوفا منه لإحتلال المغرب وضمها إلى قواته التي كانت إسبانيا تطمح للتوسع على حسابها، كما كان تخوف القادة الإسبان من الهجوم على مستعمراتهم بالمغرب الأقصى، بالحملة ضد مدينة مليلية، لذا أراد باشيكو العمل على كسب مودة الأمير عبدالقادر وكذلك لتخوفه من أطماع الإنجليز بالمغرب والتنافس الإستعماري الأوروبي على الدول الإفريقية وخاصة دول البحر المتوسط ، لذا أراد هذا القائد الإسباني من ربط علاقات ودية مع الأمير عبدالقادر حتى لايتسنى له الإتصال مع الحكومة الإنجليزية لمساعدته.

لقد كان تخوف السلطات الإسبانية من نفوذ الأمير عبدالقادر بالمغرب الأقصى لذا عملت على مهادنته والممطالة في تلبية رغباته لأنها كانت تحس بمدى سمعة الأمير عبدالقادر من خلال المعارك والانتصارات التي حققها في حملاته ضد القوات الفرنسية التي كانت أكثر تنظيما وتجهيزا من قواته لذا عملت هذه السلطات الإسبانية على إبقاء معاملاتها مع الأمير عبدالقادر في إطارها السلمي وكانت تعده بتلبية مطالبه، ولكن كانت مجرد وعود وقدمت له أعذارا خوفا على سلطتها ونفوذها بالمغرب الأقصى ومستعمراتها .

¹ - نفسه ، ص. 57-58.

استعملت الحكومة الإسبانية إتجاه الأمير عبدالقادر أسلوب الممطالة والإعتذرات حتى لايتسنى له من إعادة تنظيم صفوفه وتجهيزها فالعلاقات التي تجمعها مع كل من فرنسا والمغرب الأقصى علاقات حسنة وأرادت بذلك إبقاء هذه العلاقة على حالتها نظرا للمصالح الأوروبية المشتركة والسياسة الإستعمارية التوسعية على حساب الدول الإفريقية وأطماع الحكومة الإسبانية لإحتلال المغرب الأقصى.

ج- موقف الدويلات الإيطالية:

لقد استفادت الدولة الفرنسية من دعم دولي من أجل احتلال الجزائر، فملك سردينيا شارل فليكس كان يريد التخلص من الجزية السنوية التي يدفعها إلى حكومة الداى في الجزائر كما كان لا يمانع نمو القوة البحرية الفرنسية بالبحر الأبيض المتوسط ، فاقترح ضم الجزائر إلى فرسان القديس يوحنا، أما حكومة البيمونت فلقد ساعدت فرنسا بتزويدها بمعلومات إضافية من خلال قنصلها في الجزائر، ولقد سمح البابا بيونس الثامن للحكومة الفرنسية باستخدام موانئ بلاده ، وكذلك فعل ملك نابولي الذي رخص لتجار بلاده أن يؤجروا سفنهم للجيش الفرنسي¹ ، كما وافقت جميع بلدان شمال أوربا، والدويلات الإيطالية على الحملة الفرنسية لاحتلال الجزائر، وسارعت لتنهئة ملك فرنسا شارل العاشر على مشروعه الذي كانت تعتبره خدمة للمسيحية²

¹ - Ch.-A. Julien, *Histoire de l'Algérie contemporaine conquête et colonisation (1827- 1871)*, op.cit., p. 42.

² - زروال محمد ، العلاقات الجزائرية الفرنسية (1830-1791) ، مطبعة دحلب، الجزائر، 1994، ص 124-125.

الخاتمة

الخاتمة

في ختام هذا المجهود العلمي سجلنا بعض النتائج التالية

1- حاول الأمير عبد القادر ارساء قواعد دولة جزائرية تنافس الدول الحديثة وفق أسس قاعدية متينة لمقاومة قوات الاحتلال الفرنسي وإفشال المشروع الاستيطاني الفرنسي، والخطر الاستعماري وانعكاساته السلبية على الواقع الجزائري، مدركا التباين الحضاري بين الدولة الجزائرية والفرنسية في إطار النهضة العلمية والفكرية وما وصلت إليه أوروبا من تطور حضاري فمن خلال المعارك والمجابهات لقوات الجيش الشعبي الوطني ضد قوات الاحتلال الفرنسي اكتشف الأمير عبد القادر البعد العلمي والحضاري والتقدم الصناعي الفرنسي كما أدرك حقيقة المواجهة التي ينبغي الاعتماد عليها لذا سعى لتنظيم وتوحيد الشعب الجزائري لاحتضان المقاومة الشعبية الوطنية وفق أسس وطنية، ولما أحست السلطات الفرنسية بمشروع الدولة الجزائرية الحديثة، حاولت بجميع الطرق إجهاد قيام هذه الدولة والعمل للقضاء عليها بأساليب إبادة قهرية وحصار اقتصادي وتفكيك وتفارقة لوحدة الشعب الجزائري لمنع أي مقاومة تقف في وجه مشروعها الاستيطاني الرامي لإلحاق الجزائر بفرنسا، فقد سعى الأمير عبد القادر بإمكانيات تكاد تكون منعدمة وبجهود كبيرة لمقاومة الاحتلال الفرنسي الذي لم يراع أدنى القيم الإنسانية، ضد شعب متشتت لا يملك الوسائل والإمكانات اللازمة للمقاومة، ان معارك قوات الجيش الوطني الشعبي تعكس رفض الشعب الجزائري للاستعباد والاستبداد وتطلعه للحرية والشرف والأرض.

2- لقد لاقت المقاومة الشعبية الوطنية بقيادة الأمير عبد القادر عدة عراقيل وصعوبات أضعفت مشروعها الرامي لتحرير الوطن الجزائري وطرد قوات الاحتلال الفرنسي لكن السياسة الفرنسية ومشروعها الاستعماري الاستيطاني كان أكثر جاهزية عدة وعددا في جميع الميادين لافشال ميلاد الدولة الجزائرية الحديثة بقيادة الأمير عبد القادر الذي استطاع مواجهة دولة فرنسية بجيش مدرب على الفنون الحربية وعتاد حربي أقوى وأحسن وذخيرة ومؤونة مضمونة، في حين كان الأمير عبد القادر لا يملك جيشا نظاميا، فأغلب قواته من المتطوعين إلى جانب نسق اجتماعي مشتت وثقافة تقليدية بسيطة إلا انه فرض وجوده واستطاع مقاومة الجنرالات الفرنسيين مدة 15 سنة فوق حصان يجوب الأرض الجزائرية

من شرقها إلى غربها أملا من ذلك توحيد الشعب الجزائري وتجنيد شبابه ضد قوات الاحتلال الفرنسي الذي أراد طمس الهوية الجزائرية وقتل روح المقاومة الوطنية التي أحيها الشيخ محي الدين وواصلها الأمير عبد القادر في إطار المقاومة الوطنية وإقامة الدولة الجزائرية الحديثة وفق مبدأ الاعتماد على النفس في مواجهة الاحتلال بجميع طرقه وأساليبه.

3- كانت أهداف الأمير عبد القادر في إنشاء دولة جزائرية حديثة تعمل على طرد قوات الاحتلال الفرنسي وتؤمن بالحرية وترفض همجية الاستعمار الفرنسي وتندد بالممارسات المتبعة لتعذيب الشعب الجزائري والتفني في قهره والعمل على تفرقة وزرع الهوة بين أبناءه وتفكيك وحدتهم والقضاء على كيانه وهويته الوطنية والثقافية، لقد بقي الأمير عبد القادر شوكة في حلق فرنسا، فالاستعمار بالنسبة له ليس مسألة تنحصر في الجزائر فحسب بل هي العلاقة بين الشرق والغرب حيث أدرك اللاممكن ولا ممكن والتفاوت الحضاري بين العالمين، فقد بدأ أميرا ومات أميرا ومفكرا وطنيا جزائريا، ولم يكتمل مشروعه النهضوي نظرا للظروف الاجتماعية المتمثلة في التفكك وعدم القدرة على الوحدة الوطنية والمقاومة وذلك لغياب الوعي الوطني والشعور بالمسؤولية وتأدية الواجب الوطني ضد القوة الاستعمارية الفرنسية، لكن الأمير عبد القادر انتصر رمزيا كشخصية رمزية محورية في القرن 19م تزرع روح المقاومة في الشعب الجزائري للاستمرار، وبقي حيا في الذاكرة التاريخية الجزائرية، والتراث التاريخي فقد اعتمدت عليه الحركات الجهادية الأخرى والتي واكبت الصراع ضد قوات الاحتلال الفرنسي، عرف الأمير عبد القادر الثغرات والهزائم وأبقى على شخصيته وتمحورت إنجازاته في إنجاز جهادي حربي وإنجاز فكري رمزي واستطاع مواجهة الاستعمار الفرنسي والحضارة الغربية مدة 15 سنة وعمل على إجهاد المشروع الفرنسي من الناحية الاقتصادية وضيق عليهم الخناق، فالتوسع الأوروبي لم يشكل قضية حرب بل قضية انقلاب حضاري كامل وهو ما يفسر التمييز الذي ظهر به الأمير بمعاملة الأوروبيين بقدر ما كان يجابههم دفاعا عن وطنه ودينه وبقدر ما كان يرى في مشروعهم الحضاري ظاهرة إنسانية من علم ونظام.

4- ان فلسفة الجهاد تختلف عند الأمير فهي ليست رؤية محلية كردة فعل دينية، وانما خطر يمس المشروع الفرنسي الاستعماري، وقد تيقن الفرنسيون أنهم تمكنوا من تحقيق مشروعهم بعدما تم القضاء على روح المقاومة وفكرة مشروع الدولة الجزائرية الحديثة التي أحيها الأمير عبد القادر، لقد كانت قوته في فكره وفلسفته التي تعتبر نهضة عملت بأسباب الحضارة والتقدم رغم أن مشروعه لم يكتمل إلا أنه يبقى إنجازا حضاريا.

5- يعتبر مشروع الدولة الجزائرية الحديثة بقيادة الأمير عبد القادر في مواجهة المشروع الاستعماري الفرنسي في إطار استراتيجي بأبعاد علمية وحضارية ودبلوماسية وفق خلفيات اقتصادية واجتماعية وسياسية ودينية وثقافية فرنسية من أجل القضاء على مشروع الدولة الجزائرية الحديثة في مشروعها الوحدوي والنهضوي في إطار المقاومة الوطنية فقد عملت السلطات الفرنسية للقضاء على مشروع الدولة الجزائرية الحديثة بسياسة أكثر غطرسة وتعسفا وتفرقة وظلت السياسة الفرنسية تعمل جاهدة للقضاء على المشروع النهضوي الحداثي الذي أراد الأمير عبد القادر تجسيده بالجزائر وفق أسس وطنية تحت قيادة واعية بالمشروع الفرنسي وسياسته الاستيطانية ، فقد عمل الأمير عبد القادر لتولي الحكم بعد بيعة شرعية قانونية على أسس انتخابية ومبادئ شورية إسلامية وقواعد حضارية حديثة أكثر تطورا وتنظيما للمحافظة على الهوية الجزائرية .

6- لقد كانت السلطة الجزائرية تعاني خلال الفترة العثمانية من عدم مساهمة أبناء البلاد في تولي الحكم والمساهمة في بناء مؤسسات الدولة بعد احتكار الحكام العثمانيين الذين تولوا الحكم بالجزائر السلطة وإبعاد أبناء الشعب الجزائري من المساهمة في الحكم لذا كان تولي الأمير عبد القادر للحكم وفق أسس ديمقراطية بتمثيل من الشعب الجزائري وتفويضه لتولي البلاد من الدفاع عن أرض الجزائر ومقاومة الاحتلال الفرنسي وتوسعته ، فالإستراتيجية الفرنسية كان هدفها القضاء على المشروع النهضوي الذي عمل الأمير عبد القادر جاهدا لتحقيقه من أجل توحيد أبناء الشعب الجزائري لمقاومة المشروع الاستعماري الفرنسي الذي كان هدفه إلحاق الجزائر بفرنسا والتعويض عما فقدته السلطات الفرنسية من مستعمرات بأوروبا وأمريكا الشمالية ، لاستعادة مكانتها الدولية والاستفادة من خيرات الجزائر المادية والبشرية .

قائمة المصادر والمراجع :

- البيبلوغرافيا :
- المصادر والمراجع باللغة العربية
- القرآن الكريم.-
- أ- المصادر :
- ألكسي دوطوكفيل، نصوص عن الجزائر في فلسفة الاحتلال والاستيطان، ترجمة، إبراهيم صحراوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008.
- أسكوت، مذكرات الكولونيل أسكوت عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر 1841م، ترجمة العربي إسماعيل، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- ابن خلدون عبد الرحمن ، المقدمة، تحقيق درويش جويدي، الطبعة الثانية، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 2000.
- ابن منظور، لسان العرب، الطبعة الأولى، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1997.
- الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.
- الناصري (أبو العباس أحمد بن خالد)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولة العلوية ، تحقيق جعفر الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1956.
- بن رويلة قدور ، وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب، تقديم وتحقيق بن عبد الكريم محمد ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968.
- تشرشل شارل هنري ، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة وتقديم وتعليق أبو القاسم سعد الله، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2004.
- دينيزين، الأمير عبد القادر والعلاقات الفرنسية العربية في الجزائر، ترجمة أبو العيد دودو، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1999.
- محمد ابن عبد القادر ، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، شرح وتعليق ممدوح حقي، دار اليقظة العربية، 1966.

ب - المراجع :

- أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الحديث، بداية الاحتلال، معهد البحوث والدراسات العربية، مصر، 1970.
- أبو قاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992.

- أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الأولى، بيروت، 1998.
- الأشرف مصطفى ، الجزائر الدولة والمجتمع،ترجمة حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
- التميمي عبدالجليل ، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي لبيبا تونس الجزائر، منشورات ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985.
- الجيلالي بن محمد عبدالرحمن ، تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة، الطبعة الرابعة، بيروت، 1980.
- الجيلالي بن محمد عبدالرحمن، سكة الأمير عبدالقادر، وزارة التربية والتعليم، الجزائر، 1966.
- الزبيري محمد العربي ، الكفاح المسلح في عهد الأمير عبدالقادر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
- إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبدالقادر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
- برينان أندري وآخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر،ترجمة رابح اسطمبولي و منصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.
- أوصديق فوزي ، النظام الدستوري دولة الأمير عبدالقادر دراسة تحليلية مقارنة، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، الطبعة الثانية، 2003.
- بن قبي صالح ، دبلوماسية بين الأمس واليوم ، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر ، الجزائر ، 2002.
- بوعزيز يحي ، الجديد في علاقات الأمير عبد القادر مع اسبانيا وحكامها العسكريين بمليية، دار البعث للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، الجزائر، 1962.
- بوعزيز يحي، كفاح الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
- بوعزيز يحي، مراسلات الأمير عبد القادر مع اسبانيا وحكامها العسكريين بمليية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986.

- حرب أديب ، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر (1808-1847)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.
- زروال محمد ، العلاقات الجزائرية الفرنسية (1791-1830)، مطبعة دحلب، الجزائر، 1994.
- ساحلي محمد الشريف ، الأمير عبد القادر أباطيل فرنسية وحقائق جزائرية، تعريب حبيب شنيني، دار القصة للنشر، الجزائر، 2003.
- سعيدوني ناصر الدين ، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الفترة العثمانية والمعاصرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.
- شريط عبد الله ، الملي محمد بن مبارك ، مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
- سليمان نوار عبد العزيز ، البطريق عبد الحميد، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا، دار النهضة العربية، لبنان، 1974.
- سليمان نوار عبد العزيز ، محمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة حتى الحرب العالمية الأولى، دار الفكر العربي، مصر، 1999.
- صالح عباد، الجزائر خلال الحكم العثماني 1514-1830، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004.
- عميراي حميدة ، موضوعات في تاريخ الجزائر السياسي، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، 2004.
- قداش محفوظ ، الأمير عبد القادر، سلسلة الفن والثقافة وزارة الإعلام والثقافة الشركة الوطنية للنشر والتوزيع روتنبورس التميز، مدريد، 1974.
- كوران أرجمند، السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر 1827-1847، نقله عن التركية عبد الجليل التميمي، الطبعة الثانية، الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس، 1974.

ج- المجلات :

- التميمي عبد الجليل ، التفكير الديني والتبشيري لدى عدد من المسؤولين الفرنسيين في الجزائر في القرن التاسع عشر، المجلة التاريخية المغربية، العدد 1، تونس، 1974، ص. 12-24.
- التميمي عبد الجليل ، مغامرة الحماية التونسية على وهران، المجلة التاريخية المغربية، العدد 5، تونس، 1976، ص. 5-19.

- العربي إسماعيل ، دور يهودا بن دران في دبلوماسية الأمير عبد القادر، المجلة التاريخية المغربية، العدد 17-18، تونس، 1980، ص. 217-240.
- المدني أحمد توفيق ، أبطال المقاومة الوطنية حمدان خوجة-أحمد باي قسنطينة -الأمير عبد القادر والدولة العثمانية، مجلة التاريخ ، العدد 4، الجزائر، 1977، ص. 31-80.
- المدني أحمد توفيق ، من الوثائق العثمانية عن التاريخ الجزائري محمد علي باشا ومساعيه مع فرنسا لاحتلال الجزائر ومهمة طاهر باشا، مجلة التاريخ، العدد 12، الجزائر، 1982، ص. 9-27.
- بورويبة رشيد ، القلاع والحصون التي أنشأها الأمير عبد القادر، مجلة الثقافة، العدد 75، عدد خاص بالذكرى المئوية لوفاة الأمير عبد القادر، الجزائر، 1983، ص. 87-101.
- بوضرساية بوعزة ، موقف حاكم مصر محمد علي باشا من الاحتلال الفرنسي للجزائر من خلال إحدى التقارير السرية الفرنسية، مجلة الذاكرة، العدد 3، 1995، ص. 185-190.
- بوعزيز يحي ، اللقاء التاريخي بين الأمير عبد القادر وحاكم سبته و مليلية الاسباني، مجلة الثقافة، عدد 75، خاص بالذكرى المئوية لوفاة الأمير عبد القادر، الجزائر، 1983، ص. 109-121.
- موقف البايات التونسيين من ثورة الأمير عبد القادر، مجلة الأصالة، العدد 23، الجزائر، 1975، ص. 23-34.
- تكور فضيلة وآخرون ، تعليق حول نداء الأمير عبد القادر لأهل فجيج مع وثيقة النداء، مجلة التاريخ، العدد 75 عدد خاص بالذكرى المئوية لوفاة الأمير عبد القادر، الجزائر، 1983، ص. 97-103.
- سعد الله عمر ، الحملة الفرنسية على الجزائر في ظل القانون الدولي، مجلة مصادر، العدد 12، السداسي الثاني، الجزائر، 2005، ص. 17-35.
- سعيدوني ناصر الدين ، ثلاث وثائق تتعلق بأوضاع الجزائر قبل الاحتلال، مجلة التاريخ، العدد 7، الجزائر، 1979، ص. 49-66.
- عميراي حميدة ، جيش الاحتلال الفرنسي في الجزائر، مجلة سيرتا، العدد 12 ، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، 1999، ص. 55-60.

- قداش محفوظ ، جيش الأمير عبد القادر تنظيمه وأهميته، ترجمة حسن بن مهدي، مجلة الثقافة، العدد 75، عدد خاص بالذكرى المئوية لوفاة الأمير عبد القادر، 1983، الجزائر، 1983، ص. 51-74.

- هدوقة عبد الحميد ، الأمير عبد القادر والمجابهة اللامتكافئة ، مجلة الثقافة عدد 75 عدد خاص بالذكرى المئوية لوفاة الأمير عبد القادر، الجزائر، ص. 193-218.

- قائمة المصادر والمراجع باللغة الفرنسية: (Les Sources) : أ- المصادر

- Arnaud (Saint), *Lettres du maréchal Saint Arnaud 1832-1854*, éd. Leroy, Paris, 1858.
- Belmare A., *Abdelkader sa vie politique et militaire*, éd. Bouchene, Paris , 2003.
- Bernard A., *L'Algérie histoire des colonies de la France dans le monde*, éd. Alcan, Paris, 1929.
- Blanqui M., *L'Algérie rapport sur la situation économique de nos possessions dans le nord de l'Afrique*, éd. Coquebert, Paris, 1840.
- Boudicour L., *Histoire de la colonisation de l'Algérie*, éd. Lecoffre, Paris, 1856.
- Bugeaud T.-R., *Exposé de l'état actuel de la société Arabe, du gouvernement et de législation qui la régit*, éd. Imprimerie du Gouvernement, Paris, 1844.
- Bugeaud T.-R., *Le peuplement Français de l'Algérie*, Paris, sans date d'édition.
- Bugeaud T.-R., *Mémoire sur notre établissement dans la Province d'Oran*, éd. Laguionie, Paris, 1838.
- Changargnier T., *Mémoire du général Changargnier*, éd. Dester, Paris, 1930.
- Cavignac E., *La régence d'Alger note sur l'occupation*, éd. Magen, Paris, 1839.
- Clauzel B., *Correspondances du maréchal Clauzel*, éd. Larousse, Paris, 1949.
- Daumas E., *La grande Kabylie, étude historique*, éd. Hachette, Paris, 1847.
- Daumas E., *Correspondances du capitaine Daumas consul à Mascara, 1837-1839*, Collection de documents inédits par le Gouvernement Général d'Algérie, éd. Jourdan, Paris, 1921.

- De Bussy G., *De l'établissement des Français dans la Régence d'Alger*, typographie de Firmin Didot Frères, Paris, 1839.
- De Card R., *Les traités entre la France et le Maroc étude historique et juridique*, éd. Durand, Paris, 1898.
- De France A., *Les prisonniers d'Abdelkader ou cinq mois de captivité chez les Arabes*, éd. Desessart, Paris, 1837.
- Demont R., *Histoire de la conquête de l'Algérie de 1830 -1847*, éd. Arel, Paris, 1847.
- De Menville P., *Dictionnaire de législation Algérienne*, éd. Challamel, Paris, 1872.
- Derrien I., *Les Français à Oran depuis 1830 jusqu'à nos jours*, éd. Niot, Paris, 1886.
- Dieuzede V., *Histoire de l'Algérie 1830-1878*, éd. Hentz, Oran, 1882.
- De Mintimpry, *Souvenirs d'un officier d'état major histoire de l'établissement de la domination française dans la Province d'Oran*, éd. Quantin, Paris, 1886.
- De Paradis V., *Alger au 18^{ème} siècle*, éd. Fagnan, Alger, 1898.
- De Paradis V., *Tunis et Alger au 19^{ème} siècle*, présenté par J. Cuoq, éd. Sindabad, Paris, 1983.
- De Peyerhimoff M., *Enquête sur les résultats de la colonisation officielle, 1871 -1895*, éd. Torrent, Alger, 1906.
- Duruy V., *Le premier régiment de tirailleurs algériens histoire et campagne*, éd. Hachette, Paris, 1899.
- Estirasy W., *Notice historique sur le maghzen d'Oran*, Typographie de Berrier, éd. Paris, 1849.
- Faraud Ch., *Interprètes d'armée d'Afrique*, éd. Jourdan, Alger, 1876.
- Fillas A., *Histoire de la conquête et la colonisation de l'Algérie (1830-1860)*, éd. De Vresse, Paris, 1860.
- Gaffarel P., *L'Algérie histoire conquête et colonisation*, éd. Disot, Paris, 1883.
- Gouvernement Général, *Tableaux d'établissements français*, Paris, 1839.
- Gouvernement Général, *Projet de la colonisation par les provinces d'Oran et de Constantine*, éd. Royale, Paris, 1847.
- Henry D., *Les conquérants de l'Algérie (1830-1852)* Berger-Levrault, Paris, 1930.
- Hugonet F., *Souvenirs d'un chef de bureaux Arabe*, éd. Levry, Paris, 1858.
- Josef S., *Histoire du deuxième régiment de zouavres*, éd. Lacheseet, Paris, 1898.
- Kaller E., *Le général De La Moricière sa vie militaire, politique et religieuse*, éd. Haton, Paris, 1874.
- Ladmir J., *Les guerres d'Afrique*, éd. Renault, Paris, 1858.
- Lamping C., *Souvenirs d'Algérie 1840-1842, Frinnerugenans Algériens*, trad. A. Carré, E. Bouchene, Paris, 2000.
- Lapène M., *Tableau historique de la Province d'Oran 1791-1851*, éd. Lamort, Metz, 1842.
- Pillissier E., De Reynaud, *Annales Algériennes*, Paris, 1854.
- Pichon J., *Abdelkader*, éd. Nouvelle, Tlemcen, 1886.
- Plée L., *Abd-el-kader*, éd. Berba, Paris, 1866.
- Poujoulat J., *Études Africaines*, Paris, 1847.
- Richard Ch., *Etude sur l'instruction du Dahra 1845-1846*, Typographie, éd. Besancenez, Alger, 1846.

- Rinn L., *Marabouts et khouan étude sur l'Islam en Algérie avec une carte indiquant la marche la situation et l'importance des ordres religieux musulmans*, éd. Jourdan , Alger, 1884.
- Roche L., *Dix ans à travers l' Islam 1834 –1844*, éd. Didot, Paris, 1884.
- Roche L., *Trente deux ans à travers l'Islam 1832-1864*, éd. Didot , Paris, 1887.
- . Rousset C., *La conquête d'Alger*, éd. Plon, Paris, 1880-
- Toqueville A., *Travail sur l'Algérie 1841 de colonisation en Algérie*, éd. Complexe, Bruxelles, 1988.

ب- المراجع (Les ouvrages) :

- Abdelhamid B., *L'État Algérien en 1830 institutions sous l'émir Abdelkader, entreprise populaire algérienne*, éd. SNED, Alger.
- Aouli S., Redjala R., Zoummeroff Ph., *Abdelkader*, éd. Fayard, Paris, 1994.
- Azan P., *L'émir Abdelkader 1808-1883, du fanatisme musulman au patriotisme Français*, éd. Hachette, Paris, 1929.
- Azan P., *Bugeaud et l'Algérie*, éd. Le Petite Parisien, Paris, 1930.
- Azan P., *Les grands soldats de l'Algérie*, éd. Comité Nationale Métropolitaine du Centenaire de L'Algérie, Paris, 1930.
- Azan P., *Par l'épée par la chure écrits et discours de Bugeaud*, éd. PUF, Paris, 1948.
- Chikh B., Mohamed Dj., *L'Algérie coloniale par les textes 1830 – 1962*, éd. Hammouda, Alger, 2003.
- Domontes V., *La colonisation militaire sous Bugeaud*, I Algérienne, Alger, 1917.
- Domontes V., *Le peuple de l'Algérie contemporaine, essais de démographie*, Alger, 1906.
- Domontes V., *Les préventions du général Berthezène contre la colonisation de l'Algérie 1798 –1850*, éd. Larousse, Paris, 1917.
- D'ester H., *Les conquérants de l'Algérie (1830-1852)*, éd. Levrault, Paris, 1930.
- Emrit M., *L'Algérie à l'époque d'Abdelkader*, éd. Larousse, Paris, 1951.
- Esquer G., *La prise d'Alger 1830*, éd. Larousse, Paris ,1929.

- Gallissot R., *Maghreb Algérie classes et nation*, éd. Arcantère, Paris, 1987.
- Germain R., *La politique indigène de Bugeaud*, éd. Larousse, Paris, 1955.
- George D., Robert M., *Histoire de la civilisation française*, éd. Colin, Paris, 1968.
- Julien Ch.-A., *Histoire de l'Algérie contemporaine conquête et colonisation (1827-1871)*, éd. PUF, Paris, 1979.
- Latarille A., *La campagne de 1844 du Maroc la bataille d'Isly*, éd. Chapelot, Paris, 1912.
- Lépine Q., *Le Maréchal Saint Arnaud d'après sa correspondance et inédits années de jeunesse la conquête de l'Algérie 1798-1850*, éd. Plon, Paris, 1928.
- Lichtenberger A., *Les grandes figures coloniales Bugeaud*, éd. Plon, Paris, 1931.
- Mostafa L., *L'Algérie nation et société*, éd. Masparo, Paris, 1969.
- Mounir B., *La monnaie de l'Émir Abdelkader*, éd. SNED, Alger, 1976.
- Noushi A., *Enquête sur le niveau de sa vie des populations rurales*, éd. PUF, Paris, 1961.
- Turin Y., *Affrontements culturels dans l'Algérie coloniale écoles médecines religion 1830-1880*, éd. EPNL, Alger, 1983.
- Yacono X., *Les bureaux arabes et l'évolution des genres de vie indigènes dans l'ouest du Tell Algérois Dahra Chéelif Ouarsenis Sarsou*, éd. Larousse, Paris, 1953.

ج- المجلات (Les Revues) :

- Arnaud, Siège d'Ain Mahdi par elhadj Abdelkader ben Mohiedin , *Revue Africaine*, t. 8, 1864, p. 354- 371 ; p. 435- 453.
- Bousquet R., L'affaire des grottes du Dahra 19 -20 Juin 1845, *Revue Africaine*, t. 51, 1907, p. 116- 144.
- Cour A., L'occupation Marocaine de Tlemcen Septembre 1830 -Janvier 1836, *Revue Africaine*, t. 52, 1908, p. 418- 455.
- Delpech A., Histoire d'elhadj Abdelkader par son cousin ElHossin Ben Ali Ben Abitaleb, *Revue Africaine*, t. 20, 1876, p. 116- 144.
- Emrit M., La lutte entre les généraux et les prêtres aux débuts de l'Algérie Française, *Revue Africaine*, t. 97, 1953, p. 66- 97.
- Farida H., La grande Bretagne et la résistance de l'Emir Abdelkader d'après les correspondances du consul général d'Alger 1837- 1847, *Majalet el-Tarikh*, t. 11, 1981, p. 57- 62.
- Rachid B., Places fortes et établissements militaires fondés par l'émir Abdelkader, *Majalet el-Tarikh*, t. 12, 1983, p. 33- 48.
- Rey A., Document relatifs à la guerre Franco-Marocaine de 1844, *Revue Africaine*, t. 54, 1910, p. 62- 83.
- Yver G., Abdelkader et le Maroc en 1838, *Revue Africaine*, t. 60, 1919, p. 116- 144.

الفهرس:

- قائمة المختصرات

- المقدمة: أ

الفصل الأول : مشروع الدولة الجزائرية الحديثة " 1832 – 1847 "

1- بداية المقاومة الشعبية الوطنية في منطقتي الوسط والغرب الجزائري. ص2.

2- مساهمة الشيخ محي الدين في تأسيس الدولة الجزائرية الحديثة. ص4.

3- البيعة حيثياتها ومرجعياتها القانونية والشرعية والحضارية " ص5.

4- نشأة الجيش الشعبي الوطني " تطوع الشباب الجزائري في جيش المقاومة الوطنية". ص12.

5- النظام الاداري للدولة الجزائرية : ص21.

6- النظام الاقتصادي الحربي للدولة الجزائرية : ص25.

أ- النظام الفلاحي للمقاومة الوطنية

ب- " الصناعة الحربية "

ج- التعبئة المالية لتغطية نفقات المقاومة الشعبية الوطنية.

7- النظام القضائي للدولة الجزائرية.....ص33 .

8- النظام الثقافي للدولة الجزائرية.....ص35 .

الفصل الثاني : النشاط العسكري للأمير عبد القادر 1832- 1847.

1- المعارك التي خاضها الأمير عبد القادر ضد قوات الاحتلال الفرنسي 1832- 1837م

.....ص37 .

2- المعارك التي خاضها الأمير عبد القادر ضد قوات الاحتلال الفرنسي 1839- 1847م

.....ص45 .

3- الاتفاقيات العسكرية بين الأمير عبد القادر والقادة العسكريين الفرنسيين ص51 .

أ- تحليل معاهدة ديميشال 26 فيفري 1834م.

ب - تحليل معاهدة التافنة 30 ماي 1837م.

الفصل الثالث: تحطيم المجتمع الجزائري حاضن المقاومة الوطنية ماديا ومعنويا

1- سياسة التفرقة " مبدأ فرق تسد " الفرنسية اتجاه الشعب الجزائري ص59 .

أ- تحريض القبائل الموالية للمخزن العثماني ضد قوات الجيش الشعبي الوطني.

2- الأساليب التي استخدمتها فرنسا مع بعض الزوايا لمواجهة الوحدة الجزائرية عين ماضي "

نموذجاً" ص72 .

3- تأسيس فرق عسكرية من المرتزقة الخونة الجزائريين ضد قوات الجيش الشعبي الوطني.

.....ص75 .

4- المكاتب العربية للجيش الفرنسي ودورها في تفكيك وحدة الشعب الجزائري. ص81 .

الفصل الرابع: الأساليب الاستعمارية لاستئصال مقاومة الشعب الجزائري وإبادة هويتهم الوطنية.

1- سياسة الأرض المحروقة وعمليات الإبادة ضد الشعب الجزائري. ص96 .

2- تحطيم منشآت الصناعة الجزائرية التي أنشأها الأمير عبد القادر ص122 .

3- الاستيطان الفرنسي بالأرض الجزائرية ص125 .

4- عمليات التنصير وطمس الهوية الجزائرية. ص141 .

الفصل الخامس : الحصار الدولي للقضاء على المقاومة الشعبية الوطنية.

- 1- الموقف العثماني " الرجل المريض " من المقاومة الشعبية الوطنية.....ص 148.
- 2 - الموقف العربي من المقاومة الشعبية الوطنية : ص 151.
 - أ- الموقف التونسي.
 - ب- الموقف المصري.
 - ج- موقف طرابلس الغرب.
 - د- الموقف المغربي.
- 3- الموقف الاوروبي من المقاومة الشعبية الوطنية : ص 165 .
 - أ- الموقف الانجليزي من المقاومة الشعبية الوطنية.
 - ب- الموقف الاسباني من المقاومة الشعبية الوطنية.
 - ج- موقف الدويلات الايطالية من الاحتلال الفرنسي للجزائر.
- الخاتمة ص 171.
- الملاحق ص 173.
- قائمة المصادر والمراجع.....ص 192 .
- الفهرس.....ص 200.